القضية المهدوية

في فكر المرجع اليعقوبي (دام ظله)

الشيخ

فيصل التميمي

هوية الكتاب

اسم الكتاب : .....القضية المهدوية في فكر المرجع اليعقوبي (دام ظله)

اسم المؤلف:..... الشيخ فيصل التميمي

الطبعة : .....الثانية

السنة :.....١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

الناشر :..... دار الصادقين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والحمد لله كما هو أهله، وكما يستحق وأفضل الصلاة وأتم السلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أولى سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) القضية المهدوية اهتماماً كبيراً من الناحيتين النظرية والعملية وأعني من الناحية النظرية الجانب التثقيفي الذي زاوله في بث الثقافة المهدوية للمجتمع من خلال مؤلفاته ومحاضراته العديدة في هذا المجال. كما أنه (دام ظله) لم يتأطر بالمنهج الذي سار عليه البعض ضمن الفهم التقليدي للإنتظار أو بالأطر الضيقة في تقديم النصرة للإمام المهدي (عليه السلام)، بل راح يُمارس عملاً دؤوباً لتوطيد الأرض للظهور المقدس ما تمكن إلى ذلك من سبيل وقدر المستطاع، فهو (دام ظله) من أصحاب الخط الرسالي والمنهج الحركي الذي لا يؤمن بفكرة الانكماش والانعزال السلبي في زمن الغيبة الشريفة، وترك الأمور على عواهنها على أمل أن يصلحها الإمام المهدي (عليه السلام) بنفسه عند ظهوره المبارك، فهذه الفكرة خاطئة ومخالفة للرؤية الإسلامية الحقة. كما إنها فكرة غير منتجة، بل إنها تدعو إلى الكسل والخنوع والاستسلام للواقع الفاسد، وتُسهِم بشكل كبير في تأخير الظهور لا في تقريبه، وللأسف الشديد فقد سار على نهج هذه الفكرة بعض علماء الدين ورجالات الحوزة وروجوا لها، وعمدوا إلى تطبيعها في أذهان الناس وهذا ما حدى بأصحاب المنهج الرسالي والحركي والنَفَس التغييري بالنهوض بشكل عملي بالإضافة إلى المبادرات التثقيفية لأجل توعية الأمة بضرورة النهوض بالإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الاتكال على الإصلاحات المهدوية

المستقبلية عند الظهور الميمون. أما من الناحية العملية والخطوات الفعلية التي طبقها المرجع اليعقوبي (دام ظله) على أرض الواقع لأجل نصرة الإمام المهدي (عليه السلام) والتمهيد والإعداد لظهوره المقدس، فهي عديدة ومتنوعة، وقد بدت واضحة للعيان ولمسها منه القاصي والداني. فإنجازاته ونشاطاته الرسالية العديدة خير شاهد ودليل على ذلك . وقد تمحور منهجه وسلوكه العملي وفق هذا المبدأ بشكل مكثف بعد تصديه لقيادة الأمة ومزاولة مهام المرجعية الدينية عقب استشهاد أستاذه السيد الصدر الثاني (قدس سره).

ومن الشواهد الأخرى على مدى اهتمامه بهذا الموضوع أنه نصَّبَ نفسه كمدعٍ عام للمطالبة بحقوق أهم ثلاث ركائز في الإسلام وهي؛ (القرآن الكريم والإمام المهدي (عليه السلام) والمسجد)[1] وحاول من خلال كتابه (شكوى الإمام (عليه السلام) أن يبث شكوى الإمام (عليه السلام) إلى المجتمع الموالي ويلفت نظرهم إلى حقوقه المضيعة وواجباتهم اتجاه إمامهم المُغيب (عليه السلام)، وذلك الكتاب هو عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها في زمن الطاغية المقبور على ثلةٍ من طلبة الحوزة الدينية كما إنه يُعنى برفد الثقافة المهدوية واستنهاض الفكر المهدوي في نفوس أبناء المجتمع المسلم وخصوصاً شريحة الشباب.

أما هذا الكتاب الذي بين يديك فهو عبارة عن قراءة في فكر سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) بما يخص القضية المهدوية المباركة، وما يتعلق بها من موضوعات وأبحاث وتساؤلات، لكي نتعرف عن كثب على رؤية سماحته في هذا الجانب، وما ينبغي علينا فعله وفهمه في زمن الغيبة الشريفة، وأيضاً للوقوف على

(١) قال سماحته (دام ظله) في كتابه الشكاوى الثلاث: (وأرى من واجبي أن أنصب نفسي (مدعياً عاماً) كما يعبرون اليوم لأرفع هذه الشكاوى الثلاث).

حجم المسؤوليات والواجبات الملقاة على عاتق كل فرد منا إزاء إمام العصر والزمان (عليه السلام). وكل بحسب موقعه الاجتماعي ووظيفته الدينية والدنيوية، لأن حجم مسؤولية الفرد تتناسب مع حجم وظيفته وموقعه.

كما أن من دواعي أهمية موضوع هذا الكتاب هو تكالب أعداء الإسلام وشنهم هجمة شرسة ضد العقائد الحقة لاسيما العقيدة المهدوية الشريفة، فإننا نسمع بين الفينة والأخرى عن بزوغ قرن للشيطان يدعو الناس إلى الأباطيل والضلال، وظهور جماعات منحرفة تنادي بأفكار فاسدة، تحاول تشوية معالم القضية المهدوية. مما يحتم على الفرد المُنتظِر والمهدوي النموذجي النهوض للرد عليها بالحكمة والموعظة الحسنة بعد الاطلاع على آراء وأفكار علماء الدين العدول، والتسلح بالقدر الكافي من الثقافة الدينية الأصيلة.

وفي الختام أود الاشارة إلى أننا قد اعتمدنا بشكلٍ كبيرٍ في هذا المُصَنف على كتابين مهمين لسماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) وهما كتاب (نحن والغرب) وكتاب (شكوى الإمام (عليه السلام)) والكتاب الأخير احتفظنا ببعض التعليقات الموجودة في هامشه في الموارد التي اقتبسناها منه، فأوردناها في هذا الكتاب، وابقيناها كما هي، ونحن نوهنا لذلك مراعاة للأمانة العلمية واتماماً للفائدة، لأنها من جهد وعطاء مصنف الكتاب (دام ظله) والمُعلّق عليه وهو جناب استاذنا الفاضل السيد حسين المرعبي (دام توفيقه).

وأسال الله تعالى أن ينفعني وإياكم بهذا الجهد المتواضع، وأن يكون ذخيرة لنا في الآخرة، وأن يوفقنا لخدمة إمامنا المهدي المنتظر (عليه السلام) وأن نكون ممن يفوز بالتمهيد لظهوره المبارك، إنه سميع مجيب.

فيصل التميمي

كربلاء المقدسة

٢٢ شوال المكرم ١٤٣٩ هـ

ما هو الدليل العقلي والنقلي على وجود الإمام المهدي (عليه السلام)؟

توجد العديد من الأدلة على وجود الإمام المهدي (عليه السلام) وأنه ما زال على قيد الحياة وإن البشرية تنعم بفضل وجوده المبارك، وسيظهره الله تعالى بعد غيبته الشريفة لإحقاق الحق ونشر العدل في الأرض، وقد استدل المرجع اليعقوبي (دام ظله) على وجود الإمام الحجة الموعود (عليه السلام) بعدة أشكال من الأدلة، هي:

الشكل الأول: وجود المقتضي لهذا الوجود ويتضمن عدة مستويات:

الأول: التأريخي، حيث روى الثقاة بروايات جمة مشاهدتهم للإمام (عليه السلام) ومراسلتهم له في الغيبة الصغرى والكبرى منذ ولادته (عليه السلام) ومروراً بفترة السفراء الأربعة حتى الآن. وإذا أردنا إلغاء هذه الوسيلة لإثبات المعلومات فلا تبقى وسيلة للتصديق بشيء إلا في موارد محدودة.

الثاني: العقائدي، حيث دلت روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن الأرض لا تخلو من حجة وأن الأئمة اثنا عشر وتعدّهم أحياناً بالأسماء وكل أمام ينص على خلفه، وأن الأرض لو خليت من الإمام لساخت بأهلها، وغيرها مما هو موجود في أصول الكافي وغيره.

الشكل الثاني: رفع المانع وهو استبعاد طول العمر أو عدم الحاجة لذلك ونحوه من استبعادات وهي مدفوعة بوجود أمثلة أخرى كنوم أصحاب الكهف ورفع عيسى(عليه السلام) إلى السماء ووجود الخضر(عليه السلام) حسبما هو مشهور وغيرهم، ورفع

الاستبعاد طبياً وفلسفياً، وعرض الثمرات لمثل هذا الوجود المبارك وغيرها من المعلومات التي ذكرتها في كتاب (شكوى الإمام (عليه السلام)).[1]

كما استدل (دام ظله) قرآنياً على وجود الإمام المهدي (عليه السلام) وأنه حي غائب، حيث قال (دام ظله): (من الآيات القرآنية التي يُستدل بها على وجود الامام المهدي الموعود (عليه السلام) واستمرار حياته، قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) وتوضيح الاستدلال يكون من خلال عدة نقاط:

١- إن الآية الكريمة جعلت للأمة الوسط مقام الشهادة على الناس أي يشهدون على أعمالهم عند الله تعالى.

٢- وإن الناس جميعاً من الأولين والآخرين مشمولون بهذه الشهادة ولا يستثنى أحد من الشهادة على اعماله لعدم الفرق بين واحد وآخر وشمول الجميع بقانون الثواب والعقاب، فلابد أن يكون واحد من الأمة الوسط موجوداً في كل زمان وفي كل جيل ليؤدي الشهادة على الناس، ولا يخلو زمان من شاهد على الاعمال لأنه يعني وجود أمة من الناس لا يُشهد على أعمالهم.

٣- والشهادة تتطلب حضوراً ومعاينة ليشهد عن حس ووجدان وليس عن سماع أو إخبار من الآخرين أو تخمين أو ظن وهو معنى الشهادة، ولا تتيّسر القدرة على معاينة كل اعمال الناس والاطلاع عليها إلا للمعصومين (سلام الله عليهم) وهو مفاد قوله تعالى (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) فالأمة الوسط التي تشهد على اعمال الناس يوم القيامة هم الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم). وقد دلّت

---

(١) كان هذا الاستدلال هو جواب سماحته (دام ظله) على المدعو (أحمد الكاتب) الذي راح يشكك بوجود الإمام المهدي (عليه السلام) وأصدر كتاباً يتناول ذلك. ينظر العدد الأول من صحيفة الصادقين.

الروايات على ذلك كالحديث الذي رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن بريد العجلي قال: (سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) فقال: نحن الأُمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه).

فنتيجة هذه المقدمات وجود المعصوم (عليه السلام) في كل زمان ليشهد على أعمال الناس وليس هو في زماننا الا الامام المهدي(عليه السلام) لعدم وجود غيره). [1]

وقال (دام ظله) في موضع أخر: (يمكن تلخيص عدة دروس من الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ).

١-لا يكتمل الايمان الا بالتقوى واتباع المعصومين (عليهم السلام).

٢-لا حياد ولا وقوف على مسافة واحدة من الجميع بل يجب ان نكون مع الصادقين عقيدة وسلوكا ونصرة، ويلزم من هذا معرفة الصادقين أولاً.

٣-إن في الآية دلالة على وجود الامام صاحب العصر والزمان (عليه السلام) وعصمته). [2]

---

(١) خطاب المرحلة، ج١١، ص(١٢٣-١٢٤)، خطاب رقم (٥٥١): (استدلال قرآني على وجود الامام المهدي (عليه السلام) وحياته).

(٢) خطاب المرحلة، ج٩، خطاب رقم (٤٧٠): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ).

كيف يمكن أن يبقى الإمام المهدي (عليه السلام) حياً كل هذه المدة؟

أجاب المرجع اليعقوبي (دام ظله) على هذا التساؤل في كتابه (شكوى الإمام (عليه السلام) حيث قال: (إن الإجابة عن هذا السؤال يكون على عدة مستويات:

الأول: العقائدي: ونستدل فيه على ضرورة بعث الحجج من أنبياء ورسل وأئمة[1] وتواصلهم، وان الأرض لا تخلو من حجة ظاهرة إما ظاهر أو مستور فلا يمكن حدوث فصل في توالي الحجج فلا بد أن يكون الإمام المهدي هو امتداد الإمام العسكري (عليه السلام) ثم نذكر الروايات الواردة عن المعصومين (عليهم الصلاة والسلام)

---

(١) راجع كتاب الحجة من اصول الكافي للكليني الذي انصح (والكلام لسماحة الشيخ اليعقوبي) بقراءته وشرحه للامة ولو مختصرا كما في كتاب (الشافي في شرح اصول الكافي) للمرحوم الشيخ عبد الحسن المظفر وهو مطبوع ومعاصر ، ومن تلك الاحتجاجات مناظرة هشام بن الحكم للشامي الذي جاء يناظر الامام الصادق(عليه السلام) في امامته فطلب (عليه السلام) من هشام مناظرته بحضرته ومما قال هشام : يا هذا اربك انظر لخلقه ام خلقه لأنفسهم ، فقال الشامي بل ربي انظر لخلقه . قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال : اقام لهم حجة ودليلا كيلا يتشتتوا ويختلفوا ، يتألفهم ويقيم اودهم ويخبرهم بغرض ربهم ، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) (أي الحجة والدليل حسب قول الشامي هو الرسول(صلى الله عليه وآله) فقط). قال هشام : فبعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال : الكتاب والسنة . قال هشام : فهل نفعنا الكتاب والسنة في رفع الخلاف عنا؟ قال الشامي: نعم ، قال: فلم اختلفنا انا وانت وصرت الينا من الشام في مخالفتنا اياك ؟ قال : فسكت الشامي . فقال ابو عبد الله (عليه السلام) للشامي : مالك لا تتكلم ؟ قال الشامي : ان قلت لم نختلف كذبت، وان قلت ان الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف ابطلت لانهما يحتملان الوجوه، وان قلت قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة) ويقرب الامام الباقر(عليه السلام) هذه الحاجة الى الامام بشكل آخر فيقول لابي حمزة : (يا ابا حمزة يخرج احدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا وانت بطرق السماء اجهل منك بطرق الارض فاطلب لنفسك دليلا) فهاتان ثمرتان لوجود الإمام (عليه السلام): الهداية والمنع من التشتت والاختلاف .

ابتداءً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإمام العسكري (عليه السلام) التي شخَّصت الإمام المهدي (عليه السلام) بأنه ابن الحسن العسكري (عليه السلام) وأن اسمه محمد وغيرها من التفاصيل التي حفلت بها كتب العامة والخاصة بل إن بعض النصوص تشير إلى أن هذه الفكرة مما بشر بها الأنبياء السابقون على الإسلام واشتراط العصمة في الإمامة ولم تثبت معصومية غير أهل البيت (عليهم السلام) المنصوصين في حديث الثقلين وآية التطهير.

الثاني: العلمي: فنثبت انه لا استحالة فلسفية ولا طبيعية في هذا الأمر ، أما الأول: ونقصد به أن العقل لا يرى استحالة في هذا الأمر كاجتماع النقيضين أو وجود الممكن بلا علة وما نحن فيه ليس مستحيلا قطعاً بل انه ممكن. [1] أما الثاني :فقد دلت البحوث الفيسيولوجية عليه وقد عالج مثل هذا الاتجاه من البحث الشيخ عبد الهادي الفضلي في كتابه (انتظار الإمام) وكتاب (بحث حول المهدي) للشهيد الصدر الأول (قدس سره).

الثالث: الاجتماعي: ويكون منتزعاً من القوانين والسنن الإلهية التي تحكم المجتمعات والدول وتبيّن أسباب نشوئها ونموها وازدهارها وعوامل اضمحلالها وفنائها وهي مبتنية على استقراء تاريخي طويل لهذه الحضارات والدول خصوصاً وان الإمام(عليه السلام) مدخّر لعملية إصلاح كبرى تغطي العالم كله ومثل هذه الحركة الواسعة الشاملة تتطلب تهيئة نفسية ضخمة للقائد المنتظر فيطلّع من خلال هذه المراقبة الطويلة على تفاهة هذه الحضارات وان بدت متجبرة وعاتية إلا أنها أوهن

(١) فالإمام (عليه السلام) وباعتباره اعلم بخفايا النفس وكوامن القوة والضعف فيها فانه يستطيع ان يحافظ على اعصابه وتفكيره خصوصا اذا علمنا ان اغلب حالات الموت المبكر هو نتيجة القلق والتفكير والأمراض النفسية هذا اضافة الى المحافظة على برنامج متوازن من الغذاء الذي سوف لا يؤثر عليه على المدى البعيد هذا من ناحية علمية أما إذا رجعنا الى الروايات فإنها تصرح بأن الذنوب وعدم فعل بعض الطاعات هي تقصر العمر وهو (عليه السلام) معصوم من كل ذلك.

من بيت العنكبوت عند من يعرف مكامن الضعف فيها وكيفية انهيارها من خلال التجارب المتعددة للدول العظيمة التي آل أمرها إلى الزوال والاضمحلال ومثل هذه القناعة والثقة بالقدرة على التغيير وإزالة هذه العقبات الطاغوتية لا يمكن أن تحصل عند إنسان يولد في زمان تلك الحضارة ويعيش في ظل جبروتها فيكون مهزوما نفسياً أمامها ويمتلكه شعور كامل بالعجز عن التغيير كما كنا نحسّ من قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وننظر إليه ككيان غير قابل للإزالة وإذا به ينهار ويذوب فصارت عندنا قناعة أكثر بالسنن الإلهية المتحكمة بالدول مهما عظمت فكيف ستكون قناعة من عاصر عدداً من هذه التجارب ابتداءً بالدولة العباسية التي يقول ملكها مخاطباً السحابة أينما تمطرين ففي ملكي واليٌ يعود خراجك ثم الدولة العثمانية التي حكمت أجزاء واسعة من آسيا وشمال أفريقيا وشرق أوربا ثم البريطانية والفرنسية والسوفيتية وهكذا كلها انهارت كشريط مصور يطلّع عليه لقطة بعد لقطة، ولنا في قصة أهل الكهف شاهد على ذلك فانهم بعد أن شعروا بالعجز عن التغيير وأخذتهم القوة الظاهرية لدول الباطل وتملكهم اليأس أنامهم الله ثلاثمائة عام ثم بعثهم ليروا نهاية ذلك الكيان وتبدل الحال وأن تلك القوة المتفرعنة عادت من أخبار الماضي وها هو الحق يعلو فيمكن لله تعالى بدلاً من أن ينيم القائد المنتظر هذه المدة الطويلة يبقيه حياً ليراقب هذه التغيرات ويسجل الدروس والعبر. ويبدو أن هذه سنة متبعة مع القادة المصلحين فها هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُحبَّب إليه الخلاء في غار حراء لينعزل عن الأجواء المحيطة به ويراها من الخارج ويدرسها عن كثب ليتهيأ نفسياً ويتعبأ لمواجهتها بحالة أقوى مما لو كان يعيش في داخلها متأثراً بأجوائها.

الرابع: الفكري: فإن القائد مضافاً إلى انه يتمتع بصفات نفسية تؤهله للقيادة إلا انه يحتاج إلى أن يتعلم على يد قائد مثله ويتربى على يديه وكلما كانت المسؤولية

أعظم كلما احتجنا إلى مدرسة أكمل يأخذ منها هذا القائد ولما كان الإمام المهدي(عليه السلام) مُعَّداً لأداء أعظم رسالة وهي إصلاح البشر جميعا فلا يمكن لأحد أن يعطيه هذا العلم والثقافة الا المعصومون (عليهم السلام) لأنهم مارسوا هذا الدور وكانت لهم القدرة على ذلك امتدادا لقدرة القرآن الكريم ولجّدهم العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا بد أن يكون القائد الموعود ممن تربَّى في هذه المدرسة غير منفصل عنها وإلا فسنضطر إلى أن نلتزم بأن الله تبارك وتعالى يتولى بنفسه إعداد هذا القائد كما تولّى تأديب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باعتبار عدم وجود إنسان كامل يربيه ويؤهله لهذا المنصب العظيم، ولكن إذا أمكن تحقيق النتيجة بالطرق الطبيعية فلا مبرر للالتزام بالمعجزات). [1]

ومما تقدم شاهد فكري وثقافي زاوله المرجع اليعقوبي (دام ظله) لأجل تحصين المجتمع من التيه والانحراف العقائدي، إلا أنه لم يكتفِ بهذا الجهد الفكري بل دأب مضافاً إلى ذلك يمارس دوره كقائد ومرجع للأمة لتحصينها عملياً من هذه المزالق الخطرة، فتصدى للحركات والجماعات المنحرفة التي تدعي زوراً الانتساب للإمام المهدي (عليه السلام)، حيث أصدر (دام ظله) تعليقاً على بعض هذه الدعوات الضالة التي ظهرت في المجتمع يُبين فيها رأيه بكل صراحة ووضوح[2]، وأشار فيه إلى نمط وصفات هذه الحركات المنحرفة عقائدياً، وبيّن أهدافها الشيطانية. كما أشار إلى مسؤولية العلماء حيال ذلك، حيث قال (دام ظله): (تكاد الدعوات الضالّة رغم تباين مناهجها وتقاطعها في عملها تتحد على قاسم مشترك تجتمع عليه هو ضرب

---

(١) يُنظر كتاب (شكوى الإمام (عليه السلام) ، لسماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله).

(٢) كحركة ما يُطلق عليها بـ(جند السماء) التي خاضت معركة ضارية مع القوات الحكومية والأمريكية في منطقة (الزركة) شمال النجف الأشرف على طريق كربلاء المقدسة، وأسفرت هذه المواجهة عن قتل وجرح المئات سنة ٢٠٠٧.

المرجعية وتسقيطها وتشويه صورتها وإلغاء دورها في المجتمع، يستوي في ذلك أدعياء المهدوية والسفارة والبابية والسلوكية وسائر العناوين المرتبطة بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) وظهوره الميمون، والسر في ذلك أن هؤلاء يراهنون في نجاح دعواتهم على سذاجة الناس وجهلهم وتخلّفهّم، ومع وجود مرجعية جامعة للشروط والتي من مهامها توعية الأمة وهدايتها إلى الحق فإن مثل تلك الدعوات الضالة لا تجد طريقها إلى إغواء الناس وإضلالهم، لأن من أوصاف العلماء بحسب ما ورد في الروايات الشريفة أنهم؛ (حصون الإسلام) فكما إن الحصون توضع على حدود الكيان لتحفظ ثغوره وتصد هجمات الأعداء، كذلك دور العلماء والمرجعية الرشيدة فإن من وظائفهم حماية عقائد الناس وسلوكهم من الفساد والانحراف فهم مرابطون على هذه الثغور والفجوات العقائدية والفكرية ليردّوا الأعداء من الجن والإنس الذين يتسللون منها إلى عقول وقلوب ونفوس الناس، والمرجعية لا يصل إليها الشخص بين عشية وضحاها ولا يتقمصها مجهول لا يعرف من أين جاء كما يتسلل هؤلاء النكرات الدجالون، وإنما يعرف تاريخ الشخص الذي يتصدى للمرجعية بوضوح لسنين طويلة تكون كافية للاطمئنان إلى علمه الذي يصل إلى درجة الاجتهاد وحسن سيرته المعبّر عنها بالعدالة ونقاء أصله المعرف بطهارة المولد، ومثل هذا الطريق الطويل المليء بالجهد والمثابرة وتزكية النفس لا يروق لأولئك المغرورين الحالمين بالجاه والثروة، فيركبون موجة الدعوات المهدوية والمسالك العرفانية وغيرها من الدعوات الغيبية التي تنطلي على السذج للوصول إلى أهدافهم، فإذا أطمأنّت الأمة إلى تحقق الصفات في مرجعية ما فعليها أن تؤدي وظيفتها تجاه

مرجعيتها وقد حددّها الإمام الباقر (عليه السلام) بقوله: (إنما كُلّف الناس ثلاثاً: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد إليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه). (١)

كما حذَّر (دام ظله) المجتمع من خطر هذه الجماعات المنحرفة قائلاً: (إننا مبتلون في هذا الزمان وفي كل زمان بأدعياء العناوين الكبيرة كذباً وزوراً ليطلبوا بها الدنيا وليخدعوا السذج والجهلة والمهوسين، وأذكر من هؤلاء أصحاب الدعوات المرتبطة بالإمام المهدي الموعود (عليه السلام) والسياسيين الذين يحملون اللافتات الإسلامية (فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً). (٢)

ومما لا يخفى أن الكثير من هذه الجماعات والطوائف الضالة التي تشكك بوجود الإمام المهدي (عليه السلام) أو تشوه صورة قضيته المباركة ترتبط بشكل أو بآخر بأجندات معادية للإسلام وتمولها أيادي شيطانية مغرضة، وهذه الحقيقة أشار إليها (دام ظله) بقوله: (. . وهذا يفسِّر أيضاً الحملات الظالمة الدؤوبة التي يقودها المستكبرون وأذنابهم لتكذيب قضية الإمام والتشكيك فيها ويُسَخِّرون من نفس المسلمين من يسوّق شبهاتهم وشكوكهم البائسة أو يزرعون نماذج سيئة تدعي الارتباط بالإمام (عليه السلام) وبقضيته وتحمل عناوين مهدوية وهدفهم سلب هذا الأمل من المحرومين والمستضعفين لتثبيط عزائمهم ودفعهم إلى اليأس والاحباط والاستسلام لهيمنة الظالمين والمستكبرين وفقدان الأمل بالتغيير، فتصبح الأمة ميتة سريرياً لا إرادة لها ولا حراك فيها ويقودون الناس الى حيث يريدون. فعلينا أن نحبط هذه المشاريع ونسير بعزم راسخ وحركة دؤوبة لتعجيل الظهور المبارك والتمهيد له

(١) يُنظر خطاب المرحلة، ج٥، ص٧٠.

(٢) يُنظر خطاب المرحلة، ج٧، خطاب بعنوان: (لا تُقبل الدعوى إلا بدليل).

في جميع المجالات، ومنها المجال العلمي والثقافي خصوصاً في العلوم والمعارف الدينية). [١]

وتحَمُل مسؤولية صد هذه الهجمات الشرسة يقع في الدرجة الأولى والأساس على عاتق العلماء ومراجع التقليد فإن (الإمام (عليه السلام) (أو نائبه بالحق) يجب أن يواجه الفلسفات والتيارات الفكرية التي تعصف بالمجتمع بما يفندها ويعري زيفها من الاصول الإسلامية ولكل زمان ما يناسبه من الأدلة التي تنسجم مع الاتجاهات الفكرية العامة فيه وتستند على المبادئ الاصيلة للدين الحنيف). [٢]

(١) خطاب المرحلة، ج٩، رقم (٤٥٢) بعنوان: (الجامعة الدينية المفتوحة: تمهيد للتكامل المعرفي في زمن الظهور).

(٢) ينظر دور الائمة (عليهم السلام) في الحياة الاسلامية، المرجع اليعقوبي.

أسباب غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

لقد وردت روايات عديدة تُبين جملة من أسباب غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) وتشير إلى سر طول بقائه كل هذه المدة الطويلة قبل أن يظهر في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما تُملأ ظلماً وجوراً.

ويمكن أن نُجمل أبرز تلك الأسباب والعلل ضمن النقاط الآتية، سواء التي أشارت إليها الروايات الشريفة أو التي استشفها العلماء والمفكرون من معناها العام:

١. إن غيبة الإمام الثاني عشر (عليه السلام) مما اقتضته الحكمة الإلهية وادخرت سببه الحقيقي لمصالح عامة تنفع البشرية جمعاء، لا يعلمها إلا الله تعالى ومن ارتضاه لغيبه. وبهذا يكون في غيبته سر صلاح أمره (عليه السلام) وأمر المؤمنين به، وهي علة مجملة تحدد أحد أوجه الحكمة الإلهية في الأمر بالغيبة عن الناس لأن في ذلك صلاح أمر الإمامة والمأمومين ، وتعد الغيبة أفضل أسلوب يستخدمه الإمام المهدي (عليه السلام) لأجل القيام بمهام الإمامة في ظل الأوضاع المضادة لأهداف الثورة المهدوية. كما أنها تفتح لهم وللأجيال المتلاحقة آفاق التكامل حتى تُعد تلك الأجيال قادرة على الاستجابة لمقتضيات الثورة المهدوية الكبرى، كما أن الغيبة تتسبب في حفظ وجودهم من الإبادة قبل تحقق المهمة الإصلاحية.[1] ووفقاً لبعض الروايات يُعد أمر الغيبة من الأسرار الإلهية التي لا تتضح إلاّ بعد انتهاء الغيبة وظهور الإمام (عليه السلام) والتي لم يُؤذن بكشفها قبل ذلك، الأمر الذي يشير الى أن ما تذكره الأحاديث الشريفة لا يمثل كل العلل الموجبة للغيبة بل بعضها وثمة علل أخرى ليس من

(١) يُنظر أعلام الهداية، ج١٤. بتصرف.

الصالح كشفها قبل الظهور ـ للجميع على الأقل ـ ولكن الإيمان بها فرع الإيمان بحكمة الله تبارك وتعالى وأنه الحكيم الذي لا يفعل إلاّ ما فيه صلاح عباده.[١]

٢. لكي لا يكون في عُنق الإمام المهدي (عليه السلام) بيعة لأي أحد من حكام الظلم والجور، وهذا المعنى ورد في عدة من الروايات الشريفة وبألفاظ متقاربة، منها ما روي عن الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه، حيث جاء في توقيعه إلى إسحاق بن يعقوب في جواب أسئلته: «. . . وأما علة ما وقع من الغيبة، فإن الله عز وجل يقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم) إنه لم يكن أحد من آبائي (عليهم السلام) إلاّ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي».[٢]

٣. لأجل السماح بوصول الحق للجميع وخروج ودائع الله – وودائع الله – هم المؤمنون من أصلاب الكافرين. ولعل المقصود منه إعطاء الفرصة لوصول الدين الحق للجميع كي تتضح لهم أحقية الرسالة الإسلامية التي يحملها الإمام المهدي (عليه السلام) وبالتالي انضمامهم للحق بعدما كانوا في خط المدارس الضالة والمنحرفة، والانتقال بهم الى صفوف أنصار المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)، وإن هذه العلة تفسر تأخير ظهوره المبارك، فقد روي عن الحسن بن محبوب بن ابراهيم الكرخي قال: «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أو قال له رجل: أصلحك الله ألم يكن علي قوياً في دين الله؟ قال: بلى قال: فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يمنعهم وما منعه من ذلك؟

(١) ينظر المصدر نفسه.

(٢) يُنظر بحار الأنوار ، العلامة المجلسي، ج ٧٥ ، ص ٣٨٠.

قال: آية في كتاب الله عز وجل منعته، قال: قلت؟ وأيّ آية هي؟ قال: قول الله عز وجل: (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليماً). انه كان لله عز وجل ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع، فلما خرجت الودائع ظهر على مَن ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عز وجل فاذا ظهرت ظهر على مَن ظهر فقاتله». [١]

وقد أشار المرجع اليعقوبي (دام ظله) إلى هذا السبب عند تعرُضِه لتفسير قوله تعالى: (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) حيث يرى إن الغيبة الشريفة؛ (. . توفر فرصة الهداية لكل البشر كما أن النبي نوح (عليه السلام) لبث طويلاً في قومه (أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً) للوصول إلى هذه النتيجة فلا نستغرب من طول غيبة الامام (عليه السلام) - وإن ضاقت صدور المؤمنين بذلك- لأنه مُدّخر لإقامة دولة العدل الالهي). [٢]

٤. إن غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) تعد نوعاً من أنواع التمحيص والابتلاء والتأهيل التي تُهيء البشرية وتربيها لأجل استحقاق نعمة ظهور الإمام المهدي الموعود (عليه السلام) وهذا التمحيص يسهم في تكاملهم المعنوي، كما أنه يعطي لهم فرصة للسير نحو الهداية والصلاح، قال المرجع اليعقوبي **(دام ظله)**: (اقتضت الحكمة الإلهية ان تُغيب الإمام الثاني عشر (عليه السلام) هذه المدة الطويلة إلى ان يأذن الله تعالى له بالظهور كل

---

(١) أعلام الهداية، ج١٤. بتصرف.

(٢) خطاب المرحلة، ج٩، رقم (٤٣٩)، بعنوان: (وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ . . . لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا).

ذلك لتستمر تربية الامة مدة اطول ولتمر بتجارب وابتلاءات وتمحيصات أكثر حتى تصل إلى مستوى النضج والكمال المطلوب الذي يؤهلها لمواصلة مسيرة الكمال مع الإمام المهدي (عليه السلام) بينما لو قدر لهذه الأمة أن تتربى في أحضان الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لوصلت إلى درجة الكمال قبل هذا التاريخ بكثير)[١] وهذا الرأي يُرشدنا إلى أن الشعوب والمجتمعات التي تقاسي ألوان الظلم والاضطهاد مع ما تملكه من روح الايمان بالعقيدة الحقة تكون أكثر استعداداً وتقبلاً لنصرة الإمام المهدي(عليه السلام) وهذا ما يؤكده (دام ظله) في العديد من كلماته المباركة، ومنها قوله: (إننا جميعاً ندعو أن نكون ممن يحظى بنصرة الإمام المنتظر (عليه السلام) وصحبته والجهاد بين يديه، فأيهما أسرع استجابة لدعوة الإمام (عليه السلام) ونصرته: المؤمن الذي خاض المحن والشدائد والصعوبات وواجهها بصبرٍ وجَلَدٍ، أم المترف المتنعم الذي يتبرم بأبسط بلاء يمر به؟ فإن رغبتم في نصرة الإمام (عليه السلام) فوطنوا أنفسكم على كل الصعوبات، فإنها من مؤهلاتكم لهذا الفوز العظيم، والذي يثقل عليه هذا البلاء البسيط لا يحظى بذلك الشرف كما قال الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في مثلها: (إذا كنتم من الحر ومن البرد تفرون، فأنتم من السيف أفر).[٢] إذن فالتمحيص الإعدادي للمؤمنين به (عليه السلام) يتحقّق من خلال الأوضاع الصعبة الملازمة لغيبته (عليه السلام)، ومعلوم أن الإيمان به وبغيبته هو بحدِّ ذاته عامل مهمّ في تمحيص الإيمان وتقوية لعقيدتهم، لأنه يمثل مرتبة سامية من مراتب التحرر من أسر التصديق بالمحسوسات المادية فقط. ولذلك كان الإيمان بالغيب أُولى صفات المتقين كما تذكره الآيات الأولى من سورة البقرة، وقد طبقت الأحاديث الشريفة هذه الصفة على الإيمان بالإمام المهدي

(١) الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين، المرجع اليعقوبي، ص١٨٤.

(٢) من وحي المناسبات، المرجع اليعقوبي.

(عجل الله فرجه) في غيبته باعتباره من أوضح مصاديقها، لا سيما إذا لاحظنا طول أمدها، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميّزوا وتمحّصوا، ثم يذهب من كل عشرة شيء ولا يبقى منكم إلاّ الأندر، ثم تلا هذه الآية: أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين». (١)

٥. إن الغيبة تقطع حجة المتحججين والمنادين زوراً بالإصلاح وتطبيق العدالة والمساواة بين البشر فيما إذا حكموا، لذا فهي - أي الغيبة - فسحت المجال لكل الأحزاب والحكومات لتحكم شعوب العالم، ولم يبقَ لهم أي عذر بعدم تطبيق العدالة، وبهذا لا يكون لهم أي عذر أو أي حق عند زمن الظهور بأن يقولوا لو أننا حكمنا لعدلنا، وهذا الفهم مستل من الروايات الشريفة، ومنها ما رُوي عن الإمام الباقر(عليه السلام) حيث قال: «دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل: (والعاقبة للمتقين)». (٢)

٦. إن غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) تُعد إحدى وسائل التمايز و الاختبار الالهي وإلقاء الحجة على العباد وبيان موقف كل منهم، فبها يُعرف المؤمن من غيره والثابت على عقيدته من المتزلزل، ويتمايز كل فرد منهم حسب يقينه وايمانه وعمله زمن الغيبة والانتظار.

---

(١) أعلام الهداية، ج١٤. بتصرف.

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي، ج ٥٢ ، ص٣٣٢.

٧. إن الإمام المهدي (عليه السلام) غاب مُنتظِراً تكامل أتباعه وتوفر العدد الكافي من الممحصين الذين تكتمل بهم القاعدة الموالية والمخلصة والواعية، التي تعينه على تحقيق مشروعه الاصلاحي العالمي، وهذا هو أحد شرائط الظهور الذي لم يتحقق بعد، وفي مقدمة هؤلاء الاتباع المخلصين قادة جيشه الثلاثمائة وثلاثة عشر، الذين هم عِينة البشرية بل هم صفوة أتباعه الموالين الذين سيحكون شعوب العالم في مختلف بقاع الأرض تحت راية الإمام المهدي (عليه السلام) وفي ظل حكومة العادلة.

٨. بسبب العامل الأمني، وتطبيقاً للتقية فإن الإمام المهدي (عليه السلام) غاب عن أعين السلطات الظالمة التي تريد قتله واستئصال وجوده المبارك، وبهذا تكون الغيبة أفضل خيار لتطبيق التقية حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ويعطيه الإذن بالظهور. فقد روي عن زرارة عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: «إن للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف ـ وأومى بيده إلى بطنه، قال زرارة يعني: القتل». [1]

٩. إن الغيبة تُعد نوعاً من أنواع العقوبة الإلهية للبشرية التي لا تستحق وجود الإمام المعصوم (عليه السلام) بين ظهرانيها شاهداً مشهوراً لأنها لم تشكر نعمة وجود الأئمة الأطهار (عليهم السلام) من آبائه وأجداده، وعاملوهم بكل قسوة وبشتى أنواع الظلم ولم يطيعوا الله تعالى فيهم ولم يعترفوا بحقانيتهم وإمامتهم الشريفة.

١٠. إنها تعد إحدى تطبيقات السُنن الالهية التي جرت على الأنبياء السابقين (عليهم السلام) وهي تجري على إمام زماننا (عليه السلام)، فقد روى سدير عن أبيه عن الإمام

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ابن بابويه القمي، ص٤٨١.

الصادق (عليه السلام) أنه قال: «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها فقلت له: يابن رسول الله ولم ذاك قال: لأن الله عز وجل أبى إلاّ أن يجعل فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) في غيبا تهم، وانه لابدّ له يا سدير من استيفاء مدة غيباتهم، قال الله تعالى: (لتركبنّ طبقاً عن طبق)، أي سنن مَن كان قبلكم. وروى عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها، يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له: ولم جُعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدم من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر (عليه السلام) إلاّ بعد افتراقهما، يابن الفضل ان هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا ان الله عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وان كان وجهها غير منكشف».

١١. لأجل استجماع تجارب الأمم السابقة: وإن كان هذا السبب مادياً ودنيوياً إلا أنه حاصل ومتحقق بطبيعة الحال، ويمكننا أن نجعله جزء علة في أمر الغيبة، وسبباً متمماً لبقية الأسباب.

١٢. اتضاح عجز المدارس الاخرى؛ فإنّ إثبات عجز المدارس الأخرى عن تحقيق السعادة والكمال المنشود للمجتمع البشري، فيه تأهيل واضح للمجتمع البشري عموماً للتفاعل الإيجابي مع المهمة الإصلاحية الكبرى للإمام المهدي (عجل الله فرجه) فهو يزيل العقبات الصادّة عن هذا التفاعل المطلوب لتحقق الأهداف

الإلهية خاصة فيما يرتبط بالانخداع بشعارات المدارس الأخرى المادية أو ذات الأصول السماوية والمنحرفة عنها بمرور الزمن.[١]

١٣. حفظ روح الرفض للظلم: فإنّ الامام المهدي (عجل الله فرجه) هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيزيل حكام الجور وحاكمية الفساد بالسيف بعد إتمام الحجة كاملة على المنحرفين خلال الغيبة الكبرى وما قبلها. فظهوره(عليه السلام) مقترن بالتحرك الجهادي الحاسم، فلا هدنة مع المنحرفين . ومن هنا يلزم توفر هذه الصفة في أتباعه أيضاً، ولعل هذا هو المقصود من تعبير الأحاديث الشريفة «لئلا يكون في عنقه بيعة لطاغية» . وواضح أن هذا الدور الحاسم يجعل تكالب الظالمين عليه أشد إذا كان وجوده ظاهراً قبل تحركه الإصلاحي الشامل وقبل توفر الظروف المناسبة لتحركه والعدد اللازم من الأنصار، فهو في هذه الحالة إما أن يهادن الظلمة ويجمّد أي نشاط له ولو كان غير حاسم كما كان حال آبائه (عليهم السلام)، وفي ذلك أخطار كثيرة مثل إضعاف روح الرفض للظلم لدى المؤمنين وهم يرون أن إمامهم المكلف بإزالة الظلم بصورة كاملة صامت تجاهه، فضلاً أن هذا الموقف السلبي لن يوقف كيد الظالمين ومساعيهم المستمرة لقتله تخلصاً من هاجس دوره المرتقب؛ وإما أن يتحرك لإنجاز مهمته قبل توفر العوامل اللازمة لنجاحها وهذا الأمر يعني مقتله قبل أن يحقق شيئاً من مهمته الكبرى. لذا فلابد من تجنب الظهور قبل اكتمال الأوضاع اللازمة لتحركه الإصلاحي الأكبر والاستتار في

(١)أعلام الهداية، ج١٤. بتصرف.

اسلوب الغيبة بما يمكنه من الاستمرار في نشاطه على صعيد توفير العوامل اللازمة لنجاح مهمته الكبرى عند الظهور.[١]

وبعد هذه الجولة المختصرة في بيان أسباب غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) والحكمة الإلهية منها نود أن نشير إلى أن هذه العلل كلها واردة وصحيحة، لكن بعضها أهم من بعض وإن كانت جميعها تشكل عللاً للغيبة، فبعضها قد يكون جزء علة وقد يكون بعضها الآخر علة تامة لها، والله سبحانه هو وحده عالم بحقائق الأمور، التي لا تنكشف بتمامها إلا بعد حين قال المرجع اليعقوبي (دام ظله): (المفروض بالمؤمن التسليم لأمر الله تعالى وعدم النقاش فيه، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره. إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لمّا أتاه الخضر (عليه السلام) من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى (عليه السلام) إلى وقت افتراقهما، يابن الفضل: إنّ هذا الأمر أمرٌ من أمر الله تعالى وسرٌّ من سرّ الله وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه (عز وجل) حكيم صدقنا بأن أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا)[٢].[٣]

(١)أعلام الهداية، ج١٤. بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ٩١/٥٢ الباب ٢٠ عن اكمال الدين: ١٥٨/٢ باب علة الغيبة.

(٣) خطاب المرحلة، ج٩، خطاب رقم (٤١٨): (وجه الانتفاع بالإمام في غيبته).

الإمام المهدي (عليه السلام) في مدرسة القرآن الكريم

قال سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) حول مسألة ذِكر القرآن الكريم للإمام المهدي (عليه السلام) وما يتعلق بقضيته المباركة: (توجد آيات كثيرة فُسِّرت بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) وظهوره الميمون كقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة : ٣٣] فإن هذا الوعد لم يتحقق إلى الآن ووعد الله صدق فلابد أن يأتي اليوم الذي يتحقق فيه هيمنة الإسلام على جميع الأديان والملل الأخرى بظهور الإمام المهدي (عليه السلام). وكقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص : ٥] فان هذه الوراثة لم تحصل إلى الآن فلابد أن تتحقق في اليوم الموعود. وكقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر : ٤] والآية ظاهرة في تحقيق هذا النزول في كل ليلة قدر وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في زمان حضوره هو من تتنزل عليه الملائكة والروح ثم من بعده على الأئمة المعصومين (عليهم الصلاة والسلام)، فلابد من استمرار وجودهم لأن الملائكة لا تتنزل على غير المعصومين (عليهم الصلاة والسلام)، وقد حفظ وجودهم باستمرار حياة الإمام المهدي (عليه السلام). [1]

كما تعرض (دام ظله) في مناسبات عديدة لطرح ما يتعلق بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) قرآنياً، من خلال بيانه (دام ظله) لتفسير آيات الكتاب العزيز، ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

---

(١) نشرة الصادقين، العدد (٢٢٠).

إن (الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) المصداق الأكمل للآية الكريمة (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) بحسب الروايات الشريفة الآتية، وفي دعاء الندبة (أين المضطر الذي يجاب إذا دعى)[1] وذلك لأنه:

١- من (التامّين في معرفة الله)[2] فهو مستحضر لحقيقة الاضطرار والانقطاع إلى الله تعالى دائماً وليس في أوقات الضيق والشدة فقط.

٢- ولأنه (عليه السلام) واقع في أوسع ضرّ وألم وأذى بسبب ما يطّلع عليه من عصيان وتمرّد الناس وانحرافهم عن الحق والهدى حتى من المحسوبين عليه، ولانتشار الظلم والفساد في البر والبحر، ولتألمه لما تعانيه البشرية عموماً وأتباعه ومواليه خصوصاً من الظلم والعدوان والحرمان.

٣- ولأنه بقية الله وخليفته في أرضه الذي وعده الله بالاستخلاف والتمكين في الأرض ليقيم دولة الحق والعدل، ويقضي على الظلم والفساد والجور.

روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال في حديث: (والله لكأني أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر، فينشد الله حقه، ثم يقول: يا أيها الناس: مَن يحاجّني في الله، فأنا أولى الناس بالله، أيها الناس: من يحاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، أيها الناس من يحاجّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، أيها الناس: من يحاجّني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، أيها الناس من يحاجّني في موسى فأنا أولى الناس بموسى، أيها الناس من يحاجّني بعيسى فأنا أولى الناس بعيسى، أيها الناس من يحاجّني بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنا أولى الناس بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، أيها الناس من يحاجني بكتاب الله فأنا أولى

---

(١) مفاتيح الجنان: ٥٣٦.

(٢) من الزيارة الجامعة الكبيرة.

الناس بكتاب الله. ثم ينتهي إلى المقام فيصلّي عنده ركعتين). ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): وهو المضطر الذي يقول الله فيه: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ) فيه نزلت وله)[١].

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن القائم (عليه السلام) إذا خرج دخل المسجد الحرام فيستقبل القبلة ويجعل ظهره إلى المقام، ثم يصلي ركعتين، ثم يقوم فيقول: يا أيها الناس، أنا أولى الناس بآدم، يا أيها الناس، أنا أولى الناس بإبراهيم، يا أيها الناس، أنا أولى الناس بإسماعيل، يا أيها الناس، أنا أولى الناس بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم يرفع يديه إلى السماء ويدعو ويتضرع حتى يقع على وجهه، وهو قوله عز وجل: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)[٢].

وإذا عشنا بصدق معنى الاضطرار لظهور الإمام (عليه السلام) وإقامة دولته المباركة ودعونا بتعجيل ظهور الإمام (عليه السلام) فإن الآية المباركة ستجري حتماً (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (الروم:٤).[٣]

وجاء في إحدى خطاباته المباركة (دام ظله) وهو يستعرض تحديات المؤمنين ومعاناتهم مع قوى الإستكبار الظالمة في الماضي والحاضر ، ويبشر المؤمنين بوعد الله القادم على يد الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) على ضوء قول الله تبارك وتعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: ١٨١، ح ٣٠.

(٢) تفسير البرهان: ١٧٣/٧-١٧٤.

(٣) خطاب المرحلة، المرجع اليعقوبي (دام ظله)، ج١٢، ص(٢٠٤ – ٢٠٦).

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور : ٥٥).

(يتعرّض المؤمنون في حياتهم إلى ضغوط عديدة من قبل أعدائهم وخصومهم في الفكر والعقيدة، وهذه الضغوط قد تكون على نحو الاستهداف بالقتل والتشريد والسجن والإرهاب، وقد تكون على نحو صناعة المشاكل الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية والشبهات العقائدية، وقد تكون على نحو التجويع والحصار الاقتصادي وحرمان الإنسان من حقه في حياة حرة كريمة، وغير ذلك. ولا يتوقف الخصوم والأعداء عن هذه الممارسات التي تأخذ أشكالاً متعددة قوية عنيفة تارة وناعمة خفية تارة أخرى؛ حتى يهيمنوا على المؤمنين ويتسلّطوا عليهم ويجرّدوهم من عقيدتهم وأخلاقهم ويحبطوا مشروعهم الإصلاحي ويذوّبوا هويّتهم على طريقة العولمة التي يتحدثون اليوم عنها، قال تعالى: [وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ] (البقرة:٢١٧). . . وفي ظل هذه الضغوط يعيش المؤمنون حالة من الضيق والقلق والخوف واليأس من نجاح مشروع الهداية والإصلاح فيأتي هذا الوعد الإلهي المذكور في الآية ليطمْئنهم ويعيد إليهم الثقة بالنفس ويزرع في قلوبهم التفاؤل والأمل حتى يثبتوا على إيمانهم ويستمروا في أداء رسالتهم، ولا شك أن هذا الوعد حق لا يمكن أن يتخلف [وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً] (النساء : ١٢٢) [لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ] (الروم:٦) [إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ] (آل عمران: ٩) (الرعد:٢١). نعم قد تطول المدة حتى يتحقق هذا الوعد الإلهي ولو في بعض مراتبه؛ لأن بناء المجتمع الصالح يحتاج إلى جهود مضنية وعمل دؤوب مع صبر ومصابرة ومرابطة وإلى زمن لتتحقق شروطه وظروفه ومقوماته، فعلى المؤمنين أن يستمروا بعملهم والقيام بمسؤولياتهم وليس عليهم توقيت النتائج أو استعجال حصولها.

والوعد الذي تشير إليه هذه الآية التي نزلت في المدينة ذكرته آيات سبق نزولها في مكة[١] كالذي تضمنه قوله تعالى: [وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ] (القصص:٥-٦) وقد كان المسلمون يومئذٍ قلة معدمين تلاحقهم قريش فتعذبهم وتحاصرهم وتصادر أموالهم وتقتلهم [وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] (الأنفال: ٢٦)، فوعد الله تعالى المؤمنين بالأمور التي ذكرتها الآية:

١- الاستخلاف في الأرض بأن تكون بأيدي المؤمنين الصالحين العاملين الإمكانيات المادية والمعنوية التي يستطيعون بها إعمار الأرض وتوفير الحياة الكريمة للبشرية جمعاء.

٢- تمكين الدين الذي ارتضاه تعالى لهم وهو الإسلام والانقياد لله تعالى: [وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً] (المائدة:٣) ويتحقق تمكين الدين بثباته واستقراره في القلوب والنفوس وعندما تكون له القيمومة والسيادة على الأنظمة والقوانين والدساتير التي وضعها البشر بقصورهم وتقصيرهم.

٣- الحرية في الإيمان بالعقائد الحقة وممارسة العبادة الخالصة لله تعالى ونبذ الشركاء جميعاً سواء كانوا أصناماً حجرية أو بشرية أو طواغيت أو أهواء أو عصبيات أو تقاليد، ويقترن ذلك بالأمن من الخوف وزوال الضغط والإرهاب عنهم وتأثير الشبهات والضلالات عليهم.

---

(١) كقوله تعالى: [وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] (الأنبياء: ١٠٥) وقوله تعالى: [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ] (الصافات: ١٧١-١٧٣).

هذا في الدنيا أما في الآخرة فينبئك الله بتحقق وعده [وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ] (الزمر:٧٤). لكن الوعد الإلهي بتحقيق هذه الأمور لا يتم بمجرد ادعاء الإيمان أو الاكتفاء بممارسة العبادات والشعائر الظاهرية من دون أن يتحول إلى حركة فاعلة دائبة تنطلق من منهج متكامل للحياة فيجعل المرجعية للدين الحق في كل شؤون الحياة وتفاصيلها وفي كل عوالم الإنسان وسلوكه حتى في مشاعره وعواطفه وميوله فيجعل الله تعالى نصب عينيه ويجعل هدفه الوحيد تحقيق مرضاة الله تعالى وتجنب معصيته وغضبه سبحانه، لذا ذكرت الآية [منكم] أي ليس كلكم وإنما بعضكم الذي توفّرت فيه هذه الصفات.

أما من ينتسب إلى الإسلام وربما الانتماء لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وربما يقيم الصلوات ويشارك في إحياء الشعائر الدينية لكنه يظلم الناس ويتجاوز على حقوقهم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يطبق أحكام الله تعالى في القضايا والوقائع فإنه ليس مشمولاً بهذا الوعد الإلهي لأن الخطاب موجّه إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر [قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ] (الحجرات:٤). . . إننا نتلمّس اليوم بوضوح جملة من علامات تحقق هذا الوعد الإلهي بإظهار الدين الذي ارتضاه على كل الأنظمة الوضعية المصطنعة وتمكين المؤمنين الصالحين من أخذ دورهم في إعمار الأرض بما ينفع البشرية كلها ويعبّد لها طريق الهداية والصلاح، ومن تلك العلامات:

١- وصول صوت أهل البيت (عليهم السلام) إلى جميع الشعوب حتى تتعرف على المبادئ الإنسانية السامية التي يريدون إقامتها مما ولّد مقبولية واسعة لهذه المدرسة

المباركة لدى الشعوب وإقبالاً متزايداً على الانتماء لها.

٢- تصاعد مستوى الشجاعة والتضحية في سبيل الله وحماية المقدسات وامتلاك المبادرة والإقدام والشعور بالمسؤولية لدى المستضعفين، وقد تجلّى كل ذلك في العمليات التي تخوضها قواتنا المسلّحة بكل صنوفها وأبطال الحشد الشعبي وقوافل الدعم اللوجستي خصوصاً في معارك الموصل الأخيرة حيث اعترف قادة جيش أقوى دولة في العصر الحديث بأن هذه المعركة تصعب على أي جيش في العالم مع ما رافقها من النبل وسمو الأخلاق والتضحية من أجل الإنسان أي إنسان بغضّ النظر عن دينه وطائفته وقوميته.

٣- تنامي حالة الوعي واليقظة لدى الأمة وإدراك تحديات المرحلة ومتطلباتها وهذه الحالة وإن كانت في بداياتها إلا أنها تبشّر بخير بإذن الله تعالى.

٤- ظهور علامات الضعف والضمور والتفكك عند الدول المستكبرة وازدياد مشاكلها التي تعجز عن حلّها فتحاول التخلص منها بتصديرها إلى الخارج.

لكي نساهم في تحقق هذا الوعد الإلهي واكتماله بظهور منقذ البشرية بقية الله في أرضه وحجته على خلقه إمامنا المهدي الموعود (أرواحنا له الفداء) فعلينا أن نبذل قصارى جهودنا في إدامة وتعزيز هذه العلامات المذكورة، وقد ذكرت آية كريمة أخرى صفات وأعمال الذين يُمكَّنُ لهم في الأرض، قال تعالى: [الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ] (الحج:٤١). وعلينا أيضاً أن نتجنب كل ما يعرقل هذه الحركة المباركة نحو التكامل من عصيان وتمزق وتشتت وصراعات وخوض في الباطل واتباع للشهوات والأهواء وأن نعي مؤامرات الأعداء ونحذر منها وهي كثيرة وخطيرة ومعقدة لكنها

لا تخفى على القيادة الرشيدة وأهل البصائر. .).[١]

كما تعرض سماحته (دام ظله) في خطابه الفاطمي الجماهيري لبيان حال المؤمنين المستضعفين وكيفية وراثتهم للأرض بوعد إلهي حتمي، وبسنة ثابتة على ضوء بعض الآيات الكريمة من سورة القصص الشريفة، حيث جاء فيه:

(. . . لما كانت الآيات القرآنية لا تختص بزمان دون زمان وإنما تعالج حالات وظواهر وتبيّن سنناً قابلة للتكرار في كل زمان إذا توفرت أسبابها وظروفها، فإن الآية. . . : (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (القصص/٥-٦) تعطي للحديث معنىً آخر ملؤه التفاؤل والأمل وفيه وعد بالنصر والتمكين في الأرض ووراثتها ومن عليها واستعادة الحق لأهله وجعل الأئمة والقادة منهم لأن الإرادة الإلهية تعلقت بذلك (ونريد) فلا تتخلف (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ)(الروم٦)، فوصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)أهل بيته بالمستضعفين فيه إشارة الى انطباق الآية عليهم (عليهم الصلاة والسلام) ولعلهم مقصودون أكثر من موسى وهارون (عليهما السلام) بالوعد الإلهي لورود كلمة (منهم) فيها وليس (منه) أو (منهما) فيما لو كان المقصود موسى (عليه السلام) أو هو وأخاه هارون، بل أن لفظ الحديث يفيد حصر الوصف بهم (عليهم الصلاة والسلام) كما لا يخفى على المتأمل في الحديث، ويجعلهم أيضاً المقصودين بالآية الشريفة. هذه سنة إلهية ثابتة، في عباده المستضعفين واعدائه المستكبرين قال تعالى (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى

(١) خطاب المرحلة، ج١٠، ص٢٣٠ وما بعدها ، رقم (٥١١): (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ) الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين).

عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ) (الأعراف١٣٧).

وكان الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) يصرِّحون بهذا المعنى في عدة روايات ليطمئنوا شيعتهم ويزرعوا الأمل فيهم ويدفعوهم الى العمل المثمر وليردعوا أعداءهم عن الظلم، ففي معاني الأخبار للصدوق بسنده عن المفضّل قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر إلى علي والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) فبكى، وقال: أنتم المستضعفون بعدي) قال المفضّل فقلت له: وما معنى ذلك يا ابن رسول الله قال معناه: أنكم الأئمة بعدي إن الله عز وجل يقول (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة). [1] وفي مجمع البيان. . صحت الرواية عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال (والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها – أي امتناعها- عطف الضروس[2] على ولدها، ثم تلى الآية. وفي كتاب الغيبة للطوسي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير الآية قال (هم آل محمد يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزَّهم ويذل عدوهم)[3].

والآية جارية بعد الأئمة (عليهم الصلاة والسلام)في شيعتهم، روي عن أمير المؤمنين (عليهم الصلاة والسلام) قوله (من أراد أن يسأل عن أمرنا وأمر القوم- اي خصومهم - فإنا وأشياعَنا يوم خلق الله السماوات والأرض على سنة موسى وأشياعه، وإن عدونا

---

(١) معاني الأخبار: ٧٩ باب ٣١ ح ١.

(٢) وهي الناقة سيئة الخلق تعض حالبها فإذا كانت كذلك حامت عن ولدها، وقيل الضروس الناقة يموت ولدها أو يذبح فيحشى جلده فتدنو منه وتعطف عليه.

(٣)) نور الثقلين: ١١٠/٤

وأشياعه يوم خلق الله السماوات والأرض على سنة فرعون وأشياعه فنزلت فينا هذه الآيات)[١]. وقال سيد العابدين علي بن الحسين (عليه السلام): (والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، ان الأبرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وان عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه). [٢]

فالخصم قد تكون له جولة يغلب فيها وتكون بيده السلطة ويحكم قبضته على أولياء الله تعالى، ويستضعفهم وقد تطول مدة فرعنته ولكن الدولة والنصر والغلبة يكون في النهاية لأهل الحق الذين استضعفوا ويذهب ما سواه جفاءاً كالزبد.

وإنما سموا مستضعفين لأن أعدائهم يتوهمون فيهم الضعف بعد أن يسلبوهم كل أسباب القوة الظاهرية من السلطة والمال والنفوذ ويحاصروهم ويطوقوهم فيستكبرون عليهم ويظلمونهم، وهم ليسوا ضعفاء في ذاتهم بل انهم يملكون اسباب القوة، لكن لهم دين وورع وأخلاق وخوف الله تعالى يجعلهم يقدمون المصالح العليا للدين والمجتمع على المصالح الشخصية، ويمنعهم عن اتباع أساليب المكر والخداع لتحقيق مآربهم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفةً فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعةٍ تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً). [٣] وعنه (عليه السلام) قال في الثناء على أحد أصحابه المخلصين: (كان لي فيما مضى أخ في الله وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجدّ فهو ليث غاب، وصلّ واد). [٤]

---

(١)) بحار الانوار: ١٧٠/٢٤ ح٨

(٢) مجمع البيان: ٣٧٥/٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٩.

. . . فتمكينهم في الأرض تكون له بركات وآثار تكشف عن صدق نياتهم وإخلاصهم في أهدافهم وثباتهم على الاستقامة التي أمرهم الله تعالى بها وعدم انخداعهم بالدنيا البرّاقة التي تتزيّن لهم إذا مُكّن لهم في الأرض وهذه الخصائص هي:

١-(أقاموا الصلاة) فهم لا يكتفون بأداء الصلوات المفروضة عليهم كتكليف شخصي، وإنما يبذلون جهدهم لحث الناس جميعاً على الالتزام بها والمواظبة عليها وجعل الصلاة وجوداً اجتماعياً مؤثراً في حياة الناس ورادعاً لهم عن الفحشاء والمنكر ويشعر الجميع بمسؤوليتهم عن إقامته والمحافظة عليه، وأوضح مصداق لهذا الوجود صلاة الجمعة التي لا تؤدّى إلا جماعة وبحضور امة كبيرة من الناس مما يجعل لها كياناً مؤثراً في حياتهم، وهذا ما جرّبه المجتمع العراقي عندما أقيمت فيه صلاة الجمعة المباركة.

٢-(وآتوا الزكاة) بأن أخرجوا ما في ذممهم من حقوق شرعية وأقنعوا الآخرين بفعل ذلك وحثّوهم عليه وساعدوهم في إيصال هذه الأموال إلى مستحقّيها وانشئوا بها المشاريع الاقتصادية التي تؤدي إلى رفاه الناس وتوفير فرص العمل المناسبة والحياة الكريمة لهم.

(وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فلم يتركوا أهل المنكر يفعلون ما يشاؤون بل وعظوهم وزجروهم واتخذوا الإجراءات الكفيلة بردعهم حتّى لو اقتضى الأمر معاقبتهم، ولم يجاملوا أو يداهنوا كما يفعل الكثير من المتصدين اليوم تحت عناوين مخادعة كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني وفصل الدين عن الدولة والحداثة والعصرنة والتقدم ونحوها من الخدع والأباطيل.

٣-(وأمروا بالمعروف) وهو كل أمر مستحسن شرعاً وعقلاً وأقرّهُ العرف، ونشروه

بين الناس وعرّفوهم به وأيقظوهم من غفلتهم وأرشدوهم إلى ما يصلح دنياهم وآخرتهم وعلموهم أحكام الدين وفضائل أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ومناقبهم وسيرتهم العطرة، واقنعوهم باتباع القيادة الحقّة. هؤلاء هم من ينصرهم الله تعالى ويعزّهم ويؤيدهم ويمكن لهم في الأرض). (١)

واتماماً للفائدة نستعرض فيما يلي جملة من الآيات القرآنية الكريمة المرتبطة بالإمام المهدي (عليه السلام) التي ورد تفسيرها أو تأويلها عن طريق أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) والتي تتعلق بظهور الإمام (عليه السلام) أو بغيبته أو بقيامه أو بدولته المباركة:

١. (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء، ١٠٥) روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): (يقصد من عبادي الصالحون هم أصحاب الإمام المهدي في آخر الزمان). (٢)

٢. (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (القصص،٥) في رواية عن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام): (هم آل محمد يبعث الله مهديهم بعد جهدهم، فيعزهم، ويذل عدوهم). (٣)

٣. (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ. . .) (النور،٥٥) قال الشيخ الطوسي نقلا عن أهل البيت (عليهم السلام) أن الآية تتحدث عن مهدي آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم). (٤)

٤. (. . . أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا. .) (البقرة، ١٤٨) ورد عن الإمام

---

(١) خطاب المرحلة، ج٩، ص٢٤٩ وما بعدها، خطاب رقم (٤٤٥): (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ) السيدة الزهراء (عليها السلام) و وراثة المستضعفين).

(٢) تأويل الآيات الظاهرة، الأسترآبادي ، ج ١، ص ٣٣٢.

(٣) الغيبة، الطوسي، ص ١٨٤.

(٤) التبيان، الطوسي، ج ٧، ص ٤٥٧.

الصادق (عليه السلام) أن الآية نزلت في القائم وأصحابه، وأنهم يجتمعون في ساعة واحدة.[١]

٥. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران، ٢٠٠) ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام): (اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا عدوكم ، ورابطوا إمامكم المنتظر).[٢]

٦. (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة، ٣٣) (الصف، ٩) حيث سيصبح الإسلام في دولة الإمام المهدي عالمياً.[٣]

٧. (وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّـهِ) (إبراهيم، ٥) روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): (أَيَّامُ اللّهِ ثَلاَثَةٌ: يَوْمٌ يَقُومُ الْقَائِمُ، وَ يَوْمُ الْكَرَّةِ أي: الرجعة، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ).[٤]

٨. (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) (الحجر، ٣٦-٣٨) روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن الوقت المعلوم فُسّر بوقت قيام القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).[٥]

٩. (. . . وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) (الإسراء، ٣٣). تتحدث بعض الروايات أن الآية الكريمة تتعلق بالإمام الحسين (عليه السلام) والإمام المهدي (عليه السلام) فهو الذي يأخذ بثأر جده سيد الشهداء

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨ ٣١٣.

(٢) الغيبة، النعماني، ص ١٩٩.

(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٢، ص ٣٣٨.

(٤) البرهان، البحراني، ج ٣، ص ٢٨٦.

(٥) تفسير العياشي، العياشي، ج ٢، ص ٢٤٢.

(عليه السلام). [١]

١٠. (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (الإسراء، ٨١) روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية أنه إذا قام القائم (عليه السلام) ذهبت دولة الباطل. [٢]

١١. (قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ) (طه، ١٣٥) في رواية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) اعتبر الصراط السوي هو القائم (عليه السلام) والهدى من اهتدى إلى طاعته. [٣]

١٢. (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لقمان، ٢٠) في رواية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) فسَّر النعمة الباطنة بالإمام الغائب (عليه السلام). [٤]

١٣. (وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) (العنكبوت، ١٠) في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن المقصود من نصر من ربك هو القائم. [٥]

١٤. (وَيُرِيدُ اللَّـهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) (الأنفال، ٧-٨) جاء في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الآية الكريمة أن المقصود يبطل الباطل هو إمام الزمان (عليه السلام). [٦]

١٥. (فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) (المدثر، ١٠-٨) روي عن

---

(١) كامل الزيارات، ابن قولويه، ، ص ٦٣.

(٢) الكافي، الكليني، ج ٨، ص ٢٨٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة، الأسترآبادي، ص ٣١٧.

(٤) كمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٥) تفسير القمي، القمي، ج ٢، ص ١٤٩.

(٦) تفسير العياشي، العياشي، ج ٢، ص ٥٠.

الإمام الصادق (عليه السلام) أن الآية تشير إلى ظهور إمام الزمان (عليه السلام) وقيامه (عليه السلام). [١]

١٦. (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) (الجن، ٢٤) اعتبر الإمام الكاظم (عليه السلام) في رواية وردت عنه، أن المقصود من الآية هو إمام الزمان (عليه السلام) وأنصاره. [٢]

١٧. (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ) (الملك، ٣٠) وردت روايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فُسرت هذه الآية الشريفة بظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ونشر العدل في العالم. [٣]

١٨. (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّـهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف، ٨) ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) عن قوله تعالى: (وَاللّـهُ مُتِمُّ نُورِهِ) أن المقصود منه ولاية الإمام القائم (عليه السلام). [٤]

١٩. (اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (الحديد، ١٧) في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) فسّرت هذه الآية الكريمة بأن الأرض تحيى بالإمام المهدي (عليه السلام). [٥]

٢٠. (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) (الرحمن، ٤١) عند القيام يهب الله معرفة سيما المجرمين لإمام الزمان (عليه السلام). [٦]

---

(١) الكافي، الكليني، ج ١، ص ٣٤٣.

(٢) لكافي، الكليني، ج ١، ص ٣٤٣.

(٣) نور الثقلين، الحويزي، ج ٥، ص ٣٨٧.

(٤) الكافي، كليني، ج ١، ص ٤٣٢.

(٥) تفسير نور الثقلين، الحويزي، ج ٥، ص ٢٤٢.

(٦) بصائر الدرجات، الصفار القمي، ج ١، ص ٣٥٦.

٢١. (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) (ق ٤١-٤٢) ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن الصيحة صيحة القائم من السماء، ويوم الخروج هي الرجعة. (١)

٢٢. (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الفتح،٢٥) وفي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) ورد أن المقصود من الآية تأخير جزاء المنافقين والكفار حتى يخرج المؤمنون من أصلابهم. (٢)

٢٣. (قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّـهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الجاثية، ١٤) ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن قيام إمام الزمان (عليه السلام) من أيام الله. (٣)

٢٤. (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (الزخرف، ٦٦) في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) فسّرت الساعة بظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وقيامه. (٤)

٢٥. (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ) (الشورى، ٤١) بناء على رواية وردت عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير القمي أن الآية تشير إلى أن الإمام الزمان (عليه السلام) يأخذ الثأر من بني أمية والناصبين والمكذبين. (٥)

٢٦. (لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (فصّلت، ١٦) فُسِّر (عذاب الخزي)

---

(١) تفسير القمي، القمي، ج ٢، ص ٣٢٧.

(٢) تفسير نور الثقلين، الحويزي، ج ٥، ص ٧٠.

(٣) الأسترآبادي، تأويل الآيات الظاهرة، ص ٥٥٨-٥٥٩.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة، الأسترآبادي، ص ٥٥٢.

(٥) تفسير القمي، القمي، ج ٢، ص ٢٧٨.

بعذاب المخالفين اللجوجين في هذا الدنيا قبل قيام إمام الزمان (عليه السلام). [١]

٢٧. (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) (ص، ٨٨) في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) أن المقصود «وَلَتَعْلَمُنَّ» أي حين خروج القائم (عليه السلام). [٢]

٢٨. (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) (سبأ، ٥١) وردت روايات عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام الباقر (عليه السلام) تبين أن من مصاديق هذه الآية الكريمة هو خروج السفياني عند قيام الإمام المهدي (عليه السلام). [٣]

٢٩. (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) (السجدة، ٢٩) روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على يد الإمام القائم. [٤]

٣٠. (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (السجدة، ٢١) روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن المقصود من العذاب الأكبر هو خروج القائم (عليه السلام) بالسيف في آخر الزمان. [٥]

٣١. (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (الروم، ٤) بناء على رواية وردت عن الإمام الصادق (عليه السلام) المقصود من فرحة المؤمنين في ذلك اليوم هو قيام القائم (عليه السلام) وظهوره. [٦]

٣٢. (إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) (الشعراء، ٤)

---

(١) الغيبة، النعماني، ص ٢٦٩.

(٢) الكافي، الكليني، ج ٨، ص ٢٨٧.

(٣) تفسير العياشي، العياشي، ج ٢، ص ٥٧.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة، الأسترآبادي، ص ٤٣٨.

(٥) البرهان، البحراني، ج ٤، ص ٤٠١.

(٦) دلائل الإمامة، الطبري، ص ٤٦٤-٤٦٥.

روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أن الآية الكريمة نزلت في قائم آل محمد (عليه السلام)، وينادى باسمه من السماء. (١)

٣٣. (أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) (الشعراء، ٢٠٥-٢٠٧) ورد في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير الآية «ما كَانُوا يُوعَدُون» أي ظهور إمام الزمان (عليه السلام) وقيامه، وفسرت «ما كَانُوا يُمَتَّعُون» ببني أمية. (٢)

٣٤. (وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّـهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ) (يونس، ٢٠) ورد في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) فسّر الغيب بالإمام القائم (عليه السلام). (٣)

٣٥. (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّـهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) (النحل، ٤٥) في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) حول تفسير الآية الكريمة ورد أنها تشير إلى ظهور رجل من آل محمد (عليه السلام) ومعه (١١٣) رجلاً، كما تشير الرواية إلى الخسف بالبيداء أيضاً. (٤)

٣٦. (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النحل،١) روي عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) المقصود من أمر الله تعالى هو ظهور إمام الزمان (عليه السلام). (٥)

٣٧. (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، الأسترآبادي، ص ٣٨٣-٣٨٤.

(٢) إلزام الناصب، اليزدي الحائري، ج ١، ص ٧٩.

(٣) كمال الدين، الصدوق، ج ١، ص ١٨.

(٤) تفسير العياشي، العياشي، ج ١، ص ٦٥-٦٦.

(٥) الغيبة، النعماني، ص ١٩٨.

يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف، ١١٠) في رواية عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أن المؤمن في عصر الغيبة يعاني من حياة صعبة، فيُفرج عنه بالنصر الإلهي وهو (ظهور إمام الزمان (عليه السلام). [١]

٣٨. (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) (الأنعام، ١٥٨) روي أن الإمام الصادق (عليه السلام) اعتبر أن المقصود من يوم في قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) هو يوم ظهور القائم (عليه السلام). [٢]

٣٩. (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (الحج،٣٩) روي أن الإمام الصادق (عليه السلام) اعتبر هذه الآية الكريمة تتحدث عن الإمام القائم (عليه السلام)؛ إذ أنه يخرج للطب بثأر الإمام الحسين (عليه السلام). [٣]

٤٠. (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) (الطارق، ١٥-١٧) ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن المقصود من إمهال الكافرين هو تأجيلهم حتى ظهور إمام الزمان وخروجه (عليه السلام). [٤]

٤١. (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل، ٦٢) ورد في بعض الروايات الشريفة أن الآية فُسرت بقيام الإمام المهدي (عليه السلام)، والمقصود من المضطر هو إمام الزمان (عليه السلام). [٥]

---

(١) دلائل الإمامة، الطبري، ص ٤٧١.

(٢) كمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٣٥٧.

(٣) إلزام الناصب، الحائري اليزدي، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٤) تفسير القمي، القمي، ج ٢، ص ٤١٦.

(٥) تفسير نور الثقلين، الحويزي، ج ٤، ص ٩٤.

كيف نستثمر القضية المهدوية بشكل ايجابي، وماهي فلسفة الانتظار؟

لقد أكد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) في أحاديث عديدة رويت عنهم حول مسألة (انتظار الفرج) والذي هو فَرَج تحقق إصلاح حال البشرية وظهور الحق واستتباب العدل في أرجاء الأرض على يد المصلح الكبير والمخلص الموعود من آل محمد(عليهم السلام)، ونذكر فيما يلي بعضاً من هذه الروايات الشريفة التي وردت عنهم (عليهم السلام):

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (انتظار الفرج بالصبر عبادة).
- وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل العبادة انتظار الفرج).
- وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل).
- عن الإمام علي (عليه السلام): (انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج).
- وعنه (عليه السلام): (أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله).
- عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): (انتظار الفرج من أعظم الفرج).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من دين الأئمة الورع والعفة والصلاح. . . وانتظار الفرج بالصبر).
- وعنه (عليه السلام): (افترق الناس فينا على ثلاث فرق: فرقة أحبونا انتظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا، فسيحشرهم الله إلى النار، وفرقة أحبونا وسمعوا كلامنا، ولم يقصروا عن فعلنا، ليستأكلوا

الناس بنا، فيملأ الله بطونهم نارا يسلط عليهم الجوع والعطش، وفرقة أحبونا وحفظوا قولنا، وأطاعوا أمرنا، ولم يخالفوا فعلنا، فأولئك منا ونحن منهم).

- وعنه (عليه السلام): (المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يذب عنه)
- وعنه (عليه السلام): (من مات منتظرا لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه، لا بل كان بمنزلة الضارب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيف).
- عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (انتظار الفرج من الفرج).

والمُلاحَظ في هذه الروايات الشريفة التي يجمعها عدة قواسم مشتركة، أنها جعلت مسألة الانتظار برنامج عملٍ يجب أن يتخذه المنتظرون المؤمنون زمن غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) في حين إن الانتظار وفق الفهم التقليدي الساذج إنما هو عملية سلبية تقتضي الانكماش والعزلة وعدم التحرك والفاعلية بخلاف ما حدثنا به المعصومون (عليهم السلام) في أحاديثهم الشريفة، حيث أمروا بالعمل الجاد والدؤوب بتهيئة الأرضية للمُنتَظر القادم وضرورة إعداد النفس والمجتمع لليوم الموعود، ونضرب على ذلك مثالاً توضيحياً؛ لو أنك أُخبرت أن شخصاً ما سوف يحل عليك ضيفاً وهو الآن في طريقه إليك، فما هي ردة فعلك الطبيعية تجاه هذا الأمر. فعادة الناس عند هكذا موقف تقوم عملياً بإعداد اللازم وتهيئة البيت وتنظيفه وإعداد الطعام وتهيئة الفراش ونحو ذلك من لوازم الراحة، وكلما كان الضيف عزيزاً وصاحب مقام رفيع وكان غائباً لفترة طويلة من الزمن كان الاهتمام به أكثر. هذا هو معنى الانتظار الايجابي للضيف القادم، وليس من عادة العقلاء أنهم في مثل هكذا مواقف تكتفي بترقب مجيء الضيف دون حراك ودون تحضير للمستلزمات الضرورية له التي اسلفنا ذكرها، وهذا المثال يقرب لنا بشكل كبير ما نريد قوله تجاه مفهوم الانتظار الايجابي.

وعندما نطالع رأي المرجع اليعقوبي في مسألة الانتظار نجده يُحلِّل هذا المفهوم بعمقٍ ونظرةٍ ثاقبةٍ تنير للمنتظِرين طريقهم الذي يجب عليهم أن يسلكوه في زمن الغيبة الشريفة.

وفيما يلي نذكر إحدى كلماته (دام ظله) التي تعلمنا كيف ينبغي أن نستثمر انتظارنا بشكل ايجابي، حيث قال (دام ظله): (إن التعاطي مع القضية المهدوية له شكل سلبي وآخر إيجابي، أما السلبي فهو تحوّلها إلى مادة للجدل والتحليلات المبنيّة على الأوهام والظنون وما يستدعي ذلك من الادعاءات الفارغة والعناوين المزعومة، التي تشوّش على العامة من الناس وتدفعها إلى ارتكاب الحماقات وأما الإيجابي وهو شحذ الهمة في طاعة الله تعالى ليكون ممن يحظى برضا الإمام (عليه السلام) ويمهّد لدولته المباركة وليأمن من الانحراف والزلل في المنعطفات والمفاصل التي تمرّ بها مسيرة الأمة. والمؤسف أنّ الشكل الأول هو السائد وعلامته التقاعس والكسل عن أداء الوظائف المطلوبة من المؤمن). [1]

ومن صور التعاطي الايجابي التي ينبغي أن نتعامل على وفقها مع البلاء، والتي يوجهنا المرجع اليعقوبي(دام ظله) لاتخاذها كمنهج سليم في حياتنا، هو أن يسهم البلاء في تربيتنا وإعدادنا لتحمل أعباء واستحقاقات حركة الإمام المهدي (عليه السلام) العالمية التي ستنطلق من عاصمته في العراق. أما الصور السلبية للتعاطي مع البلاء فهي إعراض الناس عن ذِكر الله تعالى وعن إقامة شعائر أهل البيت (عليهم السلام) فينزل بهم البلاء لإعادتهم إلى الطريق الصحيح ويكون حينئذ رحمة بهم، لا انتقاماً منهم.

كما صحَّح المرجع اليعقوبي المفهوم الخاطيء للإنتظار والذي يعتقد به الكثيرون للأسف الشديد، وذلك بطرح التعريف الصحيح والمعنى الأصيل لمفهوم الانتظار

(١) خطاب المرحلة، ج٨، ص٨، خطاب رقم: (٣٣٩) (إن أمر الإمام المهدي (عليه السلام) أبين من الشمس).

لكي يزيل اللبس والتوهم الذي يقع في أذهان أبناء المجتمع الإسلامي، ويرشدهم لتبني فكرة الانتظار البنّاء والايجابي، وفيما يلي نذكر بعضاً من كلماته (دام ظله) في هذا الصدد:

- (لنعمل بهمّة وإخلاص لإصلاح ما فسد من أمورنا تمهيداً لقيام صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فإنه ينتظرنا كما ننتظره، ينتظر منا النصرة والتمهيد والتمكين وتوطيد الأرض ونشر راية الهدى، كما أن جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) لما وجد النصرة الصادقة من أهل يثرب هاجر إليهم وأقام فيهم دولة الحق والعدل). [١]
- (مفهوم الانتظار الذي اقترن في أذهان الأجيال بالسلبية والانكماش والتخلي عن ممارسة وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو في الحقيقة عكس ذلك إذ يتضمن معناه في بعده العملي السعي الجاد للإصلاح والتغيير والتمهيد لإقامة دولة العدل الإلهي). [٢]
- (وردت أحاديث كثيرة[٣] في فضل انتظار الفرج منها ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): (أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج) وروي عنه (صلى الله عليه وآله): (أفضل العبادة انتظار الفرج) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج ما دام عليه العبد المؤمن، والمنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله). وقد فهم الكثيرون من هذه الأحاديث معنىً سلبياً هو الانكماش والعزلة وعدم التحرك لإزالة الظلم والانحراف وتذرّعوا لذلك بفهم غير ناضج

---

(١) العدد (٩٤) من صحيفة الصادقين.

(٢) خطاب المرحلة، ج٧، خطاب بعنوان: (السيد الشهيد الصدر الثاني (قس الله نفسه) وتصحيح المفاهيم).

(٣) جُمعت من مصادرها في كتاب المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، الفصل ١٥، صفحة ٤١٣ وما بعدها.

لبعض المفاهيم كالتقية ولبعض الأحاديث الشريفة كروايات (كل راية قبل ظهور القائم فهي راية ضلالة)، فعطّلوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما أوجب اتهام الشيعة بالخنوع والاستسلام والركون للظلم والذل، مع أن واقع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) على عكس ذلك تماماً فهي التي تتصف بالحركية والنطق بالحق والتفاعل مع قضايا الأمة ابتداءً من زمن المعصومين (عليهم السلام) حتى عصرنا الحاضر ولم تتخلف عن ذلك إلا فترات بسيطة لسبب أو لآخر. بينما كان الآخرون منساقين وراء رغبات الحكّام سائرين في ركابهم حتى بدأ عندهم الوعي الإسلامي منذ أقل من قرنين من الزمان وسمّوه بالصحوة الإسلامية، ولا يخلو التعبير بالصحوة من إشارة إلى حالة سابقة من الخمول والركود). [1]

- (إن الانتظار حالة إيجابية وهو يستبطن عملياً معنى الاستعداد ولو لم يكن كذلك لما حظي بالمنزلة الرفيعة في الأحاديث الشريفة. ولنأخذ أمثلة من حياتنا على هذا المعنى. فحينما نقول أننا ننتظر الامتحانات العامة فإن هذا يعني أن يكون الطلبة في ذروة الاستعداد لها فيجدّون ويجتهدون ويوفّر لهم ذووهم كل الظروف التي تساعدهم على تحقيق أفضل النتائج، وتنهمك إدارات المدارس في إعداد القاعات والأسئلة والمشرفين وغيرها، وهكذا تجد كل من له علاقة بالموضوع منهمكاً في أداء عمله وما تقتضيه وظيفته. وحينما تنتظر دولة إقامة فعالية ضخمة كدورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت قبل أسابيع في الصين فتجد الدولة كلها مستنفرة في الاستعداد لإقامتها بأحسن حال وتنفق الحكومة المليارات في بناء الملاعب والفنادق وتهيئة المدن وغيرها، وهذا كله مع أن كثيراً من هذه الألعاب عبارة عن سراب يحسبه الظمآن ماءً أو أوهام صنعها الإنسان ليخدع بها نفسه وتتضمن كثيراً من المعاصي

(١) خطاب المرحلة، ج٥، ص(٣٦٦-٣٦٧)، خطاب رقم (٢٠٤): (المعنى الإيجابي لانتظار الإمام (عليه السلام).

زيّنها لهم الشيطان: [وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ. .] (الأنفال:٤٨) [وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (إبراهيم:٢٢). أقول: إذا كانت الأوهام الباطلة تستحق كل هذا الاستعداد وتحشيد الطاقات وإنفاق الأموال الطائلة، فماذا يعني انتظار اليوم الموعود وأمل الإنسانية الذي لا يعني فقط انتظار إمام عظيم هو بقية الله في أرضه وحجته على عباده – وهذا بحد ذاته يتطلب استعدادات ضخمة–، بل يعني إضافة إلى ذلك انتظار مشروع عظيم مبارك يتوّج جهود الأنبياء والرسل والأئمة والصالحين ويحقق الوعد الإلهي بإقامة دولة الحق والعدل ومحق الفساد والانحراف والظلم. لا شك أن استقبال قائد عظيم كالإمام (أرواحنا له الفداء) ومشروع خالد كدولته المباركة يستحق منا شيعته التوّاقين لرؤية طلعته المباركة ونصرته والكون في طليعة جنده أن نستعد بحسب ما تقتضيه وظيفتنا وموقعنا. فالحوزة العلمية والفضلاء والمبلغون ينتشرون في كل ناحية لنشر تعاليم الدين والأخلاق الفاضلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يساعدهم في ذلك الشباب الواعي الرسالي مستفيدين من وسائل الاتصال المتقدمة وشبكات الإنترنت لإيصال صوت أهل البيت (عليهم السلام) إلى كل مكان في العالم. والمتصدّون للحكم يبذلون قصارى جهودهم في بناء دولة المؤسسات المزدهرة المتحضرة التي تسودها العدالة والإنصاف والرحمة وبذل الوسع في خدمة الناس وإسعادهم. والطلبة يجدّون ويجتهدون لبناء مجتمع يمتلك الطاقات المبدعة القادرة على الإعمار والبناء في كل نواحي الحياة ويُغَطّون مختلف الاحتياجات. والأغنياء والمتمولون ورجال الأعمال

يكثّفون جهودهم في الاستثمار لإعمار الحياة وتهيئة أسباب السعادة للناس وخلق فرص العمل وتفجير الطاقات وتشغيل العاطلين ويساهمون في دعم هذه الحركة المباركة، وهكذا. إن الفهم الخاطئ لفكرة الانتظار والتقية والعزلة وغيرها تُعدُّ من الأغلال الفكرية التي تقيّد حركة الإسلام المباركة مضافاً إلى القصور والتقصير الذاتيين، وما لم نحطّم الأغلال ونكسر القيود فإننا لا نستطيع أن نتحرك، وما بِعثة الأنبياء والرسل (صلوات الله عيهم أجمعين) إلا لكسر هذه القيود وتحرير الإنسان من الأغلال الفكرية والنفسية والاجتماعية التي تعيق حركته، قال تعالى: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (الأعراف: ١٥٧). تصور لو أن إنساناً مكبلاً بالحديد في يديه ورجليه وهو في سجن محكم وأننا نطلب منه النهوض والحركة والتخلص من سجنه والإفلات من سجّانه، أترى يستطيع ذلك من دون أن يكسر هذه القيود ويفكّ هذه الأغلاق ولو بمساعدة الآخرين؟ والتأريخ يروي لنا عن أشخاص -كأحد زعماء مشركي قريش- طُلب منه - حين الاحتضار- أن يقول كلمتين ما أيسرهما (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) فلم يقدر وقال: إنهما أثقل من الجبال على صدري. لأنه مكبّل بالموروثات الاجتماعية التي تمنعه من مخالفة طريقة الآباء. هكذا الإنسان لا يستطيع أن يرتقي سلم الكمال ويستجيب لدعوة الله تبارك وتعالى ورسوله إلا عندما يتحرر من هذه الأغلال قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] (الأنفال: ٢٤). فما هي هذه الحياة التي يدعونا الله تبارك وتعالى

إليها؟ وما هي صفتها؟ قال تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (النحل:٩٧). إذن أساس الحياة الطيبة والانتظار والاستعداد لليوم الموعود الذي يؤسس هذه الحياة الطيبة ركنان: الإيمان المبني على العلم والمعرفة، والعمل الصالح المبني على التقوى؛ ففي الكافي عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جُعلت فداك متى الفرج؟ فقال: يا أبا بصير وأنت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرِّج عنه لانتظاره). ولا يخفى ما في جواب الإمام (عليه السلام) من توبيخ لمن ينتظر الفرج طلباً للدنيا مثلاً لكي يكون الحكم لأتباع أهل البيت (سلام الله عليهم) فتكون له حصة من (الكعكة) كما يقولون فيكون الوصول إلى الحكم غاية وهدفاً وليس وسيلة لإحقاق الحق وإقامة العدل فيقع أمثال هؤلاء في الظلم والانحراف ولا يحققون الهدف المنشود، وهذا أحد وجوه معنى الرواية الشريفة (كل راية قبل المهدي فهي راية ضلالة) لأنها تتحرك لتغيير الظالم وأخذ موقعه والتمتع بالجاه والسلطة والثروة وليس لتغيير الظلم وخدمة الناس وإصلاح أحوالهم وتأسيس الدولة الكريمة التي تضمن الحياة السعيدة لكل إنسان. لقد قلنا في خطاب سابق أن الفرج والظهور يبدآن بالإشراق من داخل النفس كلما ازدادت تهذيباً وكمالاً ومن دون انبلاج فجر حقيقة الإيمان في القلب وطهارة النفس فإن الشخص سوف لا يتنعم بالظهور الميمون وقيام الدولة المباركة والعياذ بالله). [1]

- (لا بد أن نفهم كل قضايانا، ومنها معنى انتظار الإمام صاحب الأمر (عليه السلام) والدعاء بقيام دولته المباركة، فلابد أن يقترن بالسعي الخاص به والمناسب له، فتقيّد

(١) المصدر نفسه.

أحاديث ثواب الانتظار والمنتظرين بأن يُسعى له سعيه).[١]

وإذا أراد الفرد المنتظِر لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) أن يكون شخصاً مميزاً بانتظاره ويفهم هذه المسألة بعمق فعليه أن يتحلى بصفتين رئيسيتين، وهما الوعي والصبر، فهما ركيزتا المُنتظِر النموذجي الذي يستطيع أن يستثمر حالة انتظاره للظهور المقدس بشكل ايجابي ويُفعّل دوره في المجتمع بما يخدم القضية المهدوية المباركة. لأن الصبر هو المادة الاساسية والطاقة الكامنة القادرة على جعل الفرد المنتظِر متحملاً للصعوبات والبلايا والامتحانات زمن الغيبة وبخلاف ذلك يكون عاجزاً ومشلولاً، بل سيصيبه الكسل والقنوط والجزع والاحباط، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إياك وخصلتين: الضجر والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً)، أما الوعي الذي هو من نتائج العلم والمعرفة فهو الذي يمد الفرد بالحكمة في التصرف ويعرف كيف يستثمر وقت الانتظار بشكل ايجابي بخلاف الفرد الجاهل فهو وإن كان صابراً أو منتظراً لأمر الإمام (عليه السلام) إلا أنه قد يضر القضية المهدوية أكثر مما يصلح، لأن الوعي والحكمة من نتائجها الطيبة أنها تمنع الفرد من ارتكاب الحماقات والاعمال السيئة كإثارة النزاعات والصراعات وبث الفرقة ونحوها من التصرفات التي يرتكبها الحمقى والسفهاء وعديمي الوعي والمعرفة، والتي لا يضرون بتصرفاتهم أنفسهم فحسب بل إنهم في الحقيقة يضرون المجتمع، وما يحمله أبناءه من معتقدات وثوابت إيمانية، لذا ورد عن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) النهي عن مصاحبة ومشورة الحمقى وقليلي الوعي، ومما جاء في ذلك قوله (عليه السلام):

- (صحبة الأحمق عذاب الروح).[١]

---

(١) خطاب المرحلة، ج ٧، خطاب بعنوان: (من أراد الآخرة فليسعَ لها سعيها).

- (إياك ومصادقة (مصاحبة) الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك). [٢]
- (بُعد الأحمق خير من قربه وسكوته خير من نطقه). [٣]
- (صديق الأحمق في تعب). [٤]
- (احذر الأحمق فإن مداراته تعنيك وموافقته ترديك ومخالفته تؤذيك ومصاحبته وبال عليك). [٥]
- (إياك ومودة الأحمق فإنه يضرك من حيث يرى أنه ينفعك، ويسوءك وهو يرى أنه يسرك). [٦]
- (لا داء أدوى من الحمق). [٧]

وفي ختام هذا الموضوع نُشير إلى ما صرَّح به سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) الذي وجَّه بكلمته التالي ذكرها كيفية التعامل مع زمن الانتظار بشكل ايجابي لينتج لصالحنا مردودات طيبة في الدين والدنيا، وحذرنا من مغبة الانتظار السلبي المقرون بالتقصير والاسراف على النفس بالمخالفات الشرعية، حيث قال: إن (الظهور نفسه لا ينفعنا إن لم نكن من أهل التقى والإيمان والإخلاص والعمل الصالح لنحظى بنصرة الإمام (عليه السلام) فعلينا أن نفكر في كيفية وصولنا إلى هذه المرتبة ولنساهم في تحقيق شرط الظهور وإلا سيكون ظهور الإمام (عليه السلام) قاصماً لظهورنا فاستمعوا بتدبر لقوله

---

(١) ميزان الحكمة، الشيخ محمد الري شهري، باب الصديق.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه. ، باب الحمق.

(٤)غرر الحكم و درر الكلم ، الآمدي، حديث رقم: (٩٨٥٢).

(٥) المصدر نفسه، حديث رقم: (٩٨٤٧).

(٦) المصدر نفسه، حديث رقم: (٩٨٤٩).

(٧) المصدر نفسه، حديث رقم: (١٢١٢).

تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ فأحد مصاديق الفتح هو يوم الظهور المبارك وحينئذ لا ينتفع به إلا من هذّب نفسه وآمن وعمل صالحاً وهو المعنى الحقيقي للانتظار).[1]

❁❁❁❁❁❁❁

(١) يُنظر (نحن والغرب) و(شكوى الإمام (عليه السلام)).

علاقة الإمام المهدي (عليه السلام) بالسيد المسيح (عليه السلام) وسبب ادّخاره لليوم الموعود

إن من الحوادث المهمة التي تتزامن مع ارهاصات الظهور المقدس هو نزول السيد المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) من السماء في أرض الشام وظهوره على ساحة الأحداث، وسيتم هذا طبعاً وفق التخطيط الإلهي فيسهم وجوده المبارك حينئذٍ وبدرجةٍ كبيرةٍ في انجاح مهمة الإمام المهدي (عليه السلام) في بسط القسط والعدل والقضاء على الظلم ونشر الدين الإسلامي، وهذه الحقيقة أشار إليها المرجع اليعقوبي (دام ظله) حيث قال: (نحن الإمامية بالذات نرتبط بالسيد المسيح (عليه السلام) برابطة إضافية؛ لكونه الناصر المدخر لليوم الموعود، وهو عنصر مهم في حركة الإمام (عليه السلام)، فالحديث عن السيد المسيح (عليه السلام) جزء من قضيتنا المصيرية أعني يوم الظهور المبارك، وهذا مما ذكرته مصادر الفريقين، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم). [1]

كما أجاب (دام ظله) عن السؤال الذي يرد في أذهان الكثيرين من الناس، وهو؛ لماذا ادخر الله سبحانه وتعالى النبي عيسى المسيح (عليه السلام) لهذه المهمة العظيمة من بين سائر الأنبياء (عليهم السلام)؟ ، فأجاب(دام ظله) قائلاً: (اختصاص السيد المسيح (عليه السلام) بهذا الادخار من دون سائر الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) له سّر؛ إذ إنهّ يكشف إن المواجهة الرئيسية المهمة للإمام المهدي (عليه السلام) ستكون مع دول الغرب التي تدين

(١) نحن والغرب، الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله).

للسيد المسيح (عليه السلام) فيكون ظهوره وصلاته خلف الإمام (عليه السلام) حجّة ضدّهم ويجردهم من كلّ حق في هذه المواجهة، وعندئذٍ سيذعن المؤمنون منهم للإمام (عليه السلام) لوضوح حقّه (عليه السلام) وباطلهم، وهو يكشف عن درجة من درجات الإيمان لدى المسيحيين، إذ أنهّم سيتبعون الحقّ عند اقتناعهم به)[1].

كما أن اختصاص السيد المسيح (عليه السلام) بالظهور والرجعة زمن الإمام المهدي (عليه السلام) من بين سائر الأنبياء (عليهم السلام) له عدة فوائد أخرى تَصُب في صالح البشرية وفي صالح انجاح النهضة المهدوية نظراً لما يتميز به النبي عيسى (عليه السلام) من مميزات فريدة.

وقد أشار المرجع اليعقوبي لهذه الخصائص والمميزات في كتابه (نحن والغرب) حيث جاء فيه:

أ ــ طول عمره الشريف؛ فإنهّ لم يُقتل ولم يُصلب، بل رفع إلى السماء ويبقى حياً إلى يوم الظهور، فحياته هذه السنين الطويلة حجّة على منكري غيبة الإمام وطول عمره.

ب ــ إذعان الأمم المسيحية وتسليمهم للإمام (عليه السلام) وهم يشكلون نسبة كبيرة من البشر (وذلك حين يثبت لهم بالحجّة الواضحة أنّه هو المسيح يسوع الناصري نفسه، وأنّ الإنجيل والتوراة إنمّا هي هكذا وليست على شكلها الذي كان معهوداً، وأنّ ملكوت الله الذي بشر به هو في حياته الأولى على الأرض قد تحقق فعلاً متمثلاً بدولة العدل العالمية، ولن يبقى منهم شخص من ذلك الجيل المعاصر للظهور إلا ويؤمن به) كما هو المستفاد من قوله تعالى: [وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ] ونتيجة لذلك سوف يتيسر الفتح العالمي بدون قتال، كما أن الجانب الفكري في الفتح العالمي سيكون أوسع بكثير من

(١) المصدر نفسه.

الجانب العسكري وهذا ما نرى بوادره اليوم حيث أتاحت شبكات الاتصال العالمية فرصة التعرف على عظمة الإسلام لكلّ البشر بيسر.

د ــ تكفل السيد المسيح (عليه السلام) للقيادة في جانب، أو عدّة جوانب من الدولة العالمية، وتحمله مسؤوليتها كما لو أصبح في مركز مشابه لرئيس الوزراء في الدولة الحديثة، أو تكفّل الحكم في رقعة كبيرة من الأرض أو الدولة العالمية، فإن المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) وإن كان نبياً مرسلاً وليس الإمام المهدي (عليه السلام) كذلك غير أنّ القيادة العليا تبقى موكولةً إلى المهدي (عليه السلام)، وقد ذكر سيدنا الأستاذ (قدس سره) لذلك عدة وجوه فراجعها.[1]

وقد أجاب الشهيد الصدر الثاني (قدس الله سره) عن هذا التساؤل أيضاً في موسوعته المباركة (موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام) بعدة نقاط، حيث جاء فيها: (المستفاد عموماً من الأخبار؛ أن نزول عيسى (عليه السلام) يكون بعد ظهور المهدي (عليه السلام) ولكن قبل استتباب دولته، يعني خلال محاربته للكافرين والمنحرفين وممارسته للفتح العالمي. وهناك من الاخبار ما يدل على أنه يبايعه في المسجد الحرام مع أصحابه الخاصة الاوائل غير أنه غير قابل للإثبات التاريخي، وهذا هو المراد من كون المهدي في وسط الامة وعيسى في آخرها، لو صح الخبر، لأنه ينزل بعد ظهور المهدي، ويبقى بعد وفاته، فأصبح كأنه بعد المهدي في الزمان، فيصدق عليه مجازاً، أنه في آخر الأمة، والمسيح (عليه السلام) يواجه بعد نزوله يأجوج ومأجوج، قد خرجوا من الردم، وقد عرفنا أنهما يمثلان الحضارة المادية ذات الفرعين الأساسين في البشرية، ويكون مسؤولاً خلال الفتح العالمي، عن محاربتهما والقضاء عليهما. . . وهنا قد يبدو أن الخبر الدال على ذلك، دال أيضاً على تأخر خروج يأجوج ومأجوج من الردم،

(١) المصدر نفسه، بتصرف بسيط.

على نزول عيسى ثم على ظهور المهدي، وهذا مخالف لفهمنا السابق، لأن الحضارة المادية بكلا فرعيها إنما تكون قبل الظهور، إلا أن دلالة الخبر على ذلك غير صحيحة، لأنه دال على أن عيسى بعد أن يجتمع بالمؤمنين الصالحين، يخبره الله تعالى بإخراج يأجوج ومأجوج "فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان أحد بقتالهم". إن هذا التوقيت توقيت للإخبار لا للخروج من الردم. وليس في الخبر الذي يتلقاه هذا النبي أنهم قد خرجوا لفورهم.

وهذا الإخبار لا يتضمن معناه المطابقي اللفظي بطبيعة الحال، وإنما يتضمن الأمر بالمبادرة إلى قتالهم بعد أن التأم جمع المؤمنين مكوناً من المهدي والمسيح (عليهما السلام) وأصحابهما، وقد أزفت ساعة الصفر للفتح العالمي، واقتضى التخطيط الإلهي، ثم يكشف المهدي عن مواريث الأنبياء بشكلها الواقعي، كما خلفها الأنبياء أنفسهم في الأرض، كل في منطقته. وهي تابوت آدم (عليه السلام) أي الصندوق الذي كان يحفظ فيه كتاباته الدينية وتشريعاته وعصى موسى (عليه السلام) والتوراة والزبور والإنجيل وسائر كتب الله، فيبدأ هو والمسيح (عليه السلام) بمناقشة أهل الأديان السماوية بهذه الكتب والمواريث، فيدخلون في الإسلام، وأما المتبقي منهم، فيقول الخبر أنهم يدخلون في ذمة الإسلام ويدفعون الجزية كما كان الحال في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ريثما يتم بالتدريج دخولهم في الإسلام. . . وإن الحكمة من بقاء المسيح (عليه السلام) خلال هذه المدة الطويلة طبقاً للفهم التقليدي، حسب ما تدركه عقولنا الآن، تتمثل في عدة أمور:

الأمر الأول: اختصاص هذا النبي (عليه السلام) بمميزات شخصية أساسية من دون سائر الأنبياء، كولادته الإعجازية بدون الأب وإحيائه للموتى ورفعه إلى السماء. كما اختص موسى(عليه السلام) بالكلام مع الله عزّ وجلّ ومحادثته مدة عشرة أيام كاملة،

واختص محمد نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة. ولا بد لكل نبي رئيسي من خصائص تميزه على أي حال.

الأمر الثاني: البرهان على صحة الغيبة بالنسبة إلى المهدي (عليه السلام) حيث يكون المسيح(عليه السلام) أكبر عمراً منه مهما طالت الغيبة بعدة مئات من السنين، هي الفرق بين عصر ولادة المسيح وعصر ولادة المهدي (عليه السلام) وهي حوالي التسعمائة عام، وحيث اعترف الفكر التقليدي الإسلامي ببقاء المسيح(عليه السلام) حياً لم يمت، إذن، ففي الإمكان تماماً بقاء من هو أصغر منه عمراً و إن لم يكن هو أولى بالبقاء منه.

الأمر الثالث: تكامل المسيح (عليه السلام) خلال هذا العصر الطويل. من التكامل الذي سميناه بتكامل ما بعد العصمة. وقد برهنا. . على ثبوته للمهدي (عليه السلام) من خلال عمره الطويل على الأرض ومعاشرته للأجيال الطويلة للبشرية، فكذلك يمكن القول بالنسبة للمسيح(عليه السلام) في عمره الطويل في السماء، في الملكوت الأعلى، وما يشاهده من عظمة الله وحكمته وعدله في ذلك العالم، الأمر الذي يوجب له أكبر الكمال، وسوف يستفيد المسيح(عليه السلام) من هذا التكامل العالي، في تدبير المجتمع العالمي العادل، تماماً كما يستفيد المهدي(عليه السلام) من تكامله العالي أيضاً. فانظر إلى هذه القيادة العالمية الرشيدة المكونة من هذين التكاملين العاليين)[1].

هذا ما يستشفه علمائنا الأعلام من علة نزول السيد المسيح (عليه السلام) عند ظهور الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) أما السبب أو الأسباب الواقعية فعلمها عند الله سبحانه وتعالى، وبلا شك إن الأسباب التي ذكرها السيد الشهيد الصدر الثاني والمرجع اليعقوبي محتملة جداً وهي تسير وفقاً لمنهج الحكمة الإلهية، بل لا يبعد أنها مطابقة لها.

وبغض النظر عن هذه الأسباب فإنه مما لا كلام فيه أن السيد المسيح (عليه السلام) سيعمل

---

(١) موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام) تاريخ ما بعد الظهور. بتصرف بسيط.

على توحيد صفوف البشرية تحت راية قائد واحد وهو الإمام المهدي (عليه السلام) وفي ظل عقيدة واحدة وهو الدين الإسلامي الناسخ لكل الأديان التي قبله، وسيدفع المؤمنين به من الطوائف المسيحية بالانضمام تحت لواء القائد المهدي (عليه السلام) والاعتقاد بدينه ومذهبه ومحاربة الفساد والظلم المستشري في الأرض، وبما أن أغلب البشرية هم ممن ينتحل الديانة المسيحية لذا سيشكل ايمانهم بالإمام المهدي (عليه السلام) عاملاً مهماً لانتصاره ونجاحه في مهمته العالمية، وهذه الحقيقة لم تغب عن ناظري اليهود الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر، لذا عمدوا ومنذ أزمان سالفة إلى ايجاد شرخ بين أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية وراحوا يجندون كل ما أوتوا من قدرات وامكانيات لهذا الغرض، ومن جملة الاساليب التي اتبعها اليهود لتحقيق هذه النوايا الشيطانية هو تشويه صورة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتشويه صورة المسلمين والدين الإسلامي الحنيف في أعين شعوب العالم وتوريط المسيحيين بارتكاب بعض الحماقات التي تؤجج الفرقة والصراعات بينهم وبين المسلمين، وهذه المؤامرة الخطيرة حذرنا منها المرجح اليعقوبي منذ زمن بعيد حيث قال (دام ظله):

(. . أمّا اليهود الذين سيكونون المحرضّين لدول الغرب ويدفعون المسيحيين نحو المواجهة فإنهّم متمردون على نبيهم (عليه السلام) ولا يطيعونه، فلا ينفع بقاءه لليوم الموعود، ويبدو أنهم يومئذ متحكمون في مصائر وشؤون حياة الدول المسيحية، وهذا ما نراه اليوم في تحكم اللوبي الصهيوني في الإدارة الأمريكية، قال تعالى في بيان الفرق بين اليهود والمسيحيين: [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ،وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ،

وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ، فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ]). [١]

وهذه المؤامرات اليهودية ليست وليدة الساعة، أو أنها مقتصرة على زماننا الحاضر فحسب بل إن صفة المكر والخديعة والعِداء للإنسانية متأصلة ومتجذرة في نفوس هؤلاء اليهود الحاقدين، بدأ من عهد صدر الإسلام، حيث يروي لنا التأريخ بعض المؤامرات اليهودية الشيطانية ونذكر منها على سبيل المثال، ما أشار إليه المرجع اليعقوبي في إحدى كتبه من أنهم؛ (.. ذات يوم عمل بعض اليهود على الوقيعة بين الأوس والخزرج، وذكروهم بعداواتهم في الجاهلية ومن قتل من أشرافهم، حتى ثارت عصبيتهم فتواعدوا القتال كما كانوا يفعلون في الجاهلية، فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك، فخرج مسرعاً يجر رداءه حتى وافى القوم قبل أن يقع السيف بينهم، فوعظهم وذكرهم، فتابوا وعادوا إلى رشدهم. فاحفظوا وحدتكم أيها الأحبة ولا تعطوا فرصة للأعداء ليوقعوا بينكم فلا يوجد شيء يستحق الاختلاف بيننا)[٢].

واتماماً للفائدة نذكر بخصوص هذا الموضوع إحدى الأطروحات التي أدلى بها المرجع اليعقوبي (دام ظله) بما يخص مساهمة النبي عيسى (عليه السلام) في انجاح المشروع المهدوي عند الظهور المقدس، وهذه الأطروحة تقول: (إن عجز الغرب عن مواجهة هذا المرض الفتاك (يقصد مرض الإيدز) قد يكون له علاقة بالظهور المبارك الميمون للمهدي المنتظر (عليه السلام) من حيث أن الأخبار دلت على نزول السيد المسيح (عليه السلام) لتأييد الإمام (عليه السلام) ولما كانت معجزته الرئيسية شفاء المرضى من

(١) نحن والغرب. الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله).

(٢) المصدر نفسه.

الأمراض المستعصية وإحياء الموتى، فستكون معالجته (عليه السلام) لمرضى الإيدز بل لموتاه حجة بالغة على اتباعه للتصديق به وبدعوته المباركة، وهذه مجرد أطروحة قابلة للنقاش، وإلا فإن الرحمة الكبيرة التي يحملها الإمام (عليه السلام) للبشر جميعاً من أتباعه ومن غيرهم لا تسمح بأن يترك البشرية معذبة وتعيش الشقاء، بل يتدخل لإنقاذها ولكن ماذا يفعل لها إذا اختارت الشقاء بنفسها كما قال تعالى [أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ]. (١)

إذن ان عجز المجتمع الغربي عن مواجهة الأمراض الفتاكة كمرض (الإيدز) على سبيل المثال، والتي سيوجد له السيد المسيح (عليه السلام) علاجاً شافياً، ستجعل المجتمعات الغربية تذعن للحق وتتبعه، لأن فيه حجة بالغة على اتباعه، وهو بطبيعة الحال فيه تأييد كبير للإمام المهدي (عليه السلام).

ومما يجدر الإشارة إليه أيضاً هو أن العالم اليوم يعيش (أزمة خانقة تتجلى في الرعب والقلق والخوف الذي يستولي عليه من المستقبل، وتراه يبحث عن السعادة فلا يجدها رغم أن شعوباً عديدة في بلاد الغرب تتمتع برفاهية مادية عالية إلا أن أعلى مستويات الجريمة والانتحار والأمراض الصحية والاجتماعية الفتاكة تتواجد فيها، وهذا كله نتيجة طبيعية للابتعاد عن المنهج الإلهي والإعراض عن الالتزام بشريعة الله تبارك وتعالى وهي سنة إلهية جارية في مخلوقاته قال تعالى [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإن لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً] أي ضيقة خانقة وقال: [وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ] فأي حياة بائسة سيفرضها هذا الشيطان على قرينه، وهذه الحالة من البؤس والتعاسة التي جعلت البشرية تتوقع اليوم أكثر من ذي قبل

(١) خطاب المرحلة، ج٣، بعنوان: (دروس وعبر في اليوم العالمي لمكافحة الإيدز).

ظهور المصلح العظيم الذي يتكفل بإقامة دولة الحق؛ لأن جميع الديانات السماوية تُبشر بمثل هذا اليوم، إلا أن أتباع كل ديانة يقولون أنه منهم[١]، ونسمع اليوم أن العالم المسيحي يبشر اليوم بقرب ظهور المنقذ وتُباع الآن في أوربا بطاقات المراهنة على ذلك). [٢]

وهذه الحالة من الاضطرار والبؤس النفسي ستدفع شعوب العالم بطبيعة الحال لتقبل فكرة المصلح العالمي بشكل أسرع وأسهل وتؤمن بوجوده وتهتدي بهداه، وتعتقد بدينه ومذهبه الشريف عند ظهوره، الذي سيحقق لها السعادة الحقيقية في الدنيا والفوز والفلاح في الدار الآخرة.

(١) وقد علَّق سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) على تصرفات هذه المجتمعات التي تدعي انتساب المخلص الموعود لها، قائلاً: (لكن اعتقادهم ناشئٌ من عنجهيتهم واستكبارهم واستعلائهم على الآخرين، وإلا فإن كتبهم صريحة في أنه من ذرية نبي آخر الزمان ومن ولد إسماعيل الذبيح وليس من إسرائيل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم الصلاة والسلام) وما مجيء أساطيلهم وعدتهم وعددهم إلا لمواجهة هذا الرجل الذي سينطلق من هذه الأرض المباركة ليفتح العالم، وهم لا يعلمون انه ربما كان الآن يعيش بين ظهرانيهم ومطَّلع على أساليب عملهم ومكامن القوة عندهم وليعّرف أصحابه السبيل إلى تعطيل كل هذه القوة بأيسر السبل.). ينظر خطاب المرحلة، للمرجع اليعقوبي، ج٣، خطاب بعنوان: (الغرب والإمام المهدي(عليه السلام).

(٢) خطاب المرحلة، للمرجع اليعقوبي، ج٣، خطاب بعنوان: (الغرب والإمام المهدي(عليه السلام).

رعاية الإمام المهدي (عليه السلام) لشيعته وبركة وجوده على أهل الأرض زمن غيبته

تنوعت صور اهتمام الإمام المهدي (عليه السلام) بشيعته وأخذت ألواناً متعددة فهو كجده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة للعالمين، و(إن الرحمة الكبيرة التي يحملها الإمام الحجة (عليه السلام) للبشر جميعاً من أتباعه ومن غيرهم لا تسمح بأن يترك البشرية معذبة وتعيش الشقاء، بل يتدخل لإنقاذها ولكن ماذا يفعل لها اذا اختارت الشقاء بنفسها كما قال تعالى (أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ). [1]

وإن الإمام المهدي (عليه السلام) لم يركّز اهتمامه على شيعته إلا لأنهم (الشريحة المؤمنة بإمامته (عليه السلام) والموالية له والمبادرة إلى نصرته كالأب الذي إذا أساء ولده يزجره ويوبخه وربما يعاقبه، بينما لا يهتم بنفس الدرجة فيما لو أخطأ الغريب عنه وما ذلك إلا لشعوره الخاص بالمسؤولية عن تربية ولده، وهكذا الإمام (عليه السلام) يحيط شيعته بتربية خاصة وعناية إضافية وانطلاقاً من هذه المسؤولية ينبهَّهم إلى ما في سيرة بعضهم من أخطاء وانحرافات، فإنه (عليه السلام) يستعرض أعمالنا كل يوم أو كل أسبوع فعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: (هم الأئمة) وفي بعض الروايات: (إن أعمال العباد تعرض على نبيكم كل عشية خميس وعلى الأئمة (عليهم السلام)

(١) خطاب المرحلة، ج٣، للمرجع اليعقوبي، خطاب بعنوان: (دروس وعبر في اليوم العالمي لمكافحة الإيدز).

فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح فلا تسوؤا[١] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسروه) وقال أحدهم للأمام الرضا (عليه السلام) إن قوماً من مواليك سألوني أن تدعو لهم فقال(عليه السلام): (والله إني لأعرض أعمالهم على الله في كل يوم) باعتباره الإمام الفعلي في ذلك الزمان كالإمام المهدي(عليه السلام) في هذا الزمان). [٢]

لذا أخذ الإمام (عليه السلام) ذلك بعين المسؤولية الخاصة بشيعته وأحاطهم بمزيد رعاية إضافية تتناسب مع مستواهم الإيماني به، الذي ميَّزهم عن سائر الأمم والشعوب، وهذا أدب قرآني حثنا الله عليه، قال تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)، وقال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ)، ونؤكد قائلين إنه (عليه السلام) مع ما تقدم بيانه يهتم بسائر شعوب العالم بشكل عام لكونه (عليه السلام) الحجة المُنصَب عليهم من قيل الله تعالى، وهو الرحمة الموهوبة لهم منه سبحانه.

ومما يأتي نذكر بعضاً من صور اهتمام الإمام المهدي (عليه السلام) بشيعته، وبركات وجوده عليهم وعلى سائر أهل الأرض عموماً:

١) الإمام المهدي (عليه السلام) واسطة للفيض الإلهي:

إن الإمام (عليه السلام) هو واسطة للفيض الإلهي بين عالم الملكوت وبين عالمنا هذا (عالم الإمكان)، ولا يمكن للفيض الإلهي أن ينزل بدون واسطة، وقد وردت إشارات إلى

---

(١) فقد ورد في إرشاد القلوب، ج٢ ، ص٢٥٧ ، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (شيعتنا جزء منا خلقوا من فضل طينتنا يسوؤهم ما يسوؤنا ويسرهم ما يسرنا) فبمقتضى هذا الاتصال اعلم ان الذنوب التي تقترفها تؤذي اهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وتسوؤهم هذا فضلا عن الروائح الكريهة التي تبعثها الذنوب عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين (عليه السلام): (أَنَّهُ قَالَ تَعَطَّرُوا بِالاسْتِغْفَارِ لا تَفْضَحَنَّكُمْ رَوَائِحُ الذُّنُوبِ).

(٢) نحن والغرب ، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

هذه الحقيقة في أخبار وأدعية أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ومن ذلك ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة وغيرها، فراجع.[١]

٢) الإمام المهدي (عليه السلام) وقطع الطريق على مدّعي المهدويّة:

إن وجود الإمام المهدي (عليه السلام) بهويته ونعته المعروف والوارد على لسان الروايات الشريفة قطع السبيل على المدّعين الكاذبين، فأئمة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) من خلال تعيينهم لاسم الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) ونسبه وسائر صفاته الشريفة قطعوا الطريق على من يحاول استغلال أمر المهدوية لتحقيق بعض المكاسب الدنيوية. أما مذهب أهل السنة الذي يفترض أنّ المهدي المنتظر لم يولد بعد، وانه من ولد السيدة فاطمة (عليها الصلاة والسلام)، فقد بقي السبيل فيه مفتوحاً على أدعياء المهدوية لانتحال شخصيته.

٣) الإمام المهدي (عليه السلام) ودعائه للمؤمنين وتثبيتهم على الحق:

جاء في رسالة الإمام المهدي (عليه السلام) الأولى للشيخ المفيد (رضوان الله تعالى عليه): (أنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء – أي الشدائد – أو اصطلمكم الأعداء)[٢] وجاء أيضاً في رسالته (عليه السلام) الثانية للشيخ المفيد (رضوان الله تعالى عليه) وهو يتكلم (عليه السلام) عن حفظ الله تعالى للمؤمنين فيقول: (...لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض فليطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل

(١) يُنظر في رحاب الإمام المهدي (عليه السلام)، عبد الرحيم مبارك، ص١٨٢.

(٢) الاحتجاج، العلامة الطبرسي، ج٢ ،ص ٣٢٢.

صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب) [١]، ونتبين من خلال ذلك ان من أعظم الفوائد التي نستفيدها من الإمام المهدي (عليه السلام) في حال غيبته هو شمولنا ببركة دعائه الشريف، فهو مستجاب الدعوة (وهو المضطر الذي يجاب إذا دعا) ولولا شمولنا ببركة دعائه (عليه السلام) لنا بظهر الغيب لصب علينا البلاء صباً. كما أنه (عليه السلام) يقوم بمهمة أخرى ربما أكثر أهمية من الدعاء وهي إصلاح المؤمنين وهدايتهم حتى وإن كانوا لا يعرفون شخصيته الحقيقية. فقد روي عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: (إن الأرض لا تخلوا إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا شيئاً أتمه لهم)[٢] كما أن مجرد وجوده المبارك وإحساس شيعته والمؤمنين به بأنّ إمامهم حيّ يرزق، وأنّه يُعاني معهم ما يعانون من بلاء وصعوبات، يزيد في ثباتهم وصلابتهم ويساهم في تخفيف وطأة البلاءات على نفوسهم، ويُفيض عليهم صموداً وبسالة في مواجهة الطغاة والظلمة.

٤) الإيمان بالإمام المهدي (عليه السلام) مصدر حيويّة للمذهب:

إن الإيمان بالإمام الحي يضفي حيوية على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وقد ذكر العلامة الطباطبائي (قدس الله سره) أنّ الفيلسوف الفرنسي (هنري كاربون) أشار إلى حقيقة وهي أنّ المذهب الشيعي بقى حياً لأنه يبني اعتقاداته على أساس الرجوع إلى الحي وهو المهدي قائم آل محمد (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين).[٣]

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٢٣ـ ٣٢٥.

(٢) الغيبة، الشيخ النعماني، ص١٣٨.

(٣) انظر كلام المستشرق الفرنسي الفيلسوف هنري كاربون في مناقشاته مع العلاّمة الطباطبائي (قدس الله سره) في كتاب "الشمس الساطعة".

٥) الإمام المهدي (عليه السلام) وإغاثة المؤمنين الملهوفين:

لقد أغاث الإمام المهدي (عليه السلام) أعداداً كبيرة من المؤمنين المضطرّين، وأنقذ الكثير من الموت المحتم، وقد ألف بعض علماء الشيعة مؤلفات خاصة في وقائع الذين التقى بهم الإمام (عليه السلام) في غيبته الكبرى، فأغاثهم ورد لهفتهم. فقد روي عن رميلة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (يا رميلة ليس مؤمن يمرض إلا مرضنا بمرضه ولا يحزن إلا حزنا بحزنه ولا يدعو إلا أمنّا بدعائه ولا يسكت إلا دعونا له، فقلت له: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك هذا لمن معك في القصر أرأيت من كان في أطراف الأرض؟ فقال (عليه السلام): يا رميلة ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها)[1] ونستشف من هذا الحديث العلوي الشريف وبكل وضوح استمرار هذا اللطف وهذه العناية ما دام الإمام المهدي (عليه السلام) على قيد الحياة.

٦) الإمام المهدي (عليه السلام) وتسديد علماء الدين:

وهذا التسديد هو نوع من أنواع اللطف، الذي يبذله الإمام المهدي (عليه السلام) زمن غيبته الشريفة لتأييد علماء الدين العدول المخلصين، وتصحيح مسارهم لخدمة الرسالة الإسلامية، وخدمة المسلمين، ومما يؤيد هذا المبدأ هو ما ورد من روايات شريفة وبألفاظ ومعان متقاربة عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار(عليهم السلام)، فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ لكل بدعة يُكاذب بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلاً يذب عنه ويعلن الحق ويرد كيد الكائدين»، وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام): «أن فيهم في كل خلف عدولاً ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». وفي المستفيض عنهم (عليهم السلام): «إن الارض لا تخلو إلاّ

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي، ج ٢٦ ، ص ١٤٠.

وفيها عالم اذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم الى الحق وإن نقصوا شيئاً تمم ذلك ولولا ذلك لالتبس عليهم أمرهم ولم يفرقوا بين الحق والباطل». وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) في عدة طرق: «اللَّهُمَّ إنك لا تخلي الارض من قائم بحجة إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور لئلا تبطل حججك وبيناتك. . »، وفي بعضها: «لابد لأرضك من حجة لك على خلقك يهديهم الى دينك ويعلمهم علمك لئلا تبطل حجتك ولئلا يضل تُبّع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إما ظاهر ليس بالمطاع أو مكتتم أو مترقب إن غاب عن الناس شخصه في حال هدايتهم فإنّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة فيهم، بها عاملون». وفي تفسير قوله تعالى: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) ورد في عدّة روايات: «أن المنذر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي كل زمان إمام منا يهديهم الى ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)»، وفي بعضها عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في الآية: «والله ما ذهبت منا ومازالت فينا الى الساعة». [1]

كما ورد تأريخياً أن الإمام المهدي (عليه السلام) أرشد بعض العلماء بنحو من الأنحاء للاهتداء لأجل معرفة أجوبة بعض المسائل الدينية وأعان بعضهم في استنباط أحكام الشريعة، وهذا غير خاص بالإمام المهدي (عليه السلام) بل هو لسائر الأئمة (عليهم السلام)، فقد روي في علة تسمية أمير المؤمنين بهذا اللقب المبارك، أنّه (عليه السلام) يمير المؤمنين بالعلم، ولعل من أفضل الشواهد المعاصرة التي تُبين حقيقة هذا الأمر، هو ما ذكره السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) حيث كانت له جلسة تأمل خاصة قرب ضريح الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعدها يذهب إلى داره لكي يشرع بتحضير دروسه وأبحاثه، وفي إحدى الأيام لم يأتِ السيد الشهيد (قدس الله سره) لزيارة قبر جده المرتضى(عليه السلام) فلمس (قدس سره) صعوبة وتلكؤاً في حل بعض المسائل فعلم حينئذ أن

(١) يُنظر أعلام الهداية ، ج١٤.

ارتياده لزيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وجلوسه متأملاً بجلسته الخاصة عند باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان محلاً لعناية الإمام (عليه السلام) الذي يمده بفيوضاته وتسديداته، التي تفتح له ببركتها خزائن العلوم، وهو غير ملتفت لذلك.

ومن الشواهد أيضاً ما ورد عن المرجع اليعقوبي (دام ظله) في كتابه (نحن والغرب) أنه قال: (في يوم كنت أكتب استفتاءً، فضمن الجواب كتبت كلمة؛ (إنّ الإسلام محتاجٌ إلى جميع أبنائه) كلمة واضحة، ولكني شعرت في حينها أنها من ألطاف الإمام (عليه السلام) ومن إيحاءاته، وخرجت منها بدروس كثيرة...).[1]

ومثال ذلك أيضاً ما روي عن المقدس الأردبيلي (قدس سره) في القصة المعروفة التي نقلها العلامة المجلسي (رضوان الله عليه) في كتابه البحار نقلاً عن أحد طلابه وهو السيد الفاضل أمير علام حيث قال: (كنت في بعض الليالي في صحن الروضة المقدسة بالغري على مشرفها السلام، وقد ذهب كثير من الليل فبينا أنا أجول فيها إذ رأيت شخصاً مقبلاً نحو الروضة المقدسة فأقبلت إليه فلما قربت منه عرفته أنه أستاذنا الفاضل العالم التقي الزكي مولانا أحمد الأردبيلي - قدس الله روحه- فأخفيت نفسي عنه حتى أتى الباب وكان مغلقاً فانفتح له عند وصوله إليه، ودخل الروضة فسمعته يتكلم كأنه يناجي أحداً، ثم خرج وأغلق الباب، فمشيت خلفه حتى خرج من الغري، وتوجه نحو الكوفة، فكنت خلفه بحيث لا يراني حتى دخل المسجد وصار إلى المحراب الذي استشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) عنده، ومكث طويلاً، ثم رجع وخرج من المسجد وأقبل نحو الغري فكنت خلفه حتى قرب من الحنانة، فأخذني سعال لم أقدر على دفعه، فالتفت إلي، فعرفني، وقال: أنت أمير علام؟ قلت: نعم، قال ما تصنع هاهنا؟ قلت: كنت معك حيث دخلت الروضة المقدسة إلى الآن، وأقسم

---

١ نحن والغرب، الشيخ اليعقوبي (دام ظله).

عليك بحق صاحب القبر أن تخبرني بما جرى عليك في تلك الليلة من البداية إلى النهاية. فقال: أخبرك على أن لا تخبر به أحداً مادمت حياً، فلما توثق ذلك مني قال: كنت أفكر في بعض المسائل وقد أغلقت على فوقع في قلبي أن آتي أمير المؤمنين (عليه السلام) واسأله عن ذلك فلما وصلت إلى الباب فُتح لي بغير مفتاح كما رأيت فدخلت الروضة وابتهلت إلى الله تعالى في أن يجيبني مولاي عن ذلك فسمعت صوتا من القبر أن ائت مسجد الكوفة وسل القائم صلوات الله عليه فإنه إمام زمانك فأتيت عند المحراب وسألته عنها فأُجبت وها أنا أرجع إلى بيتي).[1]

٧) إنه (عليه السلام) المدافع عن الشيعة:

كان الإمام المهدي (عليه السلام) وما يزال - يرعى شيعته على الدوام ويدافع عنهم ويُحبط مكائد أعدائهم، وقد أشار الإمام المهدي (عليه السلام) بنفسه إلى ذلك في الرسالة المنسوبة إليه إلى الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) والتي ذكرها العلامة الطبرسي في كتابه الاحتجاج، حيث جاء فيها: (إنّا غير مُهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذِكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاواء واصطلمكم الأعداء).

٨) إنه (عليه السلام) أمان لأهل الأرض جميعا:

فهو (عليه السلام) أمان لأهل الأرض، وقد روي أنّ الأئمّة (عليهم السلام) هم أركان الأرض ولولاهم لمادت بأهلها، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (لو بَقِيَت الأرض بغير إمام لساخت)، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أماناً لهذه للأمة من عذاب الاستئصال، فكرامةً له (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحدث لهذه الأمة ما حدث للأمم السابقة من عذاب وعقوبة الإهلاك، مثل قوم صالح وهود ولوط وغيرهم، وبعد شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٥٢، ص١٧٤.

أهل بيته (عليهم السلام) أماناً لهذه الأمة بل ولجميع أهل الأرض من العذاب، وهم (عليهم السلام) أيضاً سبب للفيض الإلهي ولنزول البركات والرحمات والخيرات العميمة، روي عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض). وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) لأي شيء يحتاج إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام؟ فقال (عليه السلام): (لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام... بهم يرزق الله عباده وبهم تعمر بلاده وبهم ينزل القطر من السماء وبهم يخرج بركات الأرض وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم). وورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: (بنا يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمة ولا تخلوا الأرض من قائم منا ظاهر أو خاف ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله).

كيف ندخل السرور على قلب الإمام المهدي (عليه السلام) ونحظى برضاه؟

إذا أردنا أن نحظى برضا الإمام المهدي (عليه السلام) وأن نوفق لإدخال السرور على قلبه الشريف، فيجب علينا أن نتحلى بجملة أمور لكي نكون مؤهلين لنيل هذا الشرف العظيم وهذه الطاعة الكبيرة، لأن هذا الامتياز لا ينبغي لأحد أن يناله دون مقدمات ومرجحات تفضله على الآخرين، وهذا ما يحكُم به العقل والوجدان.

وقد ذكر سماحة المرجع اليعقوبي عدة أمور تسهم بدرجة كبيرة في نيل رضا الإمام المهدي (عليه السلام) وتدخل السرور على قلبه الشريف، بل وتقربنا منه، ومن هذه الأمور ما يلي:

١. التحلي بالإخلاص لله تبارك وتعالى، والصدق في اتباع القيادة النائبة في زمن الغيبة، حيث قال (دام ظله): (إنَّ إحراز رضا الإمام (عليه السلام) عنك وضمان ثباتك على نهجه والانضمام إلى أنصاره قبل الظهور وبعده يكون بالإخلاص لله تبارك وتعالى والصدق في إتباع الحجة المنصوبة من الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) على الأمة قال تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) ومثل هؤلاء ليطمأنوا وليهدأ بالهم لأن الأمور ستكون واضحة عندهم وسوف لا يتوانون في نصرة الإمام وإتباعه، ولمثل هؤلاء سيكون الأمر أبين من الشمس كما وصف الإمام (عليه السلام).[1]

(١) خطاب المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (إن أمر الإمام المهدي (عليه السلام) أبين من الشمس).

٢. نبذ الازدواجية والجد في مخالفة النفس الأمارة بالسوء والسعي في تهذيبها، والالتزام الكامل بطاعة الله سبحانه وبحدود شريعته السمحاء، والورع عن ارتكاب المحرمات والمعاصي، لأنها بطبيعة الحال تدمي قلب إمام الزمان (عليه السلام) وتدخل على قلبه الشريف الحزن والأذى، وقد عدَّ (دام ظله) مسألة الازدواجية إحدى اضرار المجتمع التي تسبب للإمام (عليه السلام) هذا الأذى وهذا الحزن، حيث قال (دام ظله): (إن من مشاكل مجتمعنا الازدواجية، فنحن نعيش نمطاً من الحياة منفتحاً على الغرب لا يمانع من مشاهدة الأغاني والأفلام والصور المثيرة للشهوة، ونعيش في نفس الوقت الأعراف والتقاليد الموروثة التي لا تسمح بأي شائبة من الانحراف، وبسبب هذه الازدواجية تحصل الكوارث الاجتماعية، فلا نحن نستطيع أن نكون كالغرب الذي تخلى عن كل المبادئ الأخلاقية والإلهية، ولا نحن الذين نرفض ما يخالف التزاماتنا ومبادئنا، فمتى نصحو حتى نخفف عن بعض الآلام التي أمضت بقلب الإمام المهدي (عليه السلام)؟).[١]

كما ذكر سماحته (دام ظله) في أحد كتبه[٢] عدة أمور أخرى تزيد من محبة الإمام المهدي (عليه السلام) نذكرها بشيء من الاختصار:

٣. الانقطاع إلى الله تبارك وتعالى في كل الحالات كحالة المريض المضطر ومن تنقطع به الأسباب ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ لكن المفروض عدم الاقتصار على حالات الاضطرار.[٣]

---

(١) الحوزة وقضايا الشباب، الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله).

(٢) يُنظر كتاب شكوى الإمام (عليه السلام).

(٣) هذه النقطة وما يليها من النقاط نقلاً عن كتاب شكوى الإمام (عليه السلام)،للشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ص ٢٣٠ وما بعدها.

٤. العمل بما يتعلم خالصاً لوجه الله تعالى (من عمل بما علمه الله عُلِم ما لم يعلم).

٥. الاعتقاد بأن الإمام المهدي (عليه السلام) يظهر رحمة للناس وشفقة عليهم كجده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أُرسل رحمة للعالمين، لذا فهو سينشر دعوته بالإقناع والحوار لا بالسيف خصوصاً وأن شعوب العالم ستكون واعية ومثقفة ومدركة لظلم المستكبرين ومرتاحة لدعوة الإمام (عليه السلام) ومن يعتقد أنه (لا يبقي ولا يذر) فهو واهم، بل سيتورط في تنفير الناس من الإمام (عليه السلام) ونشر بغضه في القلوب –والعياذ بالله – وإنما يستعمل السيف في الضرورات القصوى. وقد علمنا ألطافه ورعايته بالبشر وهو غائب لا يُعرف فكيف ستكون رعايته وهو حاضر وظاهر ثم إنه واجداده مظهر الرحمة الإلهية وسائر الصفات الحسنى إلا ما اختص الله تبارك وتعالى به وهو الغني وقد جربنا وجرب معنا الكثيرون أن ندبه (عليه السلام): (يا أبا صالح المهدي أدركني) تيسر الكثير من الأمور وتقضي الحوائج اليسيرة والعسيرة.

٦. تكرار الآية الشريفة؛ ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ بصوت واحد للمؤمنين في المساجد وأماكن التجمعات. [1]

٧. إن الرحمة بالناس والصفح عنهم والإحسان إليهم من وسائل الاقتراب الروحي منه (عليه السلام) وعلى الذين يعنيهم أمر تزكية النفس أن يتجنبوا الاضرار بالناس والبغض لهم وألاّ يحملوا في صدورهم ضغينة ولا غلاً ولا رغبة في الانتقام (أرحم تُرحم) وإن الغل والثأر للنفس من الحجب وإذا بقي في روح الانسان ولو حجاب واحد

(١) روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (مَا مِنْ رَهْطٍ أَرْبَعِينَ رَجُلًا اجْتَمَعُوا فَدَعَوُا اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي أَمْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَرْبَعِينَ فَأَرْبَعَةٌ يَدْعُونَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَشْرَ مَرَّاتٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَرْبَعَةً فَوَاحِدٌ يَدْعُو اللَّهَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ لَهُ) الكافي.

فكأن صاحبه يعاني من عشرات الحجب ولو كان غشاوة رقيقة كالكلّة من القماش الرقيق التي تتخذ للنوم فإنها مع رقتها تحجب من بداخلها عن رؤية الحقائق حوله، وجرّب بأن تعزم في نفسك على أن لا تؤذي أحداً وتحاول إدخال السرور على خمسة ـ مثلاً ـ يومياً فإن الإمام (عليه السلام) لا يؤذي أحداً ويحب إدخال السرور على الآخرين واعلم أن تطهير القلب شرط لقائه (عليه السلام) فلا يتحقق ذلك لمن هو حقود ويغتاب ويفتري ويحقّر الآخرين فإن الإمام (عليه السلام) هو خليفة الله تبارك وتعالى المتصف بصفاته ونحن نخاطبه عظمت آلاءه: (يا من أظهر الجميل وستر القبيح) فلا يكشف عيوب الناس ويصفح عن أخطائهم وينشر محامد الآخرين.[1]

٨. حُب الله تعالى لكماله أو لعظيم نعمه ونحوها وحب الإمام (عليه السلام) لأنه واسطة الفيض الإلهي وقد ورد في الزيارة: (من أحبكم فقد أحب الله) وفي الحديث النبوي الشريف في حق السيدة فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام): (من أحبها فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله) والعمل بمقتضيات الحب من الطاعة وعدم صدور ما ينافيه وقد قيل: (إن المحب لمن احب مطيع) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ بحيث يخاف من المعصية لئلا يسقط في عين محبوبه[2].

٩. ترك الطعام الذي فيه شبهة كعدم التزام صاحبه بدفع الحقوق الشرعية فضلاً عن الطعام المحرم.

---

(١) فاذا اردت الفوز بلقاء الامام (عليه السلام) والقرب من الله تعالى فتخلق بأخلاق الله من خلال التركيز على هذه الصفات في القرآن الكريم فقد جاء ما مضمونه (ان الله قد تجلى لعباده بكتابه) وكان الرسول الاعظم ص خلقه القرآن.

(٢) عن الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: (شيعتنا المسلمون لأمرنا الآخذون بقولنا المخالفون لأعدائنا فمن لم يكن كذلك فليس منا) صفات الشيعة.

١٠.الاستفادة من وصايا المعصومين (عليهم السلام) وكلماتهم كوصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبى ذر(رضوان الله عليه) وغيرها مما هو مدون في الكتب.

١١.قراءة القرآن الكريم ما استطعت (راجع كتاب شكوى القرآن). [١]

١٢.الإحسان إلى الوالدين، وإذا كانا ميتين فوصولهما بالخيرات والمبرّات[٢].

١٣.زيارة مراقد الأئمة الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم) ولو من بُعد وبزيارات مختصرة وكذا أولادهم الصلحاء.[٣]

---

(١) خصوصاً في ظرفنا الحالي فإن الفتن اصبحت كقطع الليل المظلم لا يستطيع اجتيازها الا من كان عنده نور يمشي به في الناس قال تعالى: (أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاس كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) وقال تعالى: (أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) وقد ارشدنا الرسول الاكرم ص الى العلاج النافع والنور الذي لا ينطفيء بقوله: (صلى الله عليه وآله): (فَإِذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ مَاحِلٌ مُصَدَّقٌ وَ مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ) (الكافي) وقد جرب البعض ممن وجد نفسه مقصراً بقراءة القرآن أن عاهد الله تعالى على قراءة جزء واحد في اليوم ولمدة أسبوع مثلاً لإلزام نفسه بذلك (وإلا فسيكون مرغماً على دفع الكفارة) ويمكنك استخدام هذه الطريقة أو غيرها عندما تمر بك ظروف ومشاغل جديدة إلى أن تحصل عندك حالة من الاستقرار والتعود على البرنامج الجديد.

(٢) عن الإمام أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): (مَا يَمْنَعُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ أَنْ يَبَرَّ وَالِدَيْهِ حَيَّيْنِ وَ مَيِّتَيْنِ يُصَلِّيَ عَنْهُمَا وَ يَتَصَدَّقَ عَنْهُمَا وَ يَحُجَّ عَنْهُمَا وَ يَصُومَ عَنْهُمَا فَيَكُونَ الَّذِي صَنَعَ لَهُمَا وَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ فَيَزِيدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِبِرِّهِ وَ صِلَتِهِ خَيْراً كَثِيراً)، وعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): (إِنَّ أَبِي قَدْ كَبِرَ جِدّاً وَضَعُفَ فَنَحْنُ نَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ فَقَالَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ فَافْعَلْ وَلَقِّمْهُ بِيَدِكَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ لَك غَداً) الكافي.

(٣) إن السلف الصالح كان لا يترك قراءة زيارة عاشوراء او الزيارة الجامعة يوميا اما نحن اليوم فقد ابتعدنا كثيرا عن ما كا ن عليه السلف الصالح وهذا ما جاء واضحا في رسالة الامام ع للشيخ المفيد (فأنّا نحيط

١٤.لاتدع صلاة الليل وخذها باهتمام كبير ونُقل عنه (أي الإمام المهدي (عليه السلام) قوله: (يا حسرة على أهل العلم الذين يرون أنفسهم مرتبطين بنا ثم لا يواظبون على صلاة الليل)، وفي قصة السيد الرشتي في كتاب مفاتيح الجنان، فإن الإمام (عليه السلام) مستاء من إهمال هذه النافلة المباركة.

١٥.لا تدع قراءة خطبة الصديقة فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) في أصحاب أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين (عليه السلام) ولا خطبة العقيلة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد. [١]

١٦.لا تترك تسبيح السيدة الزهراء (عليها الصلاة والصلاة) خصوصاً بعد الفرائض مباشرة قبل أن تثني رجليك من الصلاة[٢].

١٧.المواظبة على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) خصوصاً في ليالي الجمع والأزمنة

علماً بأنبائكم ولا يُعزبُ عنا شيءٌ من أخباركم ومعرفتنا بالذل الذي أصابكُم مُذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً) وتوجد قصة في مفاتيح الجنان كذلك عن السيد الرشتي الذي التقى بالإمام(عليه السلام) ان الامام ع اكد ثلاث مرات على ثلاثة اشياء وهي؛ (صلاة النافلة وزيارة الجامعة الكبيرة وزيارة عاشوراء).

(١) لما في هذه الخطب الشريفة من معاني جليلة وسامية تأخذ بيد الموالي والمنتظر لأمر الظهور نحو الرشد والهداية وتعزز عنده روح الرفض للظلم، ويستبصر من خلالها مفاهيم الاسلام الاصيل، وتستبين له الحقائق فتثبت عقيدته وإيمانه بأهل البيت (عليهم السلام) ويسعى لتحقيق أهدافهم الإلهية على أرض الواقع.

(٢) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عليها الصلاة والصلاة) مِنَ الذِّكْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)، وقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): (مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ع قَبْلَ أَنْ يَثْنِيَ رِجْلَيْهِ مِنْ صَلاةِ الْفَرِيضَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَ لَيْبْدَأْ بِالتَّكْبِيرِ)، وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ: (مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْ ءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ (عليها الصلاة والصلاة) وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ لَنَحَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَاطِمَةَ (عليها الصلاة والسلام).

الشريفة من القُرب أو من البُعد.

١٨. شُكر المخلوقين على إحسانهم فإن من لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق، وذلك لأنه يفتقد (روحية الشكر) في داخله وان أولياء الله تعالى يشكرون من أحسن إليهم ولو كانوا كفاراً.

١٩. المواظبة على زيارة الجامعة الكبيرة فإنها أصح الروايات متناً وسنداً وقد قُرأت على الإمام (عليه السلام) فأقرَّ مضامينها وامتعض من إهمال شيعته لها.

٢٠. التوسل إليه (عليه السلام) بجدته الزهراء (عليها السلام) فإنه (عليه السلام) يحضر ويلبّي الحاجة وللأئمة (عليهم السلام) تعلق عظيم بها (عليها السلام) يُنقل عن أحدهم (عليه السلام): (إذا كانت لنا إلى الله حاجة توسلّنا بأمنا الزهراء (عليها الصلاة والصلاة) وكذا التوسل بأمه المباشرة السيدة نرجس (عليها الصلاة والسلام) وهي مجربة.

٢١. كسر هوى النفس وعدم إعطائها ما تشتهيها فإنه (عليه السلام) قال – حسب ما نُقل – لأحد أساتذة الحوزة الذي كان يحب رؤيته: (متى ما كسرت نفسك كما فعل الشيخ حسن[1] وتجاوزتها مثله سالكاً في طريق الدين فإننا نأتي لرؤيتك).

---

(١) كان في إحدى القرى رجل عالم صالح يقيم في أهلها صلاة الجماعة ويجيب اسئلتهم الدينية ويقبض حقوقهم الشرعية ولما توفي الحَّ أبناء القرية على ولده واسمه حسن ليأخذ موقعه ولم يكن عنده ما يؤهله لذلك الا انه استسلم لإغراءات الموقع وتصدى لوظيفة أبيه وبعد سنين طويلة نظر الى المرآة ورأى الشيب يغزوا وجهه فالتفت الى تقصيره وجرأته على الله وعظيم جنايته فلم يجد حلا غير الصعود إلى المنبر واعلام الناس بالأمر تحقيراً لنفسه واعترافا بخطأه وفعل ذلك فأهانه الناس وضربوه وغادر المدينة متوسلا بالإمام (عليه السلام) ان يهديه وفي الصحراء وجهه الامام (عليه السلام) الى طلب العلوم الدينية في الحوزة العلمية عند استاذ معين وكان الشيخ حسن هذا يخبر استاذه ببعض المغيبات التي تصدق في زمانها فسأله أستاذه فاخبره ان هذا من الإمام (عليه السلام) فطلب منه أن يريه الإمام (عليه السلام) وبعد ايام تغيب

٢٢. محاسبة النفس ومراقبتها ، فالمراقبة هي السعي إلى ترك المحرمات والابتعاد عن المكروهات وأداء الواجبات في أول وقتها وعلى الوجه السليم وهذا يتطلب دراسة في الفقه والعقائد والمحاسبة هي إيقاف النفس كل ليلة أمام محكمة الضمير لمحاسبتها على السلبيات والايجابيات بدقة والاستغفار من كل عمل سيئ وتلافيه قبل النوم والشكر على ما وفق الله تعالى من عمل الخير.

٢٣. الاعتكاف (بإخلاص وطهارة من حُب الدنيا بكل تفاصيلها من رياء وحب السمعة والجاه) في المسجد الجامع للمدينة ثلاثة أيام خصوصاً في العشر الأواخر من شهر رمضان في مسجد الكوفة والأيام البيض من رجب.

٢٤. إقامة مآتم أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) على طول السنة وعدم الاقتصار على المناسبات والتأكيد على مصيبة الصديقة الطاهرة (عليها الصلاة والسلام) والإمام الحسين (عليه السلام) والطفل الرضيع وعلي الأكبر ووداع العيال وسبي الهاشميات مواساة له (عليه السلام) وقد ورد في زيارة الناحية المقدسة عنه (عليه السلام): (لأبكين عليك صباحاً ومساءً) والمشاركة بإخلاص ـ من غير رياء او طلباً للسمعة ـ في الشعائر الحسينية والتأكيد على (ركضة طويريج) يوم العاشر من محرم فإنها من أكثر الشعائر إخلاصاً وقد كان العلماء والفضلاء يشاركون فيها.

٢٥. قراءة أدعية التوسل والالتجاء إلى الله تعالى وبيان الحاجة إليه والاعتذار منه بتأمل معانيها والتجمع في المساجد ونحوها لقراءة دعاء كميل في ليالي الجمع أو دعاء الندبة يوم الجمعة.

عن الدرس ثم عاد التلميذ إلى أستاذه ليخبره بجواب الإمام المذكور هنا ويأمره بالامتناع عن الاستمرار بالدرس . (نقلاً عن كتاب الكمالات الروحية بتصرف).

٢٦. من الخير للإنسان ألا ينظر إلى مصاعب الحياة ومصائب الزمان بأذى ومن غير ارتياح، ذلك أن ما يرد على المرء من بلاءات إما أن يكون تكفيراً عن ذنوبه ومعاصيه أو أنها نهج لتزكيته وتهذيبه وكلها خير.

٢٧. كثرة السجود شكراً لله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى أو طلباً لإجابة الدعاء فإن العبد أقرب ما يكون إلى الله وهو ساجد ويقول سبعاً: (يا أرحم الراحمين) ويدعو او طلباً للمغفرة ويكرر قول النبي يونس (عليه السلام): ﴿ لا اله إلا أنت اني كنت من الظالمين﴾ فان جوابها عند الله تبارك وتعالى: ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ وقال تعالى: ﴿ فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون﴾

٢٨. المواظبة على زيارة الإمام الحجة (عليه السلام) بالزيارة المعروفة بـ(آل ياسين) والدعاء بعدها فإنها مما يواظب عليها الصالحون.

ونحن معشر المنتظرين لأمره والمؤمنين بوجوده المبارك وغيبته المباركة، يمكننا أن نحصل على توفيق عظيم أخر، بسبب نيلنا لرضا الإمام المهدي (عليه السلام) وادخالنا السرور على قلبه الشريف، وهذا التوفيق هو التشرف بلقياه (عليه السلام) في زمن غيبته الكبرى، ويمكن نيل هذا الشرف إذا ما التزمنا بالشريعة الحقة وهذبنا أنفسنا وتحلينا بالإخلاص العالي، وطبّقنا التعليمات والوصايا التي ذكرناها آنفا، وهذه الحقيقة أكدها المرجع اليعقوبي في إحدى كلماته التي نستشف منها وبكل وضوح إمكانية التشرف بلقاء الإمام (عليه السلام) زمن غيبته، على الرغم من تشكيك البعض أو إنكارهم لهذه الحقيقة، حيث قال (دام ظله): (إنّنا نحظى بوجود بقية الله الأعظم الإمام المهدي (عليه السلام) بين ظهرانينا وإن كنّا لا نعرفه شخصياً، ونخاطبه في دعاء الندبة (متى ترانا ونراك) وتتحدث الشواهد التاريخية الكثيرة على إمكان ذلك لمن رضي عنه

الإمام(عليه السلام) لخير وجده فيه، يُروى ان عابداً كان يتمنى لقاء إمام الزمان (عليه السلام) وبعد فترة من الرياضات الروحية والتعب والمشقة لم يصل الى شيء واخذ اليأس يدب الى قلبه، وفي ليلة من الليالي بينما كان قائما يتعبد إذا بهاتف يناديه: (الوصول الى المولى يعني شد الرحال الى ديار الحبيب) فشدَّ الرحال من جديد وأخذ يزيد من الصلاة والتعبد حتى انتهى الأمر به الى المكوث في المسجد أربعين يوما فأتاه نداء آخر يقول: (إن سيدك تجده في سوق الحدادين يجلس في باب رجل عجوز يصنع الأقفال) فذهب مسرعا فوجد الإمام (عليه السلام) يشع نوراً فارتعدت فرائص العابد إلا أن الإمام (عجل الله تعالى فرجه) طلب منه أن ينظر ما سيحصل، فجاءت عجوز منحنية الظهر بيدها قفل عاطل وقالت للبائع أرجوك اشتر هذا القفل بثلاثة دنانير فقال البائع: إن هذا القفل بثمانية دنانير وإذا أصلحته يصبح بعشرة فتصورت العجوز انه يسخر منها إلا انه بادر بإعطائها سبعة دنانير وقال لها: لأني أبيع واشتري أخذته بسبعة دنانير لأربح دينارا فذهبت العجوز مسرورة فالتفت الإمام (عليه السلام) إلى العابد وقال: (كونوا هكذا كهذا العجوز كي نأتيكم نحن بأنفسنا لا حاجة إلى التعبد أربعين يوماً ولا فائدة من الجفر والحروف فقط اصلحوا أعمالكم).[1]

كما يمكن أن نؤيد هذه الحقيقة بما نُقل من قول الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه في رسالته للشيخ المفيد (رضوان الله تعالى عليه) حيث جاء فيها: (وَلَوْ أَنَّ أَشْياعَنا ـ وَفَّقَهُمُ اللّهُ لِطاعَتِهِ ـ عَلَى اجْتِماع مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَما تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقائِنا، وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعادَةُ بِمُشاهَدَتِنا عَلى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِها مِنْهُمْ بِنا، فَما يَحْبِسُنا عَنْهُمْ إلاّ ما يَتَّصِلُ بِنا مِمّا نُكْرِهُهُ وَلانُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ).

(١) خطاب المرحلة، ج٩، خطاب رقم (٤٠٨)، بعنوان: (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم).

أما أسباب حرمان البشرية من التشرف بلقائه (عليه السلام) فهي واضحة للأذهان، ويمكننا أن نكتفي بما جاء في الرسالة الثانية المنسوبة إلى الإمام المهدي (عليه السلام) والتي وجّهها إلى الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) قبل أكثر من ألف عام، حيث جاء فيها: (ونحن نعهد إليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين، أيّدك الله بنصره الذي أيّدَ به السلف من أوليائك الصالحين إنه من اتقى ربَّه من إخوانك في الدين وأخرج مما عليه إلى مستحقيه كان آمناً من الفتنة المبطلة ومحنها المظلمة المضلّة ومن بخل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره بصلته فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاه وأخرته، ولو أن أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل) فالإمام (عليه السلام) يبينُ أسباب حرمان البشرية وخصوصاً شيعته من طلعته المباركة وألطاف لقائه السنية ويخصُ شيعته بالتأسف لأنهم مستحقون للفوز بلقائه بما يحملون من ولاء ونصرةً واعتقاد راسخ بهم (عليه السلام) إلا إنه يمنعهم من ذلك بعض الموانع أما غيرهم فهم غير مستحقين أصلاً للتشرف بلقائه، وقد جعل من أهم تلك الأسباب امتناعهم عن أداء الحقوق الشرعية التي فرضها الله تبارك وتعالى في أموالهم وإيصالها إلى مستحقيها.[1]

وقد أشار المرجع اليعقوبي في بعض كلماته إلى معاني جامعة لما يُفرح قلب الإمام المهدي (عليه السلام)، حيث قال (دام ظله): (اعلموا إنكم بكل عمل خير تقومون به أو باب معصية تغلقونها تدخلون السرور على أمام العصر (عليه السلام)كما أن أي تقصير في

(١) شكوى الامام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي، بتصرف.

ذلك يؤلم قلبه). [١]

وقال (دام ظله) أيضاً: (أيها الأحبة: إن كل تقدم ونجاح تحققونه يدخل السرور على قلب إمامكم المهدي الموعود (عليه السلام) لأنكم ذخيرته وعُدّتُه وهو (عليه السلام) ينتظركم أكثر مما تنتظرونه، ويتابع أخباركم كما عبّر (عليه السلام) في رسالته إلى الشيخ المفيد (قدس سره) في كتاب الاحتجاج: (إنه لا يعزب عنا شيء من أخباركم). [٢]

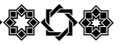

(١) يُنظر العدد (٢٣) من صحيفة الصادقين، كلمة بعنوان: (على الإنسان أن يستثمر كل فرصة للطاعة ويغلق كل باب للمعصية).

(٢) خطاب المرحلة، ج٧، خطاب بعنوان: (البنية التحتية للإنسان).

شكاوى الإمام المهدي (عليه السلام) من شيعته

قال المرجع اليعقوبي (دام ظله): إن (للإمام المهدي (عليه السلام) شكاوى عديدة من شيعته، جعلها (عليه السلام) هي المانعة عن التشرف بلقائه ونيل بركات ظهوره، ولا يعني شكواه من شيعته عدم وجود شكوى من غيرهم، بل الخطبُ عند أولئك أفظع، ولكنّه باعتبار المسؤولية الخاصة عن شيعته وأحاطتهم برعاية إضافية باعتبارهم الشريحة المؤمنة بإمامته(عليه السلام) والموالية له والمبادرة إلى نصرته، كالأب الذي إذا أساء ولده يزجره ويوبخه، وربما يعاقبه، بينما لا يهتم بنفس الدرجة فيما لو أخطأ الغريب عنه، وما ذلك إلاّ لشعوره الخاص بالمسؤولية عن تربية ولده). [١]

وقد ألَّف (دام ظله) ثلاثة كتب تناولت شكاوى ثلاثة أركان أساسية ورئيسة للدين الإسلامي وهي (شكوى القرآن وشكوى الإمام (عليه السلام) وشكوى المسجد) انطلاقاً من الأحاديث الشريفة التي دلت على هذا المعنى وحذرتنا من التقصير بحقها لكي لا تشكونا إلى الله تعالى، منها ما روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): (يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعترة، يقول المصحف: يارب حرّفوني ومزّقوني، ويقول المسجد: يا ربِّ عطلوني وضيعوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا، فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عز وجل لي: أنا أولى منك). [٢]

وكذلك ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام)أنه قال: (ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل

---

(١) يُنظر (شكوى الإمام (عليه السلام) ، (نحن والغرب)، الشيخ محمد اليعقوبي.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، كتاب الصلاة ، ج٣ ابواب احكام المساجد ب٥ ح٢.

مسجد خراب لا يصلّي فيه أهله وعالم بين جهّال ومصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه) [١]، ويرى المرجع اليعقوبي (دام ظله) أن (أوضح مصاديق العالِم هم أهل البيت (عليهم السلام) وخصوصاً الإمام الفعلي القائم بالأمر (أرواحنا له الفداء) فالثلاثة الذين يشكون هم القرآن والعترة والمسجد)، وقال (دام ظله) أيضاً مستعرضاً أهمية الالتفات إلى عظيم الأثر السيء الذي يحيط بهذه الأسس المهمة جراء إعراض وتقصير المسلمين بحقها: (وما دامت هذه الثلاثة هي أسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفنائه، لذا كان لزاماً علينا أن نفرد كل واحد منها ببحث خاص لبيان أثره في حياة الأمة وعظيم خسارتها بالإعراض عنه وأساليب تفعيل دوره في حياة المسلمين وأرى من واجبي أن أنصب نفسي (مدعياً عاماً) كما يعبرون اليوم لأرفع هذه الشكاوى الثلاث). [٢]

وسنقتصر في حديثنا هنا حول شكاوى الإمام المهدي (عليه السلام) من شيعته بشكل موجز ونكتفي بالإشارة إلى النقاط الرئيسة فيها، سواء الشكاوى التي ذكرها المرجع اليعقوبي في كتابه (شكوى الإمام (عليه السلام) أو التي لم يذكرها، ولكن قبل ذلك نود أن نذكر تساؤله (دام ظله) الذي أورده قبل سرد هذه الشكاوى ، وهو ما الذي نستفيده من حديث الشكوى؟ وقد أجاب عن هذا التساؤل قائلاً (دام ظله): (إننا نستفيد من هذا الحديث في أكثر من أمر :

الأمر الأول: إن أسس بناء الأمة المسلمة ومقومات كيان المجتمع المسلم هي هذه الأركان الثلاثة، لذا تم التركيز عليها، والحديث على هذا يكون بمعنى حديث الثقلين المشهور: (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن

(١) المصدر نفسه، ج٤، باب (٤) من أبواب قراءة القرآن، ح٢.

(٢) الشكاوى الثلاث، الشيخ اليعقوبي.

تظلوا بعدي أبداً، وقد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة) والثقلان هما اثنان من هذه الثلاثة، أما الثالث وهو المسجد فهو المحل الذي يمارس الثقلان من خلاله دورهما في المجتمع ويرتبطان في أجوائه المقدسة بالأمة.

الأمر الثاني: الإشعار بأن الأمة ستعرض عن هذه الثلاثة وستخلفها وراء ظهورها لذلك أخبر (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الشكوى كحقيقة واقعة وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يحذر الأمة من هذا التضييع ويبالغ في العقوبة عليه حتى كان الله تبارك وتعالى هو الخصم المطالب بحقها وهو الحكم العدل، وما دامت هذه الثلاثة هي أسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفنائه). [1]

الأمر الثالث: إن هذه الأركان الثلاثة ترتبط فيما بينها بروابط وثيقة وعميقة وبشكل وظيفي _ لو صح التعبير _ فالإمام المهدي (عليه السلام) يمثل منصب القائد الإسلامي، والحجة المنصوب من قِبل الله تعالى، وهو المبلغ لأحكام القرآن والشريعة السمحاء والحجة المنصوب على الناس، أما القرآن الكريم فهو يمثل الدستور المقدس والنظام الإلهي الذي يجب على المسلمين كافة السير على هداه والاقتداء به ولا يجوز لهم وبأي حال من الأحوال مخالفته، كما أنه الثقل الأكبر ووديعة النبي الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم) عندنا، أما المسجد فيمثل المؤسسة الدينية والحاضنة العبادية _ لو صح هذا التعبير _ لجموع المسلمين، كما يمثل مركزاً معنوياً ومكانياً للانطلاق نحو التغيير والاصلاح لبناء الفرد والمجتمع، كما أنه يسهم بدرجة كبيرة في توحيد صفوف المجتمع ويلم شملهم، وإننا إذا راجعنا سيرة المعصومين(صلوات الله وسلامه عليهم) نجد بوضوح فاعلية عظيمة للقرآن الكريم وللمسجد في عملية التغيير والإصلاح

(١) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي.

التي ساروا عليها وفق هذين الركنين الشريفين، ناهيك عما تحمله هذه الأركان الثلاثة من رمزية معنوية وقدسية عظيمة في قلوب المسلمين تجعلهم يشعرون بالاعتزاز وحب الانتماء لهما والرغبة في التقرب إلى الله تعالى من خلالهما.

والآن نذكر فيما يلي أبرز شكاوى الإمام المهدي (عليه السلام) من شيعته والتي ذكرها المرع اليعقوبي في كتابه (شكوى الإمام (عليه السلام) ونحن نوردها هنا بإيجاز وتصرف:

- الشكوى الأولى: الجهل بقضيته المباركة، وعدم معرفة أبعادها.
- الشكوى الثانية: الابتعاد عما كان عليه السلف الصالح، وعن الصفات الحقيقية، في حين أنّ المفروض والصحيح هو الاهتمام بشروط الظهور الميمون لا علاماته، لكن للأسف إن الحاصل على أرض الواقع هو العكس من ذلك تماماً.
- الشكوى الثالثة: الاهتمام بعلامات الظهور أكثر من الاهتمام بشروطه.
- الشكوى الرابعة: حبس الحقوق الشرعية.[1]
- الشكوى الخامسة: وجود حالة من التنافر والفرقة بين صفوف شيعته وعدم الاجتماع القلبي الحقيقي لأننا أحياناً نجتمع مادياً ومكانياً ولكن قلوبنا شتى، قال (دام ظله) فيما يخص هذا الموضوع المهم: (ورد في رسالة الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا له الفداء) إلى الشيخ المفيد (قدس سره): (ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلاته على سيدنا البشير محمد وآله الطاهرين وسلم[2]. فهل يعلم أتباع الحق، المنتظرون

(١) وللمزيد من التفصيل مراجعة المصدر السابق.

(٢) الاحتجاج ج ٣٢٥/٢.

لظهور إمامهم والتواقون لرؤية طلعته المباركة والذين يتضرعون ليل نهار إلى الله تبارك وتعالى ليقرب يومه الموعود، حتى يعيد البسمة إلى المظلومين والمحرومين ويقيم دولة الحق والعدل ويقصم ظهر الطغاة والمستكبرين والمجرمين، أقول هل يعلمون أنهم يؤخرون كل تلك البركات بما يعيشون بينهم من حالة التنافر والشحناء والتقاطع والعلاقات المتشنجة التي برزت بشكل واضح خلال السنوات الأخيرة، حين وجدت فرص الوصول إلى المواقع السياسية -إي المناصب على اختلاف مراتبها- والدينية كإمامة المساجد والجمعات أو الوكالة عن المرجعية في مدينة ما والاجتماعية كزعامة العشائر أو الوجاهة لدى الناس، فأشعل التنافس غير الشريف والتزاحم على هذه المواقع نار الحسد والبغضاء مما يدفع صاحبها إلى الكيد للآخر وتسقيطه في المجتمع وتشويه صورته وتنفير الناس منه. ومهما حاول صاحبها أن يبررها بأسباب مقنعة كوجود مصلحة دينية ونحوها فإنه يغالط نفسه لأن الحديث الشريف يقول: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) فأي عروةٍ هذه التي يتمسك بها هؤلاء المغالطون لأنفسهم لكي يفصموا بها هذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها. إن هؤلاء مشمولون بقوله تعالى: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ] (النمل:١٤) وقوله تعالى [بَلِ الإنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ] (القيامة:١٤) وقد قرب أحد العلماء ذلك بمثال فقال لو أن الأنبياء كلهم وهم مئة وأربعة وعشرون ألف نبي اجتمعوا في زمان واحد هل تراهم يختلفون على شيء أم تراهم متحابين متآلفين متوحدين؟! لماذا لأنهم مخلصون لا يبتغون إلا رضا الله تبارك وتعالى فيتوحدون على هذا الهدف المشترك، فمنذ أن هبط ادم الأرض تصارع ولداه حين تقبل قربان احدهما ولم يتقبل من الآخر فقال الأول الذي انساق وراء نوازعه النفسية وأهوائه فتغلبتا على عقله (لأقتلنك) قال الآخر الذي هذب نفسه وضبط شهواته وألجمها

بلجام عقله [لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ] (المائدة:٢٨) وحينئذ سقط الأول في هاوية جهنم [فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (المائدة: ٣٠) فمرجع كل ذلك إلى حب الدنيا الذي تجلى بصور عديدة ولا يكاد ينجو إنسان من شكل من أشكاله كالثراء والازدياد من المال أو فتنة النساء أو حب الجاه والزعامة حتى يسقط في داء آخر، لذا يشبه الأخلاقيون الدنيا بالتنين الذي كلما قطع رأس له ظهرت له عدة رؤوس. وأنا لا ازعم أن هذا الداء قد ابتلي به هذا الجيل دون غيره، بل إنه جزء من الصراع الطويل بين الخير والشر في النفس الإنسانية، والصراع المتأصل بين جند الرحمن وجند الشيطان في هذا العالم الأكبر الذي ينطوي عليه الإنسان

أتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

لكن الفرق بيننا وبين الأجيال القديمة إننا نعيش في ظل الإسلام وتعاليم أهل بيت النبوة، الذين لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا بينوا وجه الحق فيها ثم واصلت المرجعية الشريفة دورهم في هداية الأمة وإرشادها إلى طريق الصلاح ولازالت تؤدي نفس الدور، فتحصل عندنا رصيد عظيم من الأحاديث الشريفة والتعاليم الإنسانية السامية). [1]

- الشكوى السادسة: عدم الانصياع التام لتوجيهات وأوامر المرجعية النائبة الرشيدة والتخلي عن العمل الرسالي والحركي الذي يُفعل دور المرجعية في زمن الغيبة.
- الشكوى السابعة: عدم تهذيب النفس الأمارة بالسوء ومحاربة أهوائها

(١) خطاب المرحلة، ج٤، ص١٦٩ وما بعدها ، رقم(١٠٢): (شكوى الإمام (عليه السلام) من عدم اجتماع قلوب شيعته).

والركون إلى لذائذ الدنيا وزينتها.

- الشكوى الثامنة: ظلم بعضنا للبعض الآخر والتورط بالتقصير بأداء الحقوق تجاه الإخوان.
- الشكوى التاسعة: هجران القرآن الكريم والمسجد وعدم تفعيل دورهما كما ينبغي في حياة الفرد والمجتمع، وهذا التعطيل لدورهما من قواصم الظهر لما له أثر بالغ على دين الناس، ولذلك شددت الشريعة الإسلامية في الحث على تعاهدهما والاهتمام بهما، وقد التفت أعداء الدين والانسانية لأهميتهما، لذا حاولوا ومن خلال مخططاتهم الشيطانية تعطيل دورهما في حياة المجتمع الإسلامي قدر ما يستطيعون.
- الشكوى العاشرة: عدم التحلي بصفات المنتظِر الحقيقي الذي يمتلئ كل وجوده رغبة وشوقاً للقاء معشوقه المُغيب، ويعمل جاهداً لإرضائه ويلهج على الدوام بذكره، ويعمل في الحياة وكأن الامام(عليه السلام) حاضر ويراه ويراقب تصرفاته.
- الشكوى الحادية عشرة: تشويه صورة الإسلام وصورة المذهب أمام غير المسلمين وغير اتباع أهل البيت (عليهم السلام).

صفات المنتظِرين وتكاليفهم في زمن الغيبة الشريفة التي تُسهم بتقريب الظهور

كثيراً ما يركز المرجع اليعقوبي (دام ظله) في كلماته ومؤلفاته على ضرورة إعداد الأرضية المناسبة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) والعمل على تعجيل الفرج المهدوي، ولا يكتفي بذلك بل يضع النقاط على الحروف ويوضّح للمنتظرين خطة العمل التي يجب السير عليها لأجل تحقيق الأهداف المطلوبة في زمن الغيبة الشريفة، ويحفز المجتمع لاسيما شريحة الشباب منهم لأجل ذلك، ويبث في روعهم الهمة وروح المثابرة والعزيمة لكي يكونوا أداة فاعلة في انجاح العمل الرسالي الإسلامي في الأمة، ولكي يسهم جميع أفراد المجتمع - وكل بحسب موقعه وقدرته- في تعجيل الظهور المبارك، ولكي لا نركن للانتظار السلبي الذي هو مدعاة للكسل والخمول والتقاعس والانعزال ونحوها من السلوكيات الخاطئة.[1]

وقد طرح سماحته (دام ظله) سؤالاً حول سبب تأخر ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)

---

(١) هذا في الجانب النظري أو التثقيفي أما في الجانب العملي فقد سعى (دام ظله) بالعمل على تحقيق عدة مشاريع على أرض الواقع من شأنها المساهمة في التمهيد لدولة القسط والعدل الإلهي وتَصُب في رافد تعجيل فرج الظهور، ولأن ذلك خارج عن نطاق موضوعنا فلا يجدر بنا الاسهاب فيه، ولكني أُحيل القارئ اللبيب إلى كتابنا (المرجعية الرشيدة في بُعدها الرسالي والحركي) الذي دوَّنا فيه أبرز انجازات المرجع اليعقوبي (دام ظله) ونشاطاته الرسالية لكي يطلع المجتمع على بعض الأعمال والنتاجات العظيمة التي حققها (دام ظله) في السنوات الماضية، والتي تَصُب في خدمة المصلحة الإسلامية العليا وخدمة نهج أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وخصوصاً القضية المهدوية المباركة وكذلك نفع المسلمين ورفع شأنهم.

يريد من خلال الجواب عنه أن يحفز أبناء المجتمع المؤمن الرسالي، ولكي يبين للناس أيضاً أبرز تكاليفهم تجاه إمام زمانهم (عليه السلام)، حيث قال (دام ظله):

(يثار سؤال عبر الأجيال أنه ما السبب في تأخير ظهور الإمام (عليه السلام) ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، خصوصاً وأنه (عليه السلام) ينتظر أكثر من أي مخلوق غيره للإذن بالظهور لينقذ البشرية من الحيرة والضلالة والتخبط وعبادة الطواغيت، يخلصهم من الظلم والاضطهاد والحرمان، وإذا كان كل فرد يحسّ في وجدانه بمقدار من الغضب والرفض للظلم والحماس للتغيير، فإن قلب الإمام (عليه السلام) يختزن مجموع هذه الإحساسات المنتشرة في قلوب البشر كلهم، لأنه شعور محمود وايجابي، وفي عقيدتنا إن الصفات الايجابية للبشر كالعلم والرحمة والكرم تجتمع كلها وأزيد منها عند إمام العصر المعصوم (عليه السلام) ، فلماذا هذا الانتظار. كنا نجيب بأن من شروط الظهور أن يعود الناس إلى الإسلام ويطبقوه في حياتهم وتحصل لهم القناعة بفشل كل الأنظمة الأرضية وانحصار طريق السعادة والكمال بتطبيق الشريعة الإلهية خصوصاً في العراق عاصمة الإمام (عليه السلام) ومنطلق حركته المباركة، وها قد حصل هذا واعترف العالم كله بأن الإسلام وعلماء الدين هم المحركون للشارع العراقي، وأصبح حتى العلماني والملحد يزور مراجع الدين ويستشيرهم ويتجنب إثارتهم واستفزازهم فهذه المرحلة قد تحققت ظاهراً على الأقل. ثم دخلنا في مرحلة جديدة من التربية والامتحان وقلنا إن الإمام (عليه السلام) يريد من أبناء الإسلام أن يصلوا درجة التضحية الكاملة في سبيل دينهم بحيث لا يتخلفون عن أي أمر توجهه المرجعية باعتبارها القيادة النائبة للإمام المعصوم (عليه السلام) ولو كلفهم حياتهم، ونضرب لهم مثلاً بقصة ذلك الخراساني الذي طلب من الإمام الصادق (عليه السلام) التحرك لإزالة ظلم الطواغيت من أمويين وعباسيين وأن له في خراسان وحدها مائة ألف سيف فأجابه

الإمام (عليه السلام) كالمتعجب: مائة ألف سيف؟ قال الخراساني: نعم، ومائتي ألف سيف، فأمر الإمام (عليه السلام) أن يُسجر التنور وطلب من الخراساني أن يلقي نفسه فرفض، وهنا دخل أبو هارون المكفوف وهو أحد أصحاب الإمام (عليه السلام) فطلب منه الإمام (عليه السلام) ذلك فاستجاب كالبرق وألقى نفسه في التنور المسجور وأخذ الإمام يشاغل الخراساني بالحديث وهو مذهول لتصرف أبي هارون وقال له: كم لديك في خراسان مثل هذا؟ قال: لا يوجد يا ابن رسول الله[1].

وأنا أجيب نيابة عنكم أيها الشباب المتحمس الغيور، وأيها الرجال الأشداء المستعدون لفعل ما قام به المؤمن الصادق أبو هارون، أنه يوجد يا ابن رسول الله الآلاف ممن يقرون عينيك حينما تطلب منهم، بل إنهم يستأنسون بالمنية دونك استئناس الطفل بمحالب أمّه، وقد جرّبنا صبرهم وثباتهم وصدق ولائهم حينما صنع لهم الإخوان قبل الأعداء ناراً اجتماعية من التشويه والتسقيط والسب والاتهام والافتراء والكلام الجارح القاسي الذي يستفزّ حتى الجبال وهي أصعب من النار الطبيعية[1] فصبروا وازدادوا إيماناً وتسليماً وما كان ردّهم إلا أن قالوا: (سلاماً) التزاماً بالأدب الإلهي. وهنا يعود السؤال من جديد: إذن ما الذي ينتظره الإمام (عليه السلام)؟ ونحن في الوقت الذي نحاول الإجابة عن هذا السؤال ونبين ما ينتظره الإمام (عليه السلام) إنما نريد أن نعرف تكليفنا في هذه المرحلة، والعمل الذي نؤديه من أجل التمهيد والإعداد لظهور الإمام (عليه السلام) المبارك الميمون).[2]

---

(١) راجع لمعرفة التفاصيل : الفصل الرابع من دور الأئمة في الحياة الاسلامية.

(١) هذا ما قاله سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر في لقائه مع طلبة جامعة الصدر الدينية جمادى الثانية ١٤١٩. ونشرت مقاطع منه في كتاب (جامعة الصدر الدينية الهوية والإنجازات).

(٢) خطاب المرحلة، ج٣، ص(٤٢١ -٤٢٣)، خطاب رقم (٦٥): (ما الذي ينتظره الإمام المهدي (عليه السلام) من شيعته).

وفيما يلي نستعرض بعضاً من كلمات المرجع اليعقوبي (دام ظله) التي يُبين فيها أهم التكاليف والأعمال التي تقع على عاتق المجتمع المُنتظر لظهور الإمام (عليه السلام) في زمن غيبته الشريفة:

١) التعرف على الإمام المهدي (عليه السلام) وعلى أبعاد قضيته المباركة:

- (أول تكليف للأمة تجاه أمامها هو التعرف عليه لأن الجهل به يعني أسوأ النتائج وأخطره الضياع والتشتت والتخبط والتنازع وتفرق الأهواء وكثرة المدعين زوراً وبهتاناً لهذا الموقع المقدس الذي تطمح إليه النفوس لأنه أشرف عنوان وأسماه وتنقاد إليه الناس لذا كان من أدعية زمان الغيبة التي علمّها الأئمة (عليهم السلام) لشيعتهم: (اللهم عرّفني نفسك فانك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني نبيك فأنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فانك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني) فمعرفتهم(عليهم السلام) امتداد لمعرفة الله تبارك وتعالى التي هي أساس الدين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أول الدين معرفته) ونخاطبهم في الزيارة الجامعة الكبيرة: (من عرفكم فقد عرف الله)، (من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قَبِل عنكم) ويبين الدعاء نتيجة عدم المعرفة الحقيقية بحجة الله على خلقه وهو الضلال عن الدين وما أتعسها من عاقبة وهي التي عبر عنها في حديث آخر: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) بكل ما تعنيه الجاهلية من انحراف وتعاسة وضياع وخواء روحي وعقلي وقلبي وسوء المنقلب والمصير التي لخصها الله تبارك وتعالى بضنك وضيق العيش في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ فقد ورد في الروايات إن الذكر أهل البيت(عليهم السلام) ويؤيد ذلك السياق القرآني الذي وردت فيه وليس هذا

محل تفصيله فالغفلة عنهم(عليهم السلام) تعني الوقوع في هذه النتائج السيئة).[١]

- (إن أول شكوى يرفعها الإمام المهدي (عليه السلام) هي الإعراض عن أمره والجهل بقضيته والغفلة عنه إذ ليس المقصود بالمعرفة المطلوبة هو العلم باسمه فهذا يشترك فيه حتى غير الموالين له بل أن كتب أولئك التي ذكرت تفاصيل حياته (عليه السلام) وأخباره المستقبلية اكثر مما كتب عنه موالوه). [٢]
- (كان الواعون من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) والحريصون على دينهم وآخرتهم ينظرون باهتمام بالغ إلى ما يصدر عنهم (عليهم السلام) من أخبار عن الفتن والغربلة والسقوط في الامتحان ويحملونها محمل الجد ليصونوا أنفسهم من الوقوع في تلك الفتن ومن الفشل في الامتحان الذي يحصل لكثير من عامة الناس؛ لذا كانوا يسألون الأئمةَ (عليهم السلام) عن تكليفهم وعما ينجّيهم من الجهالة ويخلصهم من حيرة الضلالة، التي هي وظيفة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، ومن بعدهم علماء الدين خصوصاً في زمان غيبة الإمام (عجل الله فرجه) التي قال فيها الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون)[٣] والحيرة والهلاك تكون بعدة مستويات:

(منها) على نحو إنكار أصل الغيبة لاستبعاد أن يبقى إنسان هذه المدة الطويلة أو لأي شبهة أخرى.

(ومنها) الاعتراض على طول الغيبة لعدم الصبر على تأخير الانتقام من الظالمين او للعجز عن إدامة حالة الاستعداد والتمهيد للظهور بأشكال التمهيد الذي يتطلب أحياناً

---

(١) شكوى الإمام (عليه السلام) ، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كمال الدين للصدوق: ٨١/٢ ، الباب ٣٨.

تضحيةً بالنفس ومواجهةً مع الظالمين واصطداماً بالمجتمع، ولذا ستكون فترة الغيبة صعبة وشاقة.

(ومنها) كثرة أصحاب الدعاوى الباطلة الذين يدّعون الارتباط بالإمام (عليه السلام) ومشروعه فيخدعون بها السذّج والجهلة ليتأمّروا عليهم، وهكذا. روى زرارة – وهو من أجلاء أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)- قال: (سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر، وهو الذي يُشَكُّ في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمْلٌ، ومنهم من يقول: إنه وُلِد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر، غير أن الله عز وجل يحبّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون، يا زرارة، قال: قلتُ: جعِلتُ فداك إن أدركتُ ذلك الزمان أي شيء أعملُ؟، قال: يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادعُ بهذا الدعاء: اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللتُ عن ديني)[1]. وهذا التعليم إنما هو لنا نحن الذين نعيش في زمان الغيبة لأن الإمام (عليه السلام) يعلم أن زرارة لا يدرك زمان الغيبة، وكذلك يعلم زرارة لإخبار الإمام (عليه السلام) أن الغيبة للثاني عشر.

والمُنجي ليس هو مجرد تحريك اللسان بهذه الكلمات فإنها لا توصل إلى هذه النتيجة وإن كانت توجب بعض الفوائد كتحصيل الثواب، وهذا معنى كررته في أحاديثي لأهميته، لذلك لم يقل الإمام (عليه السلام): (قل هذه الكلمات) وإنما قال: (ادعُ بهذا الدعاء) أي أوجد في نفسك حقيقة هذا الدعاء وطلب هذه المعاني، وحينئذٍ سيعصمك الله تعالى من الضلال، ألا ترى أن الإنسان لو تعرض إلى عدو قاتل أو

(١) الكافي: ١٩٧/١، كتاب الغيبة.

حيوان مفترس وله مأوى محصَّن، فهل ينجيه أن يردد بلسانه بأي عدد من المرات: (أعوذ بهذا الحصن من العدو)؟ أم أن عليه أن يدخل في ذلك الحصن فعلاً؟.

فطريق النجاة يتطلب معرفة الإمام (عليه السلام) معرفة صحيحة والسير على نهجه. والدعاء المذكور في الحديث يشير إلى ترتيب في طريق المعرفة على عكس ما هو متعارف لدى أغلب الناس فنحن ننتقل بالمعرفة من الأثر إلى المؤثر ومن الفرع إلى الأصل، وهو طريق مقبول ولم ينفه الحديث الشريف وروى الشيخ الصدوق (قدس سره) في كتاب التوحيد في تفسير هذا الحديث عن الصادق (عليه السلام) قوله: (لولا الله ما عُرِفنا، ولولا نحن ما عُرف الله) ثم قال الصدوق: (ومعناه لولا الحجج ما عُرف الله حق معرفته ولولا الله ما عُرف الحجج)[1]. فهذه المعرفة الغالبة لدى الناس مقبولة، لكن الحديث يدعو الى المعرفة الأسمى وهي التي تبدأ بالأصل ثم الى الفرع ، ففرقٌ بين من يعرف طلوعَ الشمس من خلال إخبار الآخرين أو من خلال وجود ضوئها ونورها منعكساً عن الأشياء وبين من يراها عياناً، قال تعالى: [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] (فصلت:٥٣)، فبناءً على كون الصفة المشبهة (شهيد) بمعنى اسم المفعول (مشهود) تفيد الآية أن ظهور الله تعالى في كل شيء يغني عن الآيات والدلائل في الأنفس والآفاق، وفي ملحق دعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة عدة اشارت لهذا المعنى.

فالأصل هي معرفة الله تبارك وتعالى ومنها تنفتح المعرفة على النبي (صلى الله عليه وآله) ومن ثم معرفة الإمام (عليه السلام) وفي ذلك روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال أمير المؤمنين (عليه السلام): اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف

(١) حكاه عنه في الوافي: ٢٢١/١، باب ٢٩ إنه لا يعرف إلا به.

والعدل والإحسان).[١]

فالبداية من معرفة الله بالله تبارك وتعالى كما ورد في الأدعية الشريفة: (يا من دلّ على ذاته بذاته) –من دعاء الصباح– و (بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت) –من دعاء أبي حمزة–. والتفسير الذي يمكن تقريبه لمعنى معرفة الله بالله هو التعرف على الله تعالى وصفاته وأسمائه من خلال تجلياته في مخلوقاته، فمن جمال الطبيعة التي خلقها تعرف أنه جميل، ومن طول أناته وإمهاله للظالمين تعرف أنه حليم، ومن وضع كل شيء في موضعه تعرف أنه حكيم، ومن عجائب المخلوقات تعرف قدرته وقوته، ومن تناسقها وانسجامها ووحدة قوانينها تعرف أحديته، ومن تصرفه في الخلق كيف يشاء تعرف قيمومته وأن بيده كل شيء.

روى الشيخ الصدوق (قدس سره) في كتابه التوحيد في باب أن الله لا يعرف إلا به، بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) عن أبيه عن جده (عليهم السلام) أنه قال: (إن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال: بفسخ العزم ونقض الهم، لما هممت فحيل بيني وبين همي وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي علمت أن المدبر غيري)، فهذا من تجليات هيمنته وقيمومته وتدبيره عز وجل. قال الفيض الكاشاني (قدس سره): (فاطلبوا معرفته بآثاره فيها من حيث تدبيره لها وقيمومته إياها وتسخيره لها وإحاطته بها وقهره عليها حتى تعرفوا الله بهذه الصفات القائمة به ولا تنظروا إلى وجوهها التي إلى أنفسها أعني من حيث أنها أشياء لها ماهيات لا يمكن أن توجد بذواتها بل مفتقرة إلى موجد يوجدها؛ فإنكم إذا نظرتم إليها من هذه الجهة تكونوا قد عرفتم الله بالأشياء فلن تعرفوه إذن حق المعرفة، فإن معرفة مجرد

(١) أصول الكافي: كتاب التوحيد: ٥١، باب أنه لا يعرف إلا به، وفي توحيد الصدوق: ٢٨٦، باب بنفي العنوان أنه لا يعرف إلا به.

كون الشيء مفتقراً إليه في وجود الأشياء ليست بمعرفة في الحقيقة على أن ذلك غير محتاج إليه)[1]. فإذا عرفنا الله تعالى وأن من صفاته أنه لطيف بعباده رحيم كريم بهم وأنه حكيم لم يخلق الخلق عبثاً بلا غاية وهدف فإنه لا يتركهم سدى وفي فوضى فيحصل نقيض الغرض بل ولا بد أن يبعث إليهم رسلاً يعلّمونهم ما يصلح شأنهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة ويضعون لهم القوانين والأحكام التي تنظّم حياتهم، وهذه القوانين والأحكام تكون مبنية على أساس التوحيد ومنسجمة مع الصفات الإلهية [وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً] (الإسراء:٢٣) [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ] (النحل:٩٠) [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ] (النساء:٥٨). وبهذا المحتوى للرسالة تعرف من هو الرسول الصادق في دعواه وتميّزه عن المدعين المخادعين، وبذلك نكون قد عرفنا الرسول بالرسالة وهي أسمى معرفة ولا نحتاج حينئذٍ إلى معجزة أو إخبار الثقات ونحو ذلك من وسائل المعرفة التي لا تفيد الاطمئنان كالأولى.

ومن معرفة الرسول يُعرَف الإمام (عليه السلام)؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله) معروف بأنه حكيم عاقل لا يمكن أن يترك الأمة بعده بلا راع، وأنه (صلى الله عليه وآله) رحيم بأمته شفيق عليهم [حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ] (التوبة:١٢٨) وأنه القرآن الناطق الذي يجسده في حياته، وأنه مظهر الصفات الإلهية، يعرف الإمام بعده الذي يكون خليفته ويقوم مقامه وهو أمير المؤمنين (عليه السلام)، فالذين تآمروا بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)وانكروا وصيته في علي (عليه السلام) وادعوا عدم نصبه خليفة من بعده، انما أساؤوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يعرفوه حق معرفته، لانهم انكروا بذلك حكمته ورحمته ولطفه وشفقته

(١) الوافي: ٢٢٢/١، كتاب العقل والعلم والتوحيد، باب ٢٩: أنه لا يعرف إلا به.

وحرصه على الامة وغيرها من خصاله الكريمة.

ومن بعد الرسول يعرف الإمام وأولو الأمر أي القيادة الدينية الحقة بإقامتهم لأحكام هذه الشريعة ومبادئها وتنفيذها على ارض الواقع (واعرفوا أولو الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان) وفي رواية[١] (وأولو الأمر بالمعروف) أي ليس فقط ويعرفون بأمرهم بالمعروف فهذا رغم أهميته إلا أنه قد يشاركهم كثيرون، فلا بد أن يعرفوا بالمعروف أي بإقامتهم للمعروف وأن يعملوا بما يأمرون به غيرهم.

فبهذه العلامات يُعرف الأئمة (عليهم السلام) وقادة المسلمين وأولياء أمورهم وليس بالادعاءات والعناوين المصطنعة. والسعي لتحصيل هذه المعرفة أمر ضروري بالغ الأهمية لما ورد في ذيل الدعاء (فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني) والضلال عن الدين يعني الوقوع في ظلمات الجاهلية، ومنه تعرف الارتباط بين هذا الدعاء والرواية المشهورة التي رواها الفريقان، وممن ذكرها الشيخ الصدوق عن محمد بن عثمان العمري – وهو السفير الثاني- قال: (سمعت أبي يقول: سُئل أبو محمد الحسن بن علي عن الخبر الذي روي عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[٢] ، قال (عليه السلام): (نعم إن هذا حق كما أن النهار حق)[٣] وماذا تعني الجاهلية غير الضلال والانحراف والفساد.

وكان غاية جهد الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وتضحياتهم إنقاذ العباد من الجاهلية وأغلالها وآصارها [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

---

(١) كتاب التوحيد للصدوق: ٢٨٦.

(٢) وروى الشيخ المفيد عن محمد بن علي الحلبي، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (من مات وليس عليه إمام حي ظاهر مات ميتة جاهلية) الاختصاص: ٢٦٩، ونقلها عنه المجلسي في البحار: ٢٠/٧.

(٣) كمال الدين: ٨١/٢، الباب ٣٨، والحديث مشهور لدى طوائف المسلمين.

مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ] (الأعراف:١٥٧) وفي زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام): (فأعذر في الدعاء ومنح النصح وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة).

وهذه العلامات لأولياء الأمور الذين يقودون الأمة ويأخذون بأيدي الناس نحو الهداية والصلاح ذكرتها الآية الشريفة: [الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ] (الحج:٤١) وأي تمكين في الأرض زمان الغيبة أقوى من ولاية أمور المسلمين والنيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام)، فعلامات قيادتهم الصحيحة إقامة معالم الدين المذكورة [أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ] (الشورى:١٣).

فمن أهم وظائف المنتظرين في زمان الغيبة معرفة الحجة التي إن تمسكت بها لن تضل عن دينك، بإقامتهم لدين الله تعالى وحرصهم على عباد الله تعالى، وإن السبب الرئيسي لمعاناة الأمة والكوارث التي تحلّ بها هو عدم اهتدائها الى قادتها الحقيقيين، أو عدم طاعتهم كما يلزم). [1]

٢) العمل على تزكية النفس وتهذيبها:

● (...نحن ندعو على الدوام أن نكون من أنصاره وأعوانه والقادة في دولته الكريمة، فلا ينبغي أن تكون هذه الأدعية مجرد لقلقة لسان ودعاوى بلا حقائق من العمل الدؤوب للتأهل لنيل هذه المقامات الرفيعة. كما أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) خطاب المرحلة، ج ٩، ص(١٢٤) وما بعدها، خطاب رقم (٤٢٥): (فَإِنّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي).

المقربين لم ينالوا تلك المراتب إلا بإعدادهم أنفسهم حتى قبل الإسلام. فجعفر بن أبي طالب شهيد مؤتة الذي له جناحان يطير بهما في الجنة والذي كانت له حظوة خاصة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان طاهراً عفيفاً حتى في الجاهلية فلم يقرب الخمر ولا الزنا وعلّل ذلك بأنني لا اشرب ما يفسد عقلي وان من طرق باب الناس طرق الناس بابه. وسلمان الفارسي كان رافضاً من أول عمره عبادة قومه لغير الله تبارك فهجر وطنه الأصلي فارس وتوجّه إلى الشام ثم جزيرة العرب بحثاً عن دين التوحيد حتى حظّي بقرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل هذا الإعداد لأنفسنا والسير الطويل نحو الكمال هو ما يؤهلنا لان نكون من أنصار الإمام (عليه السلام) والقادة في مشروعه العظيم، وليس الأمر صعباً على من شمله الله تعالى بلطفه وكانت له إرادة قوية وحب لله تبارك وتعالى ولأوليائه العظام (صلوات الله عليهم أجمعين) وتسامى عمّا عليه مجتمعه من جاهلية وغفلة ومظالم ومنكرات ومفاسد، ولا تحتاج الموبقات والكبائر إلى مؤونة كبيرة لاجتنابها لأنها بطبعها مقززة ومنفرة للطباع السليمة والفطرة النقية).[١]

• (أن يكون المسلم على مستوى ما يريده الإمام (عليه السلام) منه من الالتزام بالشريعة والأخلاق الفاضلة والآداب السامية والعقائد الصحيحة في ضوء ما وردنا عن المعصومين(عليهم السلام) حتى يفخر بكم إمامكم ويقول هؤلاء شيعتنا المتأدبون بأدبنا وكما أوصاكم الإمام الصادق (عليه السلام): (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً).[٢]

• (حينما نطلب في الدعاء؛ (اللهم إنا نرغب إليك بدولة كريمة...) فهذا لا يعني أن أملنا يتحقق ودعاؤنا يستجاب بقيام حكومة يترأسها وتضمّ رجالاً يرفعون لافتات

(١) خطاب المرحلة، ج٧، ص(٢١-٢٢)، خطاب رقم (٢٨٤): (بين إرهاصات النبوة والظهور المبارك).

(٢) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

إسلامية أو يتظاهرون بالارتباط بالمرجعية الدينية، وإنما تتحقق الدولة الإسلامية بأن نعيش الإسلام في كل تفاصيل حياتنا ونحكّمه في كل أمورنا وقضايانا وتصرفاتنا [فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أنفسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً] (النساء:٦٥)، وهذا واضح من أوصاف هذه الدولة في الدعاء (تُعزُّ بها الإسلام وأهله، وتُذلُّ بها النفاق وأهله)، فلا تكون الدولة كريمة إلا حينما يكون رعاياها أحراراً يعيشون بعزة وكرامة وأعداؤهم أذلاء مقهورين. وقد يتحقق هذا المعنى للدولة الكريمة عند المؤمنين وهم بعيدون عن الحكم وليس لهم في السلطة نصيب، كما كان عند أهل البيت (سلام الله عليهم)... فحينما ندعو لإمامنا المهدي (عليه السلام) بالفرج وتعجيل الظهور فإن الفرج الحقيقي يبدأ من داخل أنفسنا حينما نهذّبها بطاعة الله تبارك وتعالى وتسير نحو الكمال، وإلا فما الذي نجنيه من ظهور الإمام (عليه السلام) إذا لم نحقق هذه الدرجات في داخلنا؟ ربما سنكون في الصف المعادي له أو مع المتخاذلين عن نصرته حرصاً على مصالح دنيوية أو وضع اجتماعي أو مكاسب سياسية ونحوها. فالدولة الكريمة والفرج يبدآن من داخل النفس ثم يشرقان على الآخرين فإذا عاش المجتمع أجواءً إسلامية وكان سلوكه إسلامياً، وتفكيره مبنياً على أساس الإسلام فهذه هي الدولة الكريمة وهذا هو الفرج الحقيقي. وهذا لا يتحقق إلا بمواصلة العمل الدؤوب على صعيد تهذيب النفس وعلى صعيد إقامة المشاريع الإسلامية الإصلاحية في المجتمع وإدامتها وأن لا يكتفي بالعمل الارتجالي الذي دافعه وهج العاطفة أو ردود الأفعال).[1]

● (ورد في الروايات أن أصحاب الإمام المهدي الموعود (أرواحنا له الفداء) الذين يبدأ بهم حركته المباركة هم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما روى الشيخ الطوسي عن أبي

(١) خطاب المرحلة، ج٣، ص(١٢٩- ١٣٠)، (الدولة الكريمة والفرج الحقيقي يبدآن من داخل النفس).

جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم)[١] وفي حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء فيه (...وبقي المؤمنون، وقليل ما يكونون ثلاث مائة أو يزيدون)[٢] ومثل هذه الروايات تدفعنا إلى السؤال بتعجب: ألا يوجد في هذه الملايين من الموالين لأهل البيت (سلام الله عليهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر ممن يقتنع بهم الإمام (عليه السلام) لينطلق بحركته المباركة خصوصاً وإنهم يمتلكون السلطة والنفوذ في أكثر من دولة ويرفعون فيها شعار طاعة المرجعية الدينية وولاية الفقيه النائب عن الإمام (عليه السلام)؟! فأين المشكلة؟ والجواب توضّحه الروايات فقد روى جابر الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام متى يكون فرجكم؟ فقال: هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا يقولها ثلاثاً حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو)[٣] وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال (كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى، ولا علم، يبرأ بعضكم من بعض فعند ذلك تميَّزون وتمحصَّون وتغربلون إلخ) [٤] وشبّه الإمام الباقر (عليه السلام) هذه الصفوة المنتجبة بطعام في بيت (فأصابه آكل – أي تسوّس- فنقّي ثم أصابه آكل فنُقّي حتى بقي منه ما لا يضرُّه الآكل، وكذلك شيعتنا يُميَّزون ويُمحصَّون حتى يبقى منهم عصابة لا تضُّرها الفتنة) [٥] فلا زالت سنة التمحيص والغربلة جارية حتى يثبت المخلصون وقليلٌ ما هم، من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى اليوم والشواهد كثيرة، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي عاش بين

(١) الغيبة للطوسي: ٤٧٧، ح٥٠٢.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ١٣٧/٥٢.

(٣) الغيبة للطوسي: ٣٣٩، ح٢٧٨.

(٤) كمال الدين: ٣٤٨ ، ح ٣٦.

(٥) غيبة النعماني: ٢١١، باب ١٢ ، ح ١٨.

أظهرهم (٢٣) سنة يبلغهم رسالات ربهم ويخبرهم بما في خلجات أنفسهم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى من لدن ربهم الذي هو أقرب إليهم من حبل الوريد ويعلم ما توسوس به أنفسهم، ولم يردعهم ذلك عن قول (إن الرجل ليهجر) حينما طلب منهم قرطاساً ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا من بعده أبداً، وانقلبوا على الأعقاب ولم يستجب لدعوة أمير المؤمنين (عليه السلام) لنصرته واسترداد حقه إلا عدد الأصابع. والإمام الحسن (عليه السلام) اضطر إلى مهادنة معاوية بعد فشل أصحابه في الثبات على الحق والإمام الحسين (عليه السلام) لم يثبت معه إلا سبعون من هذه الدنيا الواسعة، ورغم أنه عبّأ لحركته بمختلف الوسائل حيث أقام عدة أشهر في مكة والتقى بوفود مختلف المدن وبعث بالرسائل إلى الوجوه وكانت حركته معلنة وواضحة حتى قال (عليه السلام): (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون). ولقي عباد البصري علي بن الحسين (عليهما السلام) في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه، وإن الله عز وجل يقول: [إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً] فقال الإمام (عليه السلام) : أتم الآية ، فقال: [التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ] إلى قوله تعالى [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] فقال الإمام عليه السلام (إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج) [1] هذه اللوعة وهذا الألم من قلة المخلصين عبّر عنه الإمام الصادق (عليه السلام) في كلامه مع سدير الصيرفي حين دخل على الإمام (عليه السلام) (فقال: يا أبا عبد الله ما يسُعُك القعود، فقال عليه السلام: ولِمَ يا سدير، فقال: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، فقال (عليه السلام): يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قال: مائة ألف فقال الإمام

(١) وسائل الشيعة كتاب الجهاد باب ١٢، ح٣.

(عليه السلام) مستغرباً: مائة ألف، قال: نعم ومائتي ألف، فقال (عليه السلام) له : لو كان عندي عدد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في بدر لنهضت) [١] وهكذا تستمر الشواهد إلى أن نصل إلى عصرنا الحاضر. . . إن الإمام المهدي (سلام الله عليه) بمرأى وبمسمع من كل هذه الأفعال بنص الآية الشريفة [وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ] (التوبة١٠٥) حيث تعرض أعمال العباد عليه لأنه حجة الله على خلقه. قد يقال أن هذا الكلام يزرع اليأس في قلوب الناس وأنا أقول العكس فإنه: يزرع الأمل ويدفعنا للعمل لنكون من تلك القلّة التي حماها الله تبارك وتعالى من الوقوع في الفتنة حتى تشملها ألطاف صاحب العصر (عليه السلام) وتحظى برضاه ونكون ممن يمهّد لدولته المباركة، ونزداد بذلك شكراً الله تبارك وتعالى. وإنه يحذّر الأمة من الوقوع في شراك الشعارات البراقة فيجعلها الآخرون وقوداً يحترق لتستمر ماكنة مصالح أولئك الآخرين بالعمل فينالون بذلك خزي الدنيا وعذاب الآخرة ويكونون من أشد الناس حسرة وندامة يوم القيامة الذين باعوا دينهم لدنيا غيرهم كما في الحديث الشريف. وإنه يخفّف عن الرساليين العاملين حين يطمأنون بأن ما يجري خاضع لسنة الله في خلقه [فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً] (فاطر٤٣) وليتيقنوا أن المعيار الحقيقي هو بناء الإنسان الصالح المخلص وليس ما يلهث وراءه الآخرون من دنيا زائلة وإن رفعوا شعارات برّاقة). [٢]

• (روى الشيخ الكليني (رضوان الله تعالى عليه) بسنده عن سدير الصيرفي قال (دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقلت له: والله ما يسعك القعود[٣]، فقال: ولمَ يا

(١) دور الأئمة في الحياة الإسلامية: ٣٢٩.

(٢) خطاب المرحلة، ج٥، ص١٠٤ وما بعدها ، رقم (١٥٤): (شكوى الإمام (عليه السلام) من قلة المخلصين).

(٣) لاحظوا كيف يجعل هذا الشخص نفسه قيّماً على أفعال الامام المعصوم ويعيّن له تكليفه متى يتحرك

سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك والله لو كان لأمير المؤمنين (عليه السلام) ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي، فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قلت: نعم، ومائتي ألف، قال: مائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا، قال: فسكت عني). . . (ونظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر)[1] إذن حين يجد الإمام المعصوم (عليه السلام) أنصاراً بالعدد الكافي لإقامة دين الله تعالى في الأرض فأنه لايتوانى عن أداء تكليفه الشرعي استجابة لقوله تعالى (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) (الشورى:١٣) وتلزمه الحجة بذلك، وهو ما صرّح به أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته المعروفة بالشقشقية: (لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها)[2]. والإمام المهدي (ارواحنا له الفداء) ينتظر الإذن من الله تبارك وتعالى بإظهار أمره والسعي لإقامة الحق والعدل وينتظر تحقّق النصرة من الشيعة والموالين وبمقدار تحقيقنا لهذا الشرط نكون قد ساهمنا في تعجيل الظهور المبارك لذا أمرنا بالإعلان عن هذه النصرة بين يدي المعصومين وتكررت فقرة (ونصرتي لكم مُعدَّة) في زيارات وادعية عديدة[3]. لكن علينا أن نلتفت إلى أن النصرة لا تعني حمل السلاح والمبادرة للقتال فهذا أمر قد أصبح متاحاً حتى للأطفال في أرجاء العالم، وقد

ومتى يسكن، وأمثال هذا كثيرون.

(١) الكافي / باب في قلة عدد المؤمنين / ح ٤.

(٢) نهج البلاغة / ج ١ / ص ٣١ / الخطبة ٣.

(٣) مثلاً في زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) (مفاتيح الجنان: ٥٦١ طبع العتبة الحسينية) وزيارة الأربعين: ٧٧٤ وفي دعاء العهد: ٨٧٩ وفي زيارة الجامعة الكبيرة: ٨٩ و زيارة آل ياسين.

يكون وبالاً على الأمة حينما لا يكون منضبطاً بقوانين الشرع والعقل وتحوّل بعض المسلحين إلى جماعات قتل وخطف وابتزاز وضغط لتحصيل مكاسب دنيوية. وإنما تعني النصرة: الطاعة والاتباع المطلق والتسليم لما يريده الله تبارك وتعالى، فيملك نفسه عند الغضب وعند الشهوة ولا تغريه المطامع ولا يفقد اتزانه في البلايا والصعوبات ويتصرف بحكمة ويجعل الله تعالى نصب عينيه، هذه النصرة والمعونة التي حددّها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعِفّةٍ وسداد). [1]

٣) التسلح بالعلم والمعرفة الهادفة:

• (علّمنا الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) مجموعة من الأدعية لندعو بها في زمن الغيبة، وأقول لندعو بها وليس لنقرأها، لأن مجرد قراءة الدعاء وتحريك اللسان به لا يحقّق معناه وتأثيره وإن كان هذا العمل لا يخلو من ثواب، لكن حقيقة الدعاء هي الطلب فلابد أن نحقق صدق الطلب في أنفسنا ليكون دعاءاً حقيقة. فهل يُعقل أن يطلب الإنسان الذرية الصالحة وهو لا يسعى للتزويج وتهيئة مقدماته، أو يقرأ دعاءاً لطلب الرزق وهو كسول جالس في مكانه لا يتحرك لكسب الرزق واستثمار الفرص المتاحة، فلا معنى للدعاء إلا إذا وفّر حقيقته وهو الطلب الصادق. والعمل الجدي لتحقيق ما دعا به وحينئذ سيجد الله تعالى حاضراً ومُلبياً طلبه بإذن الله تعالى. ومن تلك الأدعية المباركة المشهورة (اللهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة) هذا الدعاء الجليل الذي يلخص الهدف من بعثة الأنبياء والرسل وإنزال

---

(١) خطاب المرحلة، ج ١٠، ص(٣٣٤-٣٣٦) ، خطاب رقم (٥٢٦): (هل نستطيع تعجيل ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)؟

الشرائع بل الهدف من خلقة البشرية وهو إقامة التوحيد والعدل [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات:٥٦) ليعبد الله حق عبادته وتسود كلمة التوحيد والحكم بالعدل، ولا يتحقق المعنى الكامل لهذا الغرض إلا حينما تقام دولة العدل الإلهي المباركة. ومن فقرات هذا الدعاء (وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك) وقد قلنا أن المطلوب في الدعاء حقيقة الطلب والسعي الجدي لتهيئة مقدمات الاستجابة، ولكي يكون من الدعاة إلى طاعة الله تبارك وتعالى والقادة إلى سبيله عليه أن يوفّر في نفسه جملة من الصفات والمؤهلات، ومن أبرزها التفقه في الدين وتحمّل علوم أهل البيت (عليهم السلام)، وإلا فكيف يكون بدونها دليلاً إلى الله تعالى وهادياً إلى رضوانه. ومن الغريب أن تقرأ ملايين الشيعة هذا الدعاء ولا يندفع إلا اليسير منهم لتحقيق مقدماته، ولكن هذا الاستغراب يزول عندما نعلم أن الانضمام إلى هذا الكيان الشريف (الحوزات العلمية) وتلّقي علوم أهل البيت (عليهم السلام) وتحمّلها ونقلها إلى الناس من الألطاف الإلهية الخاصة التي لا يؤتاها الإنسان إلا باصطفاء من الله تبارك وتعالى). [1]

• (...أن نجعل هدفنا بناء مجتمع مثقف يجيد أرقى فنون العصر وعلومه استعداداً لاحتضان عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) وإقامة دولته التي مقرها هنا في العراق. وأسألكم أيّ المجتمعين أجدى في نصرة الإمام (عليه السلام) مجتمع جاهل ليس فيه شهادات اختصاص في مختلف حقول العلم والمعرفة أم مجتمع مثقف متكامل، فيه الخبراء والاختصاصيون في كل المجالات التي نحتاجها في عصر الظهور الميمون

(١) خطاب المرحلة، ج٧، ص(١٨١-١٨٢)، خطاب رقم (٣٠٤): (اللهم اجعلنا من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك).

انطلاقاً من قوله تعالى: [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ]). [١]

• (يشهد عصر الظهور الميمون تكاملاً في المجتمع البشري على جميع الصُعُدْ، فعلى الصعيد الديني رُوي عن الإمام الباقر (عليه السلام): (ويُظهِر الله عز وجل به دينَه ولو كرِهَ المشركون فلا يبقى في الأرض خرابٌ إلاّ عُمِّر) وعلى الصعيد السياسي تُقام الحكومة الإلهية التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما نطقت به الروايات المتواترة ومنها النبوي الشريف: (لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يومٌ واحدٌ لطوّلَ الله ذلك اليوم حتى يخرج رجلٌ من ولدي فيملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً و جوراً) وغايةُ ما تطمح اليه الإنسانية هو إقامة الحق والعدل وإزالة كل ظلم وجور وعدوان (أين المُعَدّ لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لإقامة الأمتِ والعوج، أين المرتجى لإزالة الجورِ والعدوان) وبفضل ذلك يبلغ حينئذ الأمن والاستقرار درجته التامّة، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (اذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في ايامه الجور، وامنت به السبل) وورد أيضاً عن الامام الباقر (عليه السلام): (تخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا ينهاها أحد) وعلى الصعيد الاقتصادي والمعاشي، روي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): (تنعم امتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من النبات إلاّ أخرجته) وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته، ولا برّه، لشمول الغنى جميع المؤمنين)، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (وتُجمع اليه أموال الدنيا ما في بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا الى ما قطعتهم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء، وركبتهم فيه محارم الله عز وجل فيعطى شيئاً لم يُعطَ أحد كان قبله) وأما على صعيد التكامل المعرفي والعلمي فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام)

(١) الحوزة وقضايا الشباب، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

قوله: (وتؤتون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويذكر الحديث الشريف المرأة لأنها الفرد الأضعف والأبعد عادةً عن مصادر العلم والمعرفة والثقافة بسبب القيود الاجتماعية المفروضة، ومع ذلك فإنها تفتي على طبق الكتاب والسنة وتقضي في الخصومات بأحكامهما، فالمرأة في بيتها تبلغ رتبة الاجتهاد في الفقه أو ما يقرب منها، وهذا كاشف عن التكامل العلمي والمعرفي الذي يسود المجتمع. لكن هذا المستوى السامي لا يحصل للمجتمع في عصر الظهور تلقائياً وبجرة قلم كما يُقال أو بمعجزةٍ (كن فيكون)، وإنما يصل اليه المجتمع بعد إعدادٍ مكثّفٍ وتربيةٍ معمقةٍ طويلةٍ، إذ أن هذه الحكمة والمستوى العالي من العلم لا يُعطى لجاهلٍ غير مؤهل لحمله وهذا يجعلنا أمام مسؤولية كبيرة في الاستعداد والظهور المبارك وتعجيله إذ كلما تقدمنا في هذا الاستعداد أكثر نكون قد قرّبنا اليوم الموعود. وهذه الحركية وهذا الاندفاع نحو العمل المثمر المبارك هو من ثمرات الإيمان بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) والأمل بظهوره في أي لحظة ولو لم يكن عندنا هذا الأمل وهذه الغاية لما امتلكنا المحفّز للحركة والعمل، وهذا يفسِّر أيضاً الحملات الظالمة الدؤوبة التي يقودها المستكبرون وأذنابهم لتكذيب قضية الإمام والتشكيك فيها ويُسَخِّرون من نفس المسلمين من يسوّق شبهاتهم وشكوكهم البائسة أو يزرعون نماذج سيئة تدعي الارتباط بالإمام وبقضيته وتحمل عناوين مهدوية وهدفهم سلب هذا الأمل من المحرومين والمستضعفين لتثبيط عزائمهم ودفعهم الى اليأس والاحباط والاستسلام لهيمنة الظالمين والمستكبرين وفقدان الأمل بالتغيير، فتصبح الأمة ميتة سريرياً لا إرادة لها ولا حراك فيها ويقودون الناس الى حيث يريدون. فعلينا أن نحبط هذه المشاريع ونسير بعزم راسخ وحركة دؤوبة لتعجيل الظهور المبارك والتمهيد له في

جميع المجالات، ومنها المجال العلمي والثقافي خصوصاً في العلوم والمعارف الدينية). [١]

٤) محاولة ايصال البشرية إلى القناعة التامة بالإسلام:

• (...من شروطه -أي ظهور الإمام (عليه السلام)- وصول البشرية إلى قناعة كاملة بالإسلام ... والقناعة بالإسلام كنظام ورؤية للحياة لا تنفك عن القناعة بسلوك حامليه ومعتنقيه، فكلما كان التطبيق أكثر صدقاً كان أسرع في حصول هذه القناعة، وقد وردت التطمينات بأن الإسلام لا يحتاج إلى جهد كبير من أبنائه لتحصل قناعة الآخرين به، لأنه يغلب العقول ويفتح القلوب بلا عناء كثير، بخلاف المبادئ الأرضية التي لا تستطيع أن تُحَصّل هذه النتيجة بكل أساليب الإغراء أو البطش والتهديد، وقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): (إن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا) والتأريخ شاهد على ذلك، فإن المغول -وهم أكثر الشعوب وحشية- ما لبثوا أن دخلوا الإسلام بعد أن اكتسحوا بلاده قتلاً ونهباً وتدميراً، وها هو ذا الغرب ينتابه القلق من إقبال أبنائه على الإسلام). [٢]

• (التعريف بعظمة الإسلام في أخلاقه وعقائده ونظام حياته وانه السبيل الوحيد لإسعاد البشرية لأنه من صنع الله تبارك وتعالى وهذا ما يحتاج الى كتب وبحوث واسعة ينبغي ان تكتب بلغات مناسبة لمسلمين غير ملتزمين او غير مسلمين أصلاً. إن زيادة هذا الوعي والفهم للإسلام سيحببه الى النفوس وبالمقابل يُوجد نفورا من

(١) خطاب المرحلة، ج٩، خطاب رقم (٤٥٢)، بعنوان: (الجامعة الدينية المفتوحة: تمهيد للتكامل المعرفي في زمن الظهور).

(٢) يُنظر الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين ، ويُنظر كتاب نحن والغرب، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

تصرفات الحضارة المادية ونتائجها وويلاتها مما ينمي الشعور بالحاجة للعودة الى الله تبارك وتعالى ولدينه العظيم وقد تعالت مثل هذه الصيحات الآن في الغرب بعد ان التفتوا الى الخطر الداهم الذي يهدد حضارتهم بالفناء بسبب ابتعادهم عن التعاليم الالهية فيكون من واجبنا تعميق هذا الوعي وبيان السنن الالهية في الامم والحضارات والتي ما فتىء القرآن الكريم يكرر النموذج تلو النموذج لتصحو البشرية من غفلتها).[١]

• (إن قضية الإمام المهدي (عليه السلام) عالمية يراد إقناع جميع البشر بها لأنها لهم جميعا وذلك يقتضي أن تتعدد لغة الخطاب والحوار بحسب ثقافة الشخص المقابل ومبتنياته الفكرية فالاستدلال لإقناع الشيعي يختلف عمّا لو أريد إقناع المسلم غير الشيعي وهو يختلف عمّا لو أريد إقناع غير المسلم أيضا. لذا قد نجيب عن سؤال واحد بعدة اتجاهات وأشكال من الأجوبة؛ فمثلا، حينما نريد أن نجيب عن سؤال: لماذا يجب أن يكون الإمام المهدي(عليه السلام) موجودا عند انتهاء حياة الإمام العسكري(عليه السلام) ويبقى حيا هذه المدة الطويلة مما يعرض القضية لإشكالات عديدة كإمكانية بقاء الإنسان هذه المدة الطويلة والفائدة من الشخص وهو غائب ونحوها وينتهي السائل إلى أن فكرة الإمام الموعود صحيحة إلا أن صاحبها شخص يولد في آخر الزمان). [٢]

• إن (التعاطي مع القضية الحسينية وإحياء شعائرها – على كل الأصعدة كالمنبر الحسيني والمواكب الحسينية والكتابة والتأليف في القضية الحسينية وغيرها- يحتاج باستمرار إلى مراجعة ومراقبة وتمحيص لأمرين على الأقل: (أولهما) تنقيتها مما يدخل فيها وهو ليس منها سواء على صعيد المفاهيم أو الممارسات إما بحسن نية

(١) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

(٢) المصدر نفسه.

كطلب الأجر والثواب وإن أخطأوا الطريق أو جهلاً أو حماساً أو انسياقاً وراء من يصنعها من دون تفكير فيها وهذا كله يشوه الصورة الناصعة لقيام الإمام الحسين (عليه السلام) ويؤخر مسيرته في بلوغ أهدافه. (ثانيهما) تحديثها وتجديدها بما يناسب خلود الثورة الحسينية ودوام دورها في حفظ الإسلام النقي الأصيل ونشره في ربوع الأرض وإقناع كل الأمم به حتى يُظهر الله تعالى دينه على الدين كله بظهور بقيته الأعظم (أرواحنا له الفداء) ولذا يكون شعاره (يا لثارات جدي الحسين (عليه السلام) إن تبني الإمام (عليه السلام) لهذا الشعار ليس مستنداً إلى زخم العاطفة فقط وإنما لأن وسيلته الفاعلة التي ينفذ منها إلى قلوب وعقول كل الناس هي قضية جدّه الحسين (عليه السلام) لذا لابد من عرض القضية الحسينية بالنحو الذي يمهّد لقيام الإمام (عليه السلام) وينصر حركته المباركة). [١]

٥) تحقيق التكاتف والوحدة الاجتماعية:

- (هل يعلم أتباع الحق المنتظرون لظهور إمامهم والتواقون لرؤية طلعته المباركة والذين يتضرعون ليل نهار إلى الله تبارك وتعالى ليقرب يومه الموعود حتى يعيد البسمة إلى المظلومين والمحرومين ويقيم دولة الحق والعدل ويقصم ظهر الطغاة والمستكبرين والمجرمين، أقول هل يعلمون انهم يؤخرون كل تلك البركات بما يعيشون بينهم من حالة التنافر والشحناء والتقاطع). [٢]
- (تأسّوا بإمامكم المهدي الموعود (صلوات الله عليه) فإنه مع ما يعانيه من ألم الغيبة

---

(١) خطاب المرحلة، ج٧، ص(٢٥٢-٢٥٤)، خطاب رقم (٣١٥): (إحياء الشعائر الحسينية والتمهيد للظهور الميمون).

(٢) خطاب المرحلة، ج٤ ، خطاب بعنوان: (شكوى الإمام (عليه السلام) من عدم اجتماع قلوب شيعته).

عن ممارسة دوره الكامل في حياة الأمة فإنه لم يغفل لحظة عن رعاية شيعته، قال (عليه السلام): (نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جل جلاله...).[١]

• (إننا نندب الإمام (عجل الله فرجه) وندعوه لإزالة الظلم والجور وإقامة العدل (أين المعدُّ لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان) ولا يكون الإنسان جزءاً من هذه الحركة المباركة إلاّ إذا أقام حياته وعلاقاته على العدل والإنصاف الآخرين، فليراجع الإنسان نفسه هل هو عادل في علاقته مع زوجته وأسرته ووالديه أو جيرانه أو أصدقائه في العمل أو من هم في رعايته إذا كان في مواقع المسؤولية، أم إنه جائر عليهم مقصر في حقوقهم ويظلمهم كالذي يحصل كثيراً في مجتمعنا؟ وحينئذٍ فلا يمنّي نفسه بإتباع الإمام والانخراط في جماعته الميمونة).[٢]

• (العمل على حفظ وحدة المجتمع[٣] والوقوف في وجه من يشق عصا المسلمين

(١) خطاب المرحلة، ج٦، خطاب بعنوان: (هل تريد أن تكون مع الصديقة الزهراء (عليها السلام) في درجتها؟).

(٢) خطاب المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم).

(٣) وذلك بنبذ نقاط الاختلاف التي لا يخلو دين أو مذهب منها والتركيز على نقاط الاشتراك فأعدائنا بالرغم من وجود نقاط اختلاف كثيرة فيما بينهم إلا أنهم قد اجتمعوا على محاربة الإسلام فلماذا إذن لا نجتمع نحن على محاربتهم ؟! ومن الوقائع التأريخية التي ينفع ذكرها هنا كشاهد تأريخي ما ورد عن

ويلقي بينهم بذور الخلاف، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. (١)

• (إن دعاء الندبة يوجهنا إلى ركن آخر مهم ترتكز عليها وحدة الأمة، وهو التفاتها والتفافها حول قيادتها الحقيقية المتمثلة برسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) التي انتهت إلى بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء)، وفي أثناء غيبته تتمثل بالفقهاء العدول المخلصين الواعين القادرين على سياسة الأمة ورعاية شؤونها والدفاع عن حقوقها، فإذا تفرقت الأمة عن مثل هذه القيادة ضاعت وتشتتت ولا تنفع المجاملات في يوم العيد ولا في غيره لجمعها وتوحيدها قال تعالى [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذ كُنْتُمْ أعداء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأنقَذَكُمْ مِنْهَا] (آل عمران:١٠٣) وحبل الله هو القرآن والناطقون الحقيقيون به هم من ذكَرنا. وقد نبّهت الصِدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء إلى هذا المعنى في خطبتها في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) (وجعل إمامتنا نظاماً للملة)، ودعاء الندبة حافل بالإشارات إلى الأئمة الحقيقيين للأمة وبتسلسل دقيق إلى أن قال (فلما انقضت أيامه (صلى الله عليه وآله) أقام وليّه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وآلهما هادياً إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد فقال والملأ أمامه: من كنت

الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في بيانه لسبب مهاجمة معاوية على ثغور المسلمين، وتنمره عليهم، حيث قال (عليه السلام): (شنّ عليكم أهل الشام الغارات، و غزوكم في عقر داركم ، لأنّهم اجتمعوا على باطلهم ، و تفرقتم عن حقكم).

(١) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وقال (صلى الله عليه وآله) من كنت أنا نبيّه فعليٌّ أميره). ثم يشير إلى حال الأمة في التفرق عنهم (عليهم السلام) (ولما قضى نحبه وقتله أشقى الآخِرين يتبع أشقى الأولين لم يُمتَثَل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الهادين بعد الهادين والأمةُ مجتمعةٌ على قطيعة رحمه وإقصاء وُلْدِه إلا القليلَ ممن وفى لرعاية الحق فيهم). [1]

٦) الحذر من الانزلاق في الفتن والانحرافات واللجوء إلى القادة الربانيين:

- (التمسك بالحوزة الشريفة ممثلة بعلمائها وفضلائها الواعين المخلصين الذين لا يصدونكم عن هدى ولا يوردونكم الردى فانهم ورثة الأنبياء وأمناء الرسل (عليهم السلام) والإدلاء إلى طاعة الله تعالى وهم امتداد أهل بيت العصمة(عليهم السلام) الذين وصفهم الإمام السجاد(عليه السلام) بأنهم؛ (المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق) فكونوا ملازمين لهم مطيعين ولا تعرضوا عنهم وتخلفونهم وراء ظهوركم فتهلكوا ولا تنساقوا وراء أهوائكم فتنشغلون بالتفتيش عن عيوبهم ونقائصهم مادام خطهم العام هو حفظ الدين وهداية الناس وإصلاحهم). [2]
- (إن الإمام (عليه السلام) يريد من أبناء الإسلام أن يصلوا درجة التضحية الكاملة في سبيل دينهم بحيث لا يتخلفون عن أي أمر توجهه المرجعية باعتبارها القيادة النائبة للإمام المعصوم (عليه السلام) ولو كلفهم حياتهم). [3]
- (صدرت من الأئمة (عليهم السلام)كلمات مهمة في وجوب طاعة نوّابهم المستحفظين على شريعتهم وحرمة التمرّد عليهم كقول الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه):

---

(١) خطاب المرحلة، ج٤، ص(١٥٤-١٥٥)، رقم (٩٥) :(دعاء الندبة والعيد).

(٢) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

(٣) خطاب المرحلة، ج٣، خطاب بعنوان: (ما الذي ينتظره الإمام المهدي (عليه السلام) من شيعته).

(وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليهم) وقوله (عليه السلام): (الراد عليهم، كالراد علينا وعلى الله تعالى، وأنه شرك بالله) مما أعطى لحركة المرجعية زخماً كبيراً في حياة الأمة وهيبة وطاعة عظيمة عزّزها ما يتمتع به هؤلاء النوّاب من علمٍ جم وأخلاقٍ رفيعة وشفقة كبيرة على رعاياهم). [١]

• (من أهم وظائف المنتظرين في زمان الغيبة معرفة الحجة التي إن تمسكت بها لن تضل عن دينك، بإقامتهم لدين الله تعالى وحرصهم على عباد الله تعالى، وإن السبب الرئيسي لمعاناة الامة والكوارث التي تحلُّ بها هو عدم اهتدائها إلى قادتها الحقيقيين، أو عدم طاعتهم كما يلزم). [٢]

• (رفض التبعية للغرب والمحافظة على شخصيتنا الأصيلة بكل عناصرها سواء في المظهر أو في العقيدة أو في الفكر والثقافة والنظر إلى ما يأتينا منه بعين البصيرة والالتفات إلى قبائحه ومساوئه والأمراض النفسية والاجتماعية والأخلاقية التي تعصف بمجتمعاتهم وستأتي على بنيانهم من القواعد عما قريب ما لم يعودوا إلى طريق الصواب الذي بدأت الدعوات من مثقفيهم و مفكريهم تتصاعد بالمطالبة به إلا أنها لا تجد آذاناً صاغية بسبب طغيان المادة وإضلال المضلين واتباع الشهوات). [٣]

• إن (الحركات المهدوية التي تدعي الارتباط بقضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) بحسب العنوان لا بحسب الحقيقة ليست جديدة وإنما تمتد عبر التاريخ إلى زمان الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) فقد سمّى المنصور العباسي

---

(١) خطاب المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (عوامل ازدهار التشيّع بين الأمس واليوم).

(٢) خطاب المرحلة، ج٩، خطاب رقم(٤٢٥)، بعنوان: (فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي).

(٣) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

ولده محمداً ولقّبه بالمهدي ليغرّر به الناس ويصرفهم عن الأئمة الحقيقيين ويوهمهم انه المهدي الموعود وقد صار خليفة من بعده. ووجود مثل هذه الحركات ليست حالةً غريبة لأن حب الجاه والتسلط على الناس ونيل المغانم من النزعات النفسية المتأصلة ولا تنزع إلا بلطف وعصمة من الله تبارك وتعالى، وهؤلاء الطامحون إلى السلطة تتنوع آلياتهم للوصول إليها فبعضهم بالانقلابات العسكرية وبعضهم بانتخابات مزيفة وآخرون بفتاوى وعّاظ السلاطين وهكذا ومن لا يمتلك هذه العناصر قد يلجأ إلى ادعاءات غيبية كسفارة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) والباب إليه والعرفان ونحوها، والهدف واحد. فهذه إذن حالات ليست غريبة ولا جديدة ولكن الغريب والجديد أن يشهد بلدنا في سنة واحدة عدة منها وارتقى بها الحال إلى المواجهات المسلحة الدامية التي خلفت مئات القتلى والجرحى. وإذا كان رؤوس هذه الدعوات وقادتها من الضالين المضلين الطامعين في الجاه والسلطان فإن كثيراً من المخدوعين بهم ليسوا كذلك وإنما انطلت عليهم تلك الدعاوى بسذاجتهم وجهلهم وضعف وعيهم. لذا فيجب التفكيك في التعامل بين رؤوس تلك الدعوات والقواعد المتبعة لهم حتى نقلل الخسائر إلى أقل حدٍ كافٍ. ولمعالجة هذه الحركات لا بد من تشخيص أسباب نشوئها ليكون وصف العلاج بلحاظ تلك الأسباب وحتى تتحمل الجهات الدينية والسياسية والفكرية مسؤولياتها في هذه الحركة. لأن علاج بعض الحالات الضارة يكون أحياناً بتجفيف منابعها وقطع أسباب الحياة عنها كما لو أن كائنات ضارة تعيش في وسطٍ مائي ولا يمكن الوصول إليها لمكافحتها فيكون العلاج بتجفيف ذلك الماء لتموت تلقائياً. وقد أوضحنا جملة من الأسباب وطرق العلاج في أحاديث أخرى ويتلخصّ الموقف الصحيح للمجتمع إزاء هذه الدعوات بنصف سطر وهو الرجوع إلى العلماء لأنهم أهل الاختصاص والعارفون بالأمور

والقادرون على التمييز بين الصادق والكاذب ولذا أوصى الأئمة المعصومون عليهم السلام باتباعهم والرجوع إليهم).[١]

• (كان الواعون من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) والحريصون على دينهم وآخرتهم ينظرون باهتمام بالغ إلى ما يصدر عنهم (عليهم السلام) من أخبار عن الفتن والغربلة والسقوط في الامتحان ويحملونها محمل الجد ليصونوا أنفسهم من الوقوع في تلك الفتن ومن الفشل في الامتحان الذي يحصل لكثير من عامة الناس؛ لذا كانوا يسألون الأئمةَ (عليهم السلام) عن تكليفهم وعما ينجّيهم من الجهالة ويخلصهم من حيرة الضلالة، التي هي وظيفة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ومن بعدهم علماء الدين خصوصاً في زمان غيبة الإمام (عجل الله فرجه) التي قال فيها الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون) والحيرة والهلاك تكون بعدة مستويات:

(منها) على نحو إنكار أصل الغيبة لاستبعاد أن يبقى إنسان هذه المدة الطويلة أو لأي شبهة أخرى.

(ومنها) الاعتراض على طول الغيبة لعدم الصبر على تأخير الانتقام من الظالمين او للعجز عن إدامة حالة الاستعداد والتمهيد للظهور بأشكال التمهيد الذي يتطلب أحياناً تضحيةً بالنفس ومواجهةً مع الظالمين واصطداماً بالمجتمع، ولذا ستكون فترة الغيبة صعبة وشاقة.

(ومنها) كثرة أصحاب الدعاوى الباطلة الذين يدّعون الارتباط بالإمام (عليه السلام)

---

(١) خطاب المرحلة، ج٥، ص(٤٢٩-٤٥٠)، خطاب بعنوان: (الحركات المدعية المهدوية . . . أسباب نشوئها وعلاجها).

ومشروعه فيخدعون بها السذّج والجهلة ليتأمّروا عليهم، وهكذا). [١]

٧) الإلتجاء إلى اللّه تعالى والتوسل به لحفظ الإمام (عليه السلام) ولتعجيل فرجه:

- (علينا (تذكر الإمام (عليه السلام) دائماً[٢] والدعاء له بالتأييد والنصرة والحفظ والتوسل به في طلب كل الحوائج [٣]. [٤]
- (إننا ضيعنا حتى الحد الأدنى من ذكر الله تعالى وهو الالتجاء اليه عند الاضطرار فها هو البلاء يحيق بنا والاعداء يتربصون بنا ولا اجد المؤمنين يعقدون مجالس الدعاء والتوجه إلى الله تعالى والاستغاثة بالمعصومين (عليهم السلام) والتوسل إلى صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه) كي يتولانا برعايته مع عدم الاخلال بالواجبات الأخرى طبعاً). [٥]
- (الاهتمام بقضية الإمام المهدي(عليه السلام) والدفاع عنها والعمل على الاستعداد لاستقباله والفوز بنصرته وتحديد تكاليفنا تجاهه وفي عصر غيبته ومن هذه التكاليف إقامة الشعائر الدينية الجماعية باستمرار من صلاة الجمعة أو الجماعة أو مآتم حسينية أو احتفالات أو مجالس ذكر ودعاء والحضور المستمر في المساجد وفتح حلقات

---

(١) خطاب المرحلة، ج ٩، ص(١٢٤) وما بعدها، خطاب رقم (٤٢٥): (فَإِنّكَ إِنْ لَمْ تُعَرّفْنِي حُجّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي).

(٢) هل فكرت أثناء زياراتك أن تصلي للإمام (عليه السلام) ركعتين أو تتصدق لحفظ الإمام (عليه السلام)؟ فنحن الذين غيبنا الإمام (عليه السلام) عن أفكارنا وأذهاننا مع العلم نحن نعيش بحفظه ودعائه.

(٣) قال المرجع اليعقوبي: (وقد تعلمت أنا شخصياً أني كلما استعصى عليّ أمر اندب الإمام (عليه السلام) بقول: (يا أبا صالح المهدي أدركني) فيساعدني في قضائها بإذن الله تعالى) .

(٤) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

(٥) خطاب المرحلة، ج٣ ، خطاب بعنوان: (الحل والعلاج في العودة إلى الله تبارك وتعالى).

الدروس في العقائد والأخلاق والسيرة والتفسير). [١]

- (ينبغي للقواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) والمتطلعة لظهوره الميمون وإقامة دولته المباركة أن يكون ذكر الإمام (عليه السلام) حاضراً في قلوبهم وعقولهم دائماً). [٢]

- (إدامة ذكره والدعاء له بالحفظ والنصر والتأييد وتعجيل الفرج وسائر المعاني الأخرى التي تضمنتها الأدعية والزيارات الواردة في حقه[٣] والتوسل به إلى الله تبارك وتعالى في قضاء الحوائج وشكره والثناء عليه في الرعاية التي يحيطنا بها). [٤]

- ونَصَحَ سماحته (دام ظله) بأن تكون نية عمل المشاريع الخيرية نيابة وباسم الإمام المهدي (عليه السلام) لكي تنمو وتثمر بركاتها، حيث قال (دام ظله): (العمل يكون أقرب إلى الله تعالى وأجلب للبركات لو كان باسم الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) فإنه مصدر العطاء، ولولا وجوده المبارك لساخت الأرض بأهلها، وبألطافه ننال الخيرات. ألسنا ندعو بأن يجعلنا الله ممن يسعى في قضاء حوائج الإمام (عليه السلام)، ولا شكّ في ان السعي في قضاء حوائج المؤمنين من مواليه واتباعه، هو من مصاديق السعي في قضاء حوائجه (صلوات الله عليه) لأن هذا العمل من مسؤولياته، فاحرصوا على ان تكون

---

(١) خطاب المرحلة، ج ٣، خطاب بعنوان: (شبابنا والتحديات الراهنة).

(٢) خطاب المرحلة، ج٤، خطاب بعنوان: (تعبئة القواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي(عليه السلام).

(٣) راجع كتاب مفاتيح الجنان للشيخ القمي ونهاية الجزء الثاني من كتاب الاحتجاج للطبرسي ومنها ما ورد عنه(عليه السلام) إذا أردتم التوجه بنا الى الله والينا فقولوا كما قال الله تعالى : (سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ) ثم شرع بالزيارة المعروفة التي يستحب قراءتها يوميا ثم الدعاء بعدها ومن خلال هذه الادعية والزيارات ستتعرف كثيرا على الامام(عليه السلام) اضافة الى المعاني التي تجمعه مع آبائه الطاهرين(عليهم السلام) كما في الزيارة الجامعة الكبيرة وغيرها.

(٤) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

نيتكم بهذا العمل النيابة عنه في مساعدة مواليه، واذكروا ذلك لمن تعطونه عند إيصال العطاء إليه ليتعلق قلب المسلم بإمامه وولي أمره، وليشعر أن إمامه المنتظر قائم بمسؤوليته تجاهه، وان أي تقصير يحصل فهو من تقصيرنا وقصورنا، وفي هذا العمل نصرة لإمامنا المنتظر (عليه السلام) ودفاع عن قضيته وردّ شبهة عدم الانتفاع بغيبته (سلام الله عليه). [١]

٨) تفعيل دور العمل الرسالي وإصلاح شأن المجتمع:

- (لا بد أن نفهم كل قضايانا، ومنها معنى انتظار الإمام صاحب الأمر (عليه السلام) والدعاء بقيام دولته المباركة، فلابد أن يقترن بالسعي الخاص به والمناسب له، فتقيّد أحاديث ثواب الانتظار والمنتظرين بأن يُسعى له سعيه). [٢]
- (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣] وإحياء هذه الفريضة الإلهية العظيمة التي

---

(١) خطاب المرحلة، ج١٢، ص١٩٣، خطاب رقم (٦٢٧): (اجعلوا تقديم المساعدات نيابة عن الامام المهدي (عليه السلام).

(٢) خطاب المرحلة، ج٧، خطاب بعنوان: (من أراد الآخرة فليسعَ لها سعيها).

(٣) إذا تأملت جيداً في قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) تجد ان الله تعالى قد قدم هذه الفريضة على فرائض مهمة ولها ثقلها في ميزان الأعمال وما هذا إلا إشعارٌ منه تعالى بأهمية هذه الوظيفة والا حقيقة أقول ان الفرد ليشعر وكأنه منافق حين يترك هذه الوظيفة فكيف بعد هذا يصلي بتوجه حقيقي لله تعالى او يزكي او يطيع الله اذا لم يطيعه بأهم فرائضه هذا من جهة ومن جهة اخرى صيغة الجمع التي جاء بها القرآن تشعر بان هذه الفريضة تحتاج الى العمل المجموعي المنظم والا ففي الكثير من الاحيان يستحيل النهي عن المنكر بشكل منفرد، وفي نهاية الآية ينبهنا الله تعالى الى امر خطير وهو انكم اذا اردتم نزول رحمتي وبركاتي فعليكم بأداء هذه الفرائض.

بها تحفظ السنن وتأمن السُبل وتحلّ المكاسب وغيرها من الثمرات ولابد من مراعاة مراتب هذا الواجب وأرى ان فرصة الحوار اليوم اعظم من كل الوسائل الاخرى وقادرة على التأثير في الآخرين وفي الحقيقة فان ترك هذه الفريضة وإهمالها واللامبالاة التي يتصرف بها الناس من اعظم معوقات ظهور الإمام (عليه السلام) يروي أحد العلماء ـ وهو السيد توكلي ـ انه في ايام عتو رضا خان وتمرده على الله تبارك وتعالى وامره بالسفور الاجباري وافساد الثقافة والتعليم إن الامام (عليه السلام) اقترب مني وقال: (اثنتان قصمتا ظهري، الأولى: وضع المدارس والثقافة في هذا البلد والثانية: سفور النساء، ثم قال(عليه السلام): قلب أمي الزهراء (سلام الله عليها) اشد انكساراً من انكسار ضلعها ثم بكى وبكيت أنا من بكائه). فإذا أردنا إدخال السرور على قلب الإمام (عليه السلام) والتمهيد لظهوره فلا بد من الوقوف بهمّة عالية وحزم لا يلين ازاء مظاهر الفساد والانحراف في الفكر والثقافة والعقائد والسلوك الفردي والاجتماعي). [1]

- (...ومن أجل تعبئة القواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) لهذا الهدف المبارك، عليهم أن ينظموا أنفسهم في تجمعات وكيانات تغطي النشاطات المختلفة في مواجهة التحديات العديدة، فقد يرى البعض أن يؤسس جمعية خيرية لمساعدة الأيتام والأرامل والمحتاجين، وآخرون ينظمون مؤسسة اجتماعية لتشجيع الزواج وتذليل صعوباته والإصلاح بين المتخاصمين والمختلفين. وآخرون ينشؤون مركزاً ثقافيا ينشر الخطابات والإصدارات الواعية ويقيم دورات تقوية للطلبة الأكاديميين خصوصا للصفوف المنتهية ويفتح دورات لتعليم الكومبيوتر والانترنيت. وقد يرى البعض الذين يعيشون في مناطق يسخن فيها الإرهاب والفساد والظلم أن يكوّنوا مجاميع مسلحة لدعم المجهود الحكومي في ردع هؤلاء المجرمين وتخليص الأمة

(١) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

من هذا الداء المستشري). [١]

• (روي عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جُعلت فداك متى الفرج؟ فقال: يا أبا بصير وأنت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرّج عنه لانتظاره) ولا يخفى ما في جواب الإمام(عليه السلام) من توبيخ لمن ينتظر الفرج طلباً للدنيا مثلاً لكي يكون الحكم لأتباع أهل البيت (سلام الله عليهم) فتكون له حصة من (الكعكة) كما يقولون فيكون الوصول إلى الحكم غاية وهدفاً وليس وسيلة لإحقاق الحق وإقامة العدل فيقع أمثال هؤلاء في الظلم والانحراف ولا يحققون الهدف المنشود، وهذا أحد وجوه معنى الرواية الشريفة: (كل راية قبل المهدي فهي راية ضلالة) لأنها تتحرك لتغيير الظالم وأخذ موقعه والتمتع بالجاه والسلطة والثروة وليس لتغيير الظلم وخدمة الناس وإصلاح أحوالهم وتأسيس الدولة الكريمة التي تضمن الحياة السعيدة لكل إنسان). [٢]

• (الغيرة على الدين وعلى حرمات الله وأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد آلمني ما سمعت من إن الإفطار كان علنياً وبوضوح داخل الجامعات في شهر رمضان المنقضي من دون أن يتصدى المؤمنون لردعهم ولو قاموا جميعاً بوظيفتهم هذه لأوجدوا زخماً اجتماعياً لا يستطيع أولئك الأشقياء أن ينتهكوا حرمات الله في هذا الشهر العظيم). [٣]

---

(١) خطاب المرحلة، ج٤، ص(٢٠٥-٢٠٦)، رقم (١٠٣): (تعبئة القواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي (عليه السلام).

(٢) خطاب المرحلة، ج٥، خطاب بعنوان: (المعنى الإيجابي لانتظار الإمام (عليه السلام).

(٣) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

٩) ضرورة تعبئة القواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي (عليه السلام):

قال سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله): (ينبغي للقواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) والمتطلعة لظهوره الميمون وإقامة دولته المباركة أن يكون ذكر الإمام (عليه السلام) حاضراً في قلوبهم وعقولهم دائماً فإذا مرّت بالأمة ذكرى مفرحة كعيد الأضحى وعيد الغدير فأول من يهنأ هو الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وإذا مرت ذكرى محزنة كعاشوراء، فأول من يعزى هو الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وإذا قام بعمل فيه رضا وطاعة لله تبارك وتعالى كالصلاة والصوم و تلاوة القرآن والصدقة فأول من يفكر بإهداء الثواب إليه هو الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وإذا تضرع لله تعالى بالدعاء والطلب فأول من يدعو له هو الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وهذا له مبرراته وثمراته:

١- أن الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أهم واعز إنسان لدينا وأحب مخلوق وهو أولى بنا من أنفسنا، قال تعالى [إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا] (المائدة:٥٥) والمؤمنون هم أهل البيت النبي (صلى الله عليه وآله).

٢- أننا مغمورون بلطف الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وهو الذي يتولى رعايتنا وحمايتنا والدعاء لنا لجلب كل خير ودفع كل شر، ولو اطلعتم على خطط الأعداء وسعيهم المحموم لاستئصال هذه الفرقة المهدية لعجبتم من كيفية بقائها فضلا عن اتساعها وازدهارها، وقد أخبر بذلك الإمام نفسه(نحن وان كنا ناوين) (أي نائين بعيدين) بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء

ظهورهم كأنهم لا يعلمون، إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء (أي الشدة وضيق المعيشة) واصطلمكم الأعداء (أي استأصلوكم).[1]

٣- إن إيماننا بأن حركتنا وأعمالنا والمؤسسات التي نقيمها ونعمل على إنجاحها هي جزء من المشروع الرسالي العظيم الذي يمهد لدولة العدل الإلهي فإن ذلك سيحفزنا أزيد وسيزيد من همة وحماس العاملين.

٤- إن شعورنا بأن أعمالنا وتصرفاتنا هي تحت نظر الإمام وان صحائف أعمالنا تعرض عليه عليه السلام مرة أو مرتين أسبوعياً بحسب المروي كما أخبرت به الآية الشريفة [وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ] (التوبة:١٠٥) أن ذلك سيجعلنا أكثر مراقبة لأنفسنا ومحاسبة لها وإن الالتفات إلى هذا المعنى سيقوّم حياتنا ويهذبها ويضبط مسيرتها في الاتجاه الصحيح.

٥- إن الارتباط الحقيقي والواعي بالإمام سيعزز الالتفاف حول المرجعية الرشيدة لأن الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) هو الذي أمر باتباع الفقهاء العدول وجعل الراد عليهم كالراد على المعصومين وهو كالراد على الله تبارك وتعالى لأن المجتهدين العدول هم نواب الإمام بالنيابة العامة لا النيابة الخاصة بتعيين الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لأن كل من ادعاها بعد السفراء الأربعة فهو كذاب.

ومن أجل تعبئة القواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لهذا الهدف المبارك، عليهم أن ينظموا أنفسهم في تجمعات وكيانات تغطي النشاطات المختلفة في مواجهة التحديات العديدة، فقد يرى البعض أن يؤسس جمعية خيرية لمساعدة الأيتام والأرامل والمحتاجين. وآخرون ينظمون

---

(١) الاحتجاج للطبرسي/٢ ص ٣٢٢.

مؤسسة اجتماعية لتشجيع الزواج وتذليل صعوباته والإصلاح بين المتخاصمين والمختلفين. وآخرون ينشؤون مركزاً ثقافيا ينشر الخطابات والإصدارات الواعية ويقيم دورات تقوية للطلبة الأكاديميين خصوصا للصفوف المنتهية ويفتح دورات لتعليم الكومبيوتر والانترنيت. وقد يرى البعض الذين يعيشون في مناطق يسخن فيها الإرهاب والفساد والظلم أن يكوّنوا مجاميع مسلحة لدعم المجهود الحكومي في ردع هؤلاء المجرمين وتخليص الأمة من هذا الداء المستشري). [١]

١٠) رد الشبهات حول القضية المهدوية[٢]:

إن ضرورة معرفة الإمام المهدي (عليه السلام) ومسؤولية رد الشبهات حول قضيته المباركة والدفاع عنها أمر غاية في الأهمية وهو أأكد علينا من مسؤولية رد الشبهات الواردة حول سيرة سائر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام)، فإن للقضية المهدوية المباركة أولوية وإن كان جميع ما يتعلق بأهل البيت (عليهم السلام) له أهمية بالغة، ولكن هذه الأولوية في الأهمية للقضية المهدوية المباركة تتأتى من عدة أسباب تحتم علينا مسؤولية مضاعفة تجاه إمامنا المهدي المنتظر(عليه السلام)، هي:

١.غيبته وخفائه عن الانظار فهو (عليه السلام) بأبي وأمي يعيش في ظل إمامة غير ظاهرة ولا يتسنى له الدفاع عن نفسه وعن مشروعه الإلهي.

٢.كونه إمامنا الفعلي والمباشر _ لو صح هذا التعبير_ وله بذلك علينا حقوق وواجبات، ومنها وجوب الدفاع عن سلامة عقيدة الناس به وبإمامته ومشروعه

---

(١) خطاب المرحلة، ج٤، ص٢٠٤ وما بعدها، رقم (١٠٣): (تعبئة القواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي (عليه السلام).

(٢) لقد تطرقنا في بداية هذا الكتاب لرد بعض التساؤلات الأولية المهمة التي تطرح حول القضية المهدوية، وقد أفردناها هناك لأسباب فنية.

المبارك.

٣. كثرة الفتن والانحرافات ومدعي الانتساب إليه زوراً وبهتاناً.

٤. كثرة ما يتعلق به وبقضيته المباركة من مسائل عقائدية ومفاهيم عديدة تحتاج إلى توضيح وبيان للمجتمع وسائر شعوب العالم، لاسيما وإن بعضها يحيطها شيء من الغموض وتحتاج لمن يُبين للناس ماهيتها وكنهها، وكذلك كثرة الملابسات والحوادث التأريخية المستقبلية التي بشر المعصومون (عليهم السلام) بوقوعها والناس لا ثقافة جيدة لديهم حولها.

٥. كثرة المشككين والمرجفين فضلاً عن المنكرين بالقضية المهدوية وبطول غيبته الشريفة، الذين يُشكل وجودهم خطراً على سلامة دين الناس.

٦. تربص أعدائه وأعداء الإنسانية به شراً وتجنيد ما يمتلكونه من طاقات وإمكانيات مادية ومعنوية لمعاداته وتأخير ظهوره المبارك. ومما لا يخفى أن أعداءه هم زعماء الدول الكبرى في العالم التي لها ما لها من قدرات مسخرة لهذا الغرض الشيطاني.

وقد أجاب المرجع اليعقوبي (دام ظله) عن العديد من الإشكاليات والتساؤلات المطروحة حول القضية المهدوية المباركة، وخصوصاً في كتابيه (شكوى الإمام (عليه السلام) وكتاب (نحن والغرب)، كما أكد (دام ظله) على ضرورة (استيعاب قضية الإمام المهدي (عليه السلام) من جميع جوانبها العقائدية والتاريخية والفكرية والاجتماعية والدفاع عنها والتصدي للإشكالات والشبهات المثارة ضده (عليه السلام) ومن الأولى من شيعته بالدفاع عنه بعد تعذر ذلك عليه شخصياً لاقتضاء خفاء عنوانه على الناس ذلك، وهذه العناوين للجوانب لا اذكرها من باب التفنن في الكلام وانما اذكرها من جهتين:

الأولى: إن التساؤلات والإشكالات التي تثار حول قضية الإمام (عليه السلام) ذات أوجه

متعددة بحسب موضوعاتها فموضوع بعضها عقائدي كالإيمان بان الأرض لا تخلو من حجة فلابد أن يكون الإمام المهدي(عليه السلام) موجودا في حياة الإمام والده العسكري (عليه السلام) وموضوع بعضها تاريخي وهكذا. وقضية الإمام (عليه السلام) يكتنفها الكثير من التساؤلات: ما الدليل على أصل الحاجة إلى وجود منقذ للبشرية في آخر الزمان؟ ولماذا هو ابن الحسن العسكري (عليه السلام) ولماذا ولد في ذلك الزمان فيحتاج إلى هذا العمر الطويل؟ وهل يمكن للإنسان أن يعيش كل هذه المدة؟ ولماذا لم يظهر في فترات سابقة عانت شيعته فيها من الظلم والاضطهاد والجور وإذا كان ينتظر أنصارا فقد شهد التاريخ قيام دول شيعية فلماذا لم يستفد منها ويظهر وما هي آليات عمله في تأسيس دولته الواسعة؟ وهل يستطيع وهو فرد ان يغير المعمورة خصوصاً وان الآلة العسكرية للقوى المستكبرة تتضخم بحيث يبدو من المستحيل تحقيق النصر عليها؟ وما هي إمكانياته بحيث يستطيع أن يقود العالم ؟وكيف استطاع إخفاء نفسه هذه المدة الطويلة والأعداء متربصون به؟ وما هي الوظائف والأعمال التي يؤديها في فترة الغيبة ولماذا يختار العراق عاصمة له ومركزا لانطلاقه لنشر العدل والسعادة في العالم؟ وما هي الظروف التي تحيط بالعالم في فترة ظهوره؟ وما هو تكليفنا في زمن الغيبة؟ وهل إن الإيمان بقضية الإمام تؤدي إلى الخمول والكسل وغض النظر عن الظلم والاضطهاد؟ وغيرها كثير، وقد تصدى العلماء والمفكرون للإجابة عنها بكتب مختصرة كـ (بحث حول المهدي (عليه السلام) للشهيد السعيد محمد باقر الصدر ومطولة كـ (موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام) للشهيد السعيد محمد الصدر (قدس سره).

الثانية: إن قضية الإمام المهدي (عليه السلام) عالمية يراد إقناع جميع البشر بها لأنها لهم جميعاً وذلك يقتضي أن تتعدد لغة الخطاب والحوار بحسب ثقافة الشخص المقابل

ومبتنياته الفكرية فالاستدلال لإقناع الشيعي يختلف عمّا لو أريد إقناع المسلم غير الشيعي وهو يختلف عمّا لو أريد إقناع غير المسلم أيضاً، لذا قد نجيب عن سؤال واحد بعدة اتجاهات وأشكال من الأجوبة؛ فمثلا، حينما نريد أن نجيب عن سؤال: لماذا يجب أن يكون الإمام المهدي (عليه السلام) موجوداً عند انتهاء حياة الإمام العسكري(عليه السلام) ويبقى حياً هذه المدة الطويلة مما يعرض القضية لإشكالات عديدة كإمكانية بقاء الإنسان هذه المدة الطويلة والفائدة من الشخص وهو غائب ونحوها وينتهي السائل إلى أن فكرة الإمام الموعود (عليه السلام) صحيحة إلا أن صاحبها شخص يولد في آخر الزمان). [١]

١١) فضح الأنظمة الاستكبارية المعادية للإسلام:

- (لعل آخر نموذج تجرّبه البشرية - من غير المسلمين- قبل اليوم الموعود هو النموذج المادي الغربي بحسب الظاهر، فكلما عجلنا بفضحه وتنفير البشرية منه فإننا نعجّل بظهور الإمام (عليه السلام) فلا تبقى قناعة إلاّ بالإسلام وحده). [٢]
- (فشل النظم الأرضية التي يبتدعها البشر في توفير السعادة لهم بل على العكس فإنها تؤدي الى التقاتل والتنازع والظلم والاستبداد وسحق كرامة الشعوب. . . إن هذا الفشل يُبيّن على صعيد النظرية والتطبيق وأعني بالنظرية الاسس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تستند اليها تلك الحضارات واعني بالتطبيق ممارستها العملية تجاه الشعوب، ولحماقة هذه القوى المستكبرة التي تمثل الحضارات المادية فإنها ترتكب الفضائح بلا مبرر لينكشف زيفها ولتنفر البشرية منها بإذن الله تعالى فلا

(١) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

(٢) نحن والغرب، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

بد من التنبيه الى مكامن الضعف فيها وخلال كتاباتي لهذه الكلمات فان وسائل الإعلام لا زالت تعّج بفضيحة تعذيب القوات الأمريكية والبريطانية للسجناء العراقيين والتنكيل بهم والممارسات اللاأخلاقية معهم وقتلهم والتمثيل بجثثهم ، وبما تفعله القوات الصهيونية في مدينة رفح وقطاع غزة من تدمير للمنازل وتشريد الأهالي وقتل الأبرياء حتى الذين خرجوا في مظاهرة سلمية للمطالبة بأبسط حقوق الانسان من غذاء ودواء الذي منعته اسرائيل عنهم ضربتهم الطائرات فسقط الشهداء والجرحى وأضف إليهم الجرائم الروسية في الشيشان وافغانستان وضربهم بالغازات المميتة للموجودين في مسرح موسكو لان عددا من المعارضين ارتهنوهم لمطالب سياسية، فمن وظائف الأمة تجاه الإمام (عليه السلام) تعميق حالة الرفض لهذه القوى المستكبرة والتذكير المستمر بجرائمها وحاجة الشعوب للتخلص منها حتى تكون في قمة الاستعداد لقبول دعوة الإمام (عليه السلام) والالتحاق به ونصرته). [1]

١٢) ضرورة تكثير النسل الصالح المؤهل لحمل مسؤولية القضية المهدوية ونصرتها

ذكر المرجع اليعقوبي (دام ظله) في خطاب مُفصّل أهمية تكثير النسل الصالح، وأشار إلى أهميته من الناحية الدينية، حيث قال (دام ظله): (إن اتباع أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هم الجماعة الخيّرة الطيّبة التي اختارها الله تعالى لتحتضن ولاية أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وتحافظ على الإسلام الأصيل فتكثيرهم إعزاز للدين والولاية وتثبيت لقيم الخير والإنسانية في هذه الأرض فالخير منهم مأمول والشر منهم مأمون، فهم كالشجرة الطيبة المثمرة التي تكون هي أولى بالتكثير. . . إن في تكثير الشيعة نصرة للإمام الموعود (عليه السلام) وتقوية لأركانه وتمهيداً

(١) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

لظهوره المبارك، تطبيقاً لقوله تعالى (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) (الأنفال/٦٠) وأعظم قوة نعدّها لنصرة الإمام (عليه السلام) هي هذا النسل المبارك لأنّ الموارد البشرية هي أعظم الموارد التي تحرص الدول على تحصيلها فاستكثروا منه ما استطعتم. . . إنّ الشيعة في المنطقة مستهدفون بحرب إبادة واجتثاث كما تشهد به الوقائع الجارية خصوصاً عندنا في العراق وقد فقدنا خلال العقود الأربعة الماضية أكثر من مليون ونصف المليون من الرجال الذين تزهو بهم الحياة في حروب عبثية وإعدامات ومقابر جماعية في عهد النظام المقبور ثمّ في المفخّخات والتفجيرات وأنواع آلات القتل والتدمير). [1]

وفي ختام هذا الموضوع _ أعني موضوع بيان صفات المنتظِرين وماهية تكاليفنا زمن الغيبة الشريفة_ أود أن أشير إلى كلمتين مهمتين له (دام ظله) احداهما ذكرها في خطاب من خطاباته المباركة تحت عنوان: (إننا بحاجة إلى مشاريع إعمار كما نحن بحاجة إلى مشاريع استشهاد) وضّح فيها ما يجب علينا فعله في زمن الغيبة وضرورة المبادرة إلى الانخراط في المشاريع المنتجة والنافعة للفرد والمجتمع، وهذه الضرورة تكون أأكد وأهم بالنسبة لشريحة الشباب الرسالي والغيور، حيث قال (دام ظله): (...قد ينقدح في الذهن سؤال حاصله إن الأمة إذا تكاملت بتربيتها إلى هذه الدرجة من الإقدام على التضحية بالنفس تحت راية مرجعيتها الرشيدة التي هي نائبة الإمام المعصوم (عليه السلام) إذن فما الذي يؤخر الإمام المهدي (عليه السلام) ويقعده عن القيام بحركته الإصلاحية المباركة، ما دام السبب المتوارث تأريخياً هو عدم وجود ناس كذاك الذي أمره الإمام الصادق (عليه السلام) برمي نفسه في التنور المسجور ففعل فوراً من

(١) وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع المهم راجع خطاب المرحلة الجزء الثامن منه، خطاب رقم (٣٧٥) بعنوان: (الإمام الكاظم (عليه السلام) وتكثير النسل).

دون تردد أو مناقشة وقد أجبت عن هذا السؤال في خطاب سابق بعنوان: (ما الذي ينتظره الإمام من شيعته) وقلنا إن عليكم الآن أمرين:

الأول: زيادة درجة الوعي لدى الأمة حتى تمتلك الحصانة من التضليل والانحراف والتشويش المؤدي إلى الإرباك وتعويق حركة الإصلاح المنشود.

الثاني: تنمية القدرات على إدارة المجتمع وبناء دولة المؤسسات التي تحكم بين الناس بالعدل والتي تقدم للبشرية نموذجاً حضارياً مزدهراً راقياً يذهل البشرية ويدفعها -لعجزها عن مجاراته- إلى الإذعان بأحقيتها في قيادة البشرية).[١]

وقال (دام ظله) أيضاً لتأكيد نفس هذا الغرض: (فنحن كما إننا محتاجون لمشاريع الاستشهاد حينما يدعونا الواجب إليها كذلك نحن بحاجة إلى مشاريع أعمار لكل أنشطة الحياة الفكرية والأخلاقية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والهدف الذي خلقنا من أجله [هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ] فلا بد أن تتصدى كل شريحة من المجتمع لوجه من هذه النشاطات التي يكمل بعضها بعضاً بحسب قابليته كل شخص واستعداده انطلاقا من الحديث الشريف: (الإنسان ميّسر لما خلق له) فلكل حالة طريقتها المناسبة لمعالجتها وليس السلاح والاستشهاد دائما هو الحل فهذا تحجيم لطاقات الأمة بل يكون أحياناً هدراً لها وتضييعاً بلا مبرر).[٢]

والكلمة الأخرى له (دام ظله) جاء فيها: (إن دولة الإمام (عليه السلام) رصينة تُقام على أُسسٍ متينةٍ وليس في مهبّ الريح تسقط بأول تهديد، وإذا لم يكن المجتمع مستعداً

---

(١) خطاب المرحلة، ج٤، خطاب بعنوان: (إننا بحاجة إلى مشاريع إعمار كما نحن بحاجة إلى مشاريع استشهاد).

(٢) المصدر نفسه.

لاحتضان هذه الدولة وقادراً على العمل بنجاح لإدامتها فإن دعاءه بتعجيل الفرج يكون مجرد لقلقة لسان، وإن الإمام (عليه السلام) لا يقبل التضحية بدولة الحق والعدل. خذ مثلاً زمان أمير المؤمنين (عليه السلام) أو زمان الإمام الحسن (عليه السلام) فإنهما (عليهما السلام) ترأسا الدولة وأقاما شريعة الله تعالى، لكن المجتمع لم يكن مؤهلاً ولم يكن مستعداً للسير على وفق المنهج الالهي فانفضُّوا عنهما وخذلوهما حتى استشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) وتنازل الإمام الحسن (عليه السلام) عن حقه في قيادة شؤون الامة). [1]

(١) خطاب المرحلة، ج٩، خطاب رقم (٤٥٢)، بعنوان: (الجامعة الدينية المفتوحة: تمهيد للتكامل المعرفي في زمن الظهور).

مدى سلمية الفتح المهدوي العالمي وتحقيقه لمبدأ التعايش السلمي

إن من خلال مطالعة النصوص الشريفة في القرآن الكريم وروايات أهل بيت العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم) التي تخص عصر الظهور المقدس نلمس وبكل وضوح ملامح تحقق مبدأ التعايش السلمي في دولة الإمام المهدي (عليه السلام) بل إن دولته المباركة هي المصداق الأجلى والأوضح التي ينطبق عليها هذا المبدأ الإنساني السامي فتنعم به البشرية جمعاء في طول الأرض وعرضها وبشكل لم يسبق له مثيل في التأريخ على الإطلاق.

وعندما نتمعن في الروايات الشريفة التي تتحدث عن الأوضاع الاجتماعية والأمنية والاقتصادية والسياسية والعمرانية للدولة المهدوية المرتقبة نجد أن جميع البشرية آنذاك تعيش حالة عامة من السلام والأمان والوئام والتكاتف والرخاء وهذه الحالة ستتفرد الدولة المهدوية بعناصرها ومميزاتها الخاصة والمشرقة وبأفضل ما يكون وتحوز قصب السبق في تحقيق ذلك وعلى كافة الأصعدة، حتى أن الأنبياء والأولياء (عليهم الصلاة والسلام) السابقون على عصره على الرغم من جهودهم المخلصة والمضنية لأجل تحقيق السلام والسعادة للبشرية إلا أن النجاح التام لم يكتب لهم من هذه الناحية وذلك لا لقصور في أهليتهم للقيادة أو عدم امتلاكهم القدر الكافي من المؤهلات الذاتية _ معاذ الله _ فإن ذلك مخالف للثوابت الدينية الحقة وهو نقض للغرض الإلهي الذي من دواعيه إصلاح شأن الناس على يد الأنبياء الكرام (عليهم السلام)، وإنما يرجع سبب عدم تحقيق النجاح التام إلى أسباب موضوعية تتعلق بالمجتمعات

المعاصرة لهم بكل تأكيد، كتدني مستوى الوعي والثقافة لديهم وعدم انصياعهم للأوامر والتوجيهات الإلهية ومحاربتهم ومعاندتهم للمصلحين وغير ذلك من الأسباب.

ومن أبرز الأمور المتعلقة بالإمام المهدي (عليه السلام) وبنهضته المباركة التي تُحقق مبدأ التعايش السلمي والرفاه والأمان العالمي، هي عدم استخدام الإمام (عليه السلام) للقوة العسكرية إلا عند الضرورة، بخلاف ما يتصوره الكثير من الناس من أن الإمام المهدي (عليه السلام) سيُعمل الجانب العسكري ويُكره الناس بقوة السلاح لأجل تحقيق الانتصار على أعدائه وبسط دولته في الأرض، وان السمة العامة لحركته الاصلاحية ستكون بهذا الشكل وبهذا الأسلوب القسري، وهذا خطأ كبير بل هو تجني على حريم القضية المهدوية المباركة، ومحاولة لتشويه سمعة الإمام المهدي (عليه السلام) ونهج أهل البيت (عليهم السلام) والدولة المهدوية المباركة، في حين أن الإمام المهدي (عليه السلام) وكما نصت الروايات الشريفة سينتهج أسلوباً حكيماً ومسالماً يحاول من خلاله ابعاد شبح الحرب والدمار عن الشعوب والمجتمعات قدر المستطاع، وقدر ما تسمح به الظروف، وسيكون إعمال السيف والخيار العسكري آخر الدواء الذي سيلجأ إليه عند الاضطرار كما هو نهج اسلافه الصالحين من آبائه أجداده الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم)، لأنه (عليه السلام) جاء أصلاً من أجل انقاذ شعوب العالم المستضعفة من ويلات الحروب والظلم والاستعباد، لا أن ينهكهم بحروب طاحنة تهلك الحرث والنسل وتخلف الدمار والويلات للشعوب.

ووفقاً لهذا الفهم المتولد من رحم النصوص الدينية الصحيحة، أكد علمائنا الأعاظم على هذه الحقيقة التي يروم أعدائنا تشويهها واخفائنا عن الأنظار. فقد ذكر مرجعنا اليعقوبي في كتابه (شكوى الإمام (عليه السلام) متحدثاً عن هذا الاسلوب الذي سيتبعه

الإمام (عليه السلام) بعد ظهوره المبارك قائلاً: (إن الإمام المهدي (عليه السلام) يظهر رحمة للناس وشفقة عليهم كجده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أُرسل رحمة للعالمين، لذا فهو سينشر دعوته بالإقناع والحوار لا بالسيف خصوصاً وأن شعوب العالم ستكون واعية ومثقفة ومدركة لظلم المستكبرين ومرتاحة لدعوة الإمام (عليه السلام) ومن يعتقد أنه (لا يبقي ولا يذر) فهو واهم، بل سيتورط في تنفير الناس من الإمام (عليه السلام) ونشر بغضه في القلوب – والعياذ بالله – وإنما يستعمل السيف في الضرورات القصوى. وقد علمنا ألطافه ورعايته بالبشر وهو غائب لا يُعرف فكيف ستكون رعايته وهو حاضر وظاهر ثم إنه واجداده مظهر الرحمة الإلهية وسائر الصفات الحسنى إلا ما اختص الله تبارك وتعالى به وهو الغني وقد جربنا وجرب معنا الكثيرون أن ندبه (عليه السلام): (يا أبا صالح المهدي أدركني) تيسر الكثير من الأمور وتقضي الحوائج اليسيرة والعسيرة). [1]

كما أنه (دام ظله) عَبَّرَ عن دولة الإمام المهدي (عليه السلام) بأنها سوف تكون: (دولة مؤسسات تقوم على أساس توزيع الاستحقاقات على أهلها ووضع الشخص في الموقع المناسب بلا مجاملة ولا مداهنة، والظاهر أنه (عليه السلام) سوف لا يبني دولته بالطرق الإعجازية ولا بالسيف والتدمير وقطع الرقاب وإهلاك الحرث والنسل، كما يفعله الإرهابيون اليوم ليشوهوا صورة الإسلام، ولينفروا البشرية من كل داعية مصلح، وإنما يسير بسيرة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) حيث بدأ بدعوته المباركة وحيداً فآمن به واستضاء بنوره وسارع إلى تصديقه الطاهرون ذوو القلوب السليمة والمعرفة العميقة، وانتشرت دعوته حتى ملأت الخافقين وعجزت عن مواجهته أعتى القوى المستكبرة، ولم يحمل شخصياً أي سلاح حتى في اشد المعارك وطأة، فحينما انهزم أصحابه في أحد وأحاط به المشركون لم يكن بيده سلاح يدافع عن نفسه حتى نالوا

(١) شكوى الإمام (عليه السلام) ، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

من جسده الشريف وسال دمه، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي يدافع عنه ولم يقتل مشركاً بيده لأنه (صلى الله عليه وآله) رحمة للعالمين وشملت رحمته حتى أعداءه لأنه تجسيد لرحمة الله تبارك وتعالى التي عمّت الموجودات، فالإمام المهدي (عليه السلام) هو ابن ذلك النبي العظيم والمحيي لسنّته والسائر على هديه).[1]

وللأسف فقد اعترض بعضهم على هذه الفكرة التي تبناها سماحته (دام ظله) وهي أن الإمام المهدي - أرواحنا له الفداء- سيظهر رحمة للبشرية لهدايتها وسعادتها وكرامتها، وأنه سوف يفتح العالم بالإقناع المبتني على الحجة والدليل وسيلقى استجابة واسعة لمشروعه حينما يرون ما يتحلى به من خصائص وكمالات سامية في شخصه (عليه السلام) ومشروعه المبارك، في حين ان المعترض يرى أن الإمام (عليه السلام) سوف يحصد الرقاب ويعمل ابتداءً بسياسة الانتقام والخيار العسكري بشكل مطلق، وقد أجاب سماحته (دام ظله) على هذا الاعتراض قائلاً: (إن الحديث يقول: (إن الله عند حسن ظنّ عبده) فبمقدار ما يحسن العبد الظن بربّه يكون الله تعالى كذلك وأكثر له ولما كان المعصومون (عليهم السلام) متخلّقين بأخلاق الله تعالى كما أُمروا (تخَلّقوا بأخلاق الله) فبالجمع بين هاتين المقدمتين تكون النتيجة أنهم (عليهم السلام) عند حسن ظن عباد الله بهم فمن ظن بهم الرحمة والشفقة والأبوّة والعفو والصفح كانوا له كذلك ومن ظن فيهم الانتقام والقسوة والغلظة كانوا له كذلك فأختر ما تشاء. ثم إن لهم أسوة حسنة بجدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي بُعِثَ رحمة للعالمين [وَمَا أَرسَلنَاكَ إلا رَحمَةً لِلعَالَمِينَ] وهذا لا ينافي طبعاً استعمال السيف في حق من لا يصلحه أي علاج خصوصاً المنافقين المتاجرين باسم الإسلام لكي يتسلطوا على رقاب الأمة وينالوا

(١) خطاب المرحلة، ج٣، ص(٤٢٩ -٤٣٠)، خطاب رقم (٦٥): (ما الذي ينتظره الإمام المهدي (عليه السلام) من شيعته).

وجاهة عند الناس والإسلام براء منهم ويسيئون إليه وينفرّون الناس منه كما ورد في الرواية الشريفة عن أبان بن تغلب قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إذا ظهرت راية الحق لعَنها أهل المشرق والمغرب، أتدري لم ذاك؟ قلت: لا، قال: للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه).[١]

إذن مما تقدم نفهم أن القيام المهدوي بالسيف والقوة العسكرية لا يحصل إلا عند الحاجة والضرورة كما ذكرنا سابقاً، ولكن اعتراضنا هو أن يكون هذا الاسلوب العسكري وهذا النمط من الإصلاح هو الصفة العامة والسمة الأبرز للقيام المهدوي المقدس وهذا ما نبهنا منه سابقاً وقلنا أن هذه الفكرة الخاطئة هي من اتهامات الأعداء ومن دعاياتهم المغرضة التي يهدفون من ورائها اخافة شعوب العالم من اسم الإمام المهدي (عليه السلام) ومن كل ما يتعلق به، لكي تنتج هذه الفكرة الخبيثة العمل على محاربته ومعاداته، مضافاً لما يعملونه من مخططات ومؤامرات شيطانية تهدف إلى انكار الاعتقاد بالإمام المهدي (عليه السلام) وبنهضته الإصلاحية العالمية، وعلى أقل التقادير محاولة زعزعة هذا الاعتقاد في قلوب الناس.

كما يرى سماحة المرجع السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله) أن الإمام المهدي(عليه السلام) عند ظهوره المقدس سوف يستقطب بقوته الناعمة شعوب العالم الغربي بشكل ملفت للنظر، بخلاف ما يتوقع الكثير من الناس، حيث يقول (دام ظله): (..في ذلك اليوم هم الذين يأتون سعياً إليه، يدخلون تحت رايته أفواجاً بعد ما ذاقوا الويلات على أيدي حكامهم، وبعد ما يرون عدل الإمام (عليه السلام) ورحمته وكرمه، بل وحينما يرون أن عيسى بن مريم (عليه السلام) يصلي خلف الإمام(عليه السلام) ويدعو إليه فيؤمن

(١) خطاب المرحلة، ج٤، ص٤٦٧، وينظر صحيفة الصادقين العدد (٤٤) ، (ظهور الإمام (عليه السلام) رحمة وليس نقمة).

أهل الديانات الأخرى به ولا يحتاج الإمام (عليه السلام) إلى الحرب إلا بشكل محدود).[١]

كما يوجد العديد من الروايات الشريفة التي تكشف لنا النقاب عن المنهج المستقبلي للإصلاح المهدوي الميمون الذي يتسم بصبغة المسالمة، وعدم الدخول مع بعض الدول بحروب عسكرية، ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- روي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إذا بعث السفياني إلى المهدي جيشاً فخسف بهم البيداء. . . وتنقل إليه الخزائن، ويدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال، حتى يبني المساجد بالقسطنطينية وما دونها. . . الحديث).[٢]

- وروي عن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (قال لي: يا أبا محمد، كأني أرى نزول القائم في مسجد السهلة، بأهله وعياله، قلت يكون منزله؟ جعلت فداك! قال: نعم. . . (إلى أن قال الراوي): جعلت فداك لا يزال القائم فيه أبداً. قال: نعم. قلت: فمن بعده؟ قال: هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق. قلت: فما يكون من أهل الذمة عنده؟ قال: يسالمهم، كما سالمهم رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون. . .).[٣]

- وروي عن الإمام الباقر(عليه السلام): (إذا قام القائم (عليه السلام) أقام في أقاليم الأرض، في كل إقليم رجلاً، يقول: عهدك كفّك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه، ولا تعرف القضاء فيه، فانظر إلى كفّك واعمل بما فيها. ويبعث جنداً إلى القسطنطينية، فإذا بلغوا إلى الخليج، كتبوا على أقدامهم شيئاً، ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الروم، يمشون

---

(١) بصائر من سورة الروم، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله).

(٢) يُنظر معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) ، الشيخ علي الكوراني، ص١١٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٠٣.

على الماء، قالوا: هؤلاء أصحابه: يمشون على الماء، فكيف هو؟ فيفتحون لهم باب المدينة، فيدخلونها فيحكمون فيها بما يريدون)[١] أي أن الإمام (عليه السلام) لا يتعامل معهم عن طريق الخيار المسلح، بل يفتح بعض البلدان بطرق سلمية.

وقد أوضح السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في موسوعته المهدوية عدة من نقاط القوة المتوفرة في مضامين هذه الروايات الشريفة وغيرها التي وردت إليها والتي تدعم فكرة التحرك السلمي للنهضة المهدوية، وهي كما يلي:

النقطة الاولى: إن المضمون العام لهذه الروايات، وهو فتح العالم سلمياً، مدعم بعدة قرائن عامة، يسند قابلية هذه الأخبار للإثبات التاريخي. وذلك من عدة زوايا يدعم بعضها بعضاً.

الزاوية الأولى: ...شعور الرأي العام العالمي بوضوح _ يومئذ _ فشل كل التجارب والأطروحات التي ادعت حل مشاكل العالم. إلى حد أصبح الفرد الاعتيادي [غير المرتبط مصلحياً بهذه التجارب] مستعداً للتنازل عن أي حكم يتبنى شيئاً منها إلى الحكم الجديد الذي يأمل فيه الخير والرفاه.

الزاوية الثانية: ...قابليات الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه في الاطلاع على نقاط الضعف في الدول والحكام، الأمر الذي ييسر له أحسن النتائج وأسهلها خلال الفتح العالمي.

الزاوية الثالثة: إن الدولة التي سيؤسسها المهدي(عليه السلام) في منطقة من العالم قبل استيعاب الفتح العالمي، ستكون نموذجاً حياً للأطروحة العادلة الكاملة، وسيرى العالم كله ما يشملها من الرفاه والأخوة والعدل. الأمر الذي يجعل أنظار العالم مركزة على هذا النظام الجديد وراغبة فيه بشغف شديد.

الزاوية الرابعة: ما يقوم به المهدي (عليه السلام) من مناقشات فكرية وعقائدية ودينية،

---

(١) المصدر نفسه، ص٣١٧.

لإثبات الفكر الحق ودحض كل ما يخالف من الأساليب والأيدولوجيات وسيكون ذلك على نطاق واضح وواسع ومقنع، مضافاً إلى أن المسيح عيسى بن مريم(عليه السلام) عند نزوله سيقوم بمثل هذه الحملة أيضاً. وهذا ما اشير إليه في بعض الحدود في الروايات، وإن الراهب الذي ترسله رومية [روما – أوروبا] سوف يؤمن بالمهدي ويشهد بوجود صفاته في الكتب الدينية القديمة الموجودة عنده، وأن المهدي هو [صاحب رومية] يعني أن مستقبلها سيكون إليه لا محالة.

الزاوية الخامسة: الفتح الإعجازي عند انحصار الأمر فيه، بحيث يكون مطابقاً لقانون المعجزات. وهذا ما قد تعن الحاجة إليه أحياناً. ونستطيع أن نتصور رد الفعل العالمي لو حدث ذلك مرة واحدة أن كل الدول الأخرى سوف تنهار معنوياً وتعلم بنهايتها، طبقاً لقول الشاعر:

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته

لأنها تعلم أن الجيش المهدوي سيغزوها لا محالة، فإن أمكن بالطريق الطبيعي فهو. . . وإلا فسيدخلها بالمعجزة. . . وهذا من أقوى أسباب الرعب الذي سمعنا انتشاره بين أعداء المهدي(عليه السلام) من الروايات.

فهذه الزوايا الخمس المتوفرة للإمام المهدي (عليه السلام) تيسر الفتح العالمي السلمي بكل وضوح. مضافاً إلى الضمانات الأخرى لانتصاره، والتي تتناسب مع السلم كما تتناسب مع الحرب. وإذا تمت هذه الزوايا كانت مؤيدة للأخبار الدالة على الفتح السلمي. فيصبح من الممكن القول بأن هذه الأخبار صحيحة من هذه الناحية لا غبار عليها.

ثم أردف السيد الشهيد (قدس سره) قائلاً بعد عرضه لهذه التأييدات لفكرة الحركة السلمية للإمام المهدي (عليه السلام): (وعلى أي حال، فهذه الفكرة تكشف لنا عن أن

التخطيط الذي يتخذه المهدي (عليه السلام) في مناطق العالم المختلفة غير التخطيط الذي يتخذه في الشرق الإسلامي، ويبقى التعرف على التفاصيل مصوناً في ضمير الغيب إلى حين مجيء ذلك الزمان).[١]

كما أنه إذا حصل في صفوف المعادين للنهضة المهدوية قتلاً ذريعاً فلا ينبغي (أن يتوجه العتب إلى السيف المهدوي بكثرة القتل من حيث كونه مسؤولاً عن تطبيق العدل الذي يتوقف على هذه الكثرة كما عرفنا. بل ينبغي أن يتوجه العتب إلى الأفراد المنحرفين أنفسهم، في انهم أصبحوا بسوء تصرفهم وممارستهم أشكالاً من الظلم، بشكل يتنافى وجودهم بكل أقوالهم وأفعالهم مع المجتمع الفاضل والنظام العادل، فاستحقوا القتل بالسيف المهدوي الصارم).[٢]

(١) يُنظر موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام)، السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)، ج٣. بتصرف بسيط.

(٢) المصدر نفسه.

العراق عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام)

من الواضح أنه لابد لكل دولة من عاصمة ومركز إداري يحفظ لها هيبتها وسيادتها، وتكون مقراً للقيادة العليا فيها، لكي تدير شؤون البلاد والعباد، وهذا ما سارت عليه الأنظمة الإدارية والقوانين الدولية، ومنذ أزمنة بعيدة، وهذا النظام الإداري يحكم به العقل وتنطق به الحكمة، حيث لابد من وجود مدينة مميزة عن سائر مدن الدولة الواحدة، تكون لها السيادة السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية، ولها أيضاً مكانة دبلوماسية بين الدول الأخرى، لكي يتسنى لرئيس الدولة من خلال ذلك إدارة وقيادة كل مرافق دولته بسهولة وانسيابيه، ولهذا السبب نرى في الميدان العسكري والحربي عندما تنشب الحروب بين دولتين أو أكثر فإن سقوط عاصمة أحدها يمثل قصب السبق في حيازة الانتصار على الخصم، في حين أن سقوط سائر مدن الدولة لا يمثل الهزيمة الكاملة لها، وإن خسرت بسبب ذلك مادياً ومعنوياً، وهذه المعادلة تشبه إلى حدٍ كبير عملية القضاء على رئيس الدولة، وذلك لأن عاصمة الدولة ورئيسها يمثلان رأس السلطة وهيبتها وقمة الهرم السياسي والدبلوماسي فيها ولهما مكانة واعتبارات مادية ومعنوية كبيرة من الناحية السياسية والعسكرية كما أوضحنا قبل قليل.

وبعد هذه المقدمة التي قد لا تخفى مضامينها وتوضيحاتها على الكثيرين من الناس، نتساءل قائلين مَن هي عاصمة دولة الإمام المهدي (عليه السلام)؟

هذه الدولة العالمية العادلة الموعودة، التي سيقودها الإمام (عليه السلام)، والتي ينتظرها الأحرار ودعاة السلام والعدالة ومستضعفو الأرض، فأين ستقع عاصمة هذه الدولة

المباركة؟

نعم، إن عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) هي العراق وبالتحديد مدينة الكوفة المقدسة، تلك المدينة التي هي ذاتها عاصمة دولة جده المرتضى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) التي حكم العالم الإسلامي من خلالها، وساس الناس فيها بالعدل والمساواة وطبق فيها الشريعة الإسلامية الحقة.

وهذه الحقيقة بكون العراق عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) المستقبلية مؤيدة بالروايات الشريفة العديدة، وهذا ما أشار إليه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) حيث جاء في موسوعته المباركة، قوله: (إن المنطقة الرئيسية لوجود الإمام المهدي (عليه السلام) بعد مكة المكرمة هي الكوفة [بالمعنى الشامل للنجف الأشرف] وقد أصبح هذا المضمون مستفيضاً بل متواتراً، بعد أن كان مروياً من كلا الفريقين. . . ستكون نقطة الإنطلاق إلى فتح العالم هي الكوفة من العراق على وجه التعيين، وستكون في المدى القريب عاصمة الدولة العالمية المهدوية العادلة. . . حيث يبدأ المهدي (عليه السلام) بغزو العالم انطلاقاً من الكوفة، وذلك بإرسال السرايا وبث الجيوش المتكاملة للقيام بهذه المهمة، وهذا وارد في مصادر كلا الفريقين. . . وإن الشعب الكوفي والنجفي سيخضع للمهدي(عليه السلام) بسهولة ويؤيده بحرارة، وهذا واضح من مجموع الروايات، وقد تحدثت كل منها عن زاوية من نتائجه. . . إلى جانب مناسبته مع طبع هذا الشعب وطبع الحوادث). [1]

ولأن العراق سيكون في المستقبل الموعود عاصمة الدولة المهدوية ومركزاً للقيادة ومقراً للانطلاقات العسكرية والتغييرية لإصلاح العالم والقضاء على معالم الظلم فيه،

(١) ينظر موسوعة الامام المهدي (عليه السلام)، تاريخ ما بعد الظهور. للشهيد الصدر الثاني (قدس سره)، بتصرف.

خطط المستكبرون والمستبدون وفي مقدمتهم اللوبي الصهيوني والإدارة الامريكية وحلفائهم وأذنابهم في الغرب والشرق، لأجل الاطاحة به وتدمير بناه التحتية مادياً ومعنوياً، وحاولوا ولا يزالون يحاولون استضعاف شعبه ونهب خيراته، لكي لا تقوى شوكته ولكي لا يكون مؤهلاً لاحتضان القائد المهدي الموعود (عليه السلام)، وبهذه المخططات الشيطانية الخبيثة يحاولون جاهدين إفشال المشروع الإلهي المهدوي الاصلاحي، أو عرقلة مسيرته على أقل التقادير.

وكما ذكرنا سابقاً فإن سقوط العاصمة يمثل سقوط الدولة، وهذا بالضبط هو أحد أسباب معاداة قوى الاستكبار العالمي للعراق وشعبه والمحاولة الجادة في اضعافه، لذا نرى سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) يُنبِّه ويحذر من يعي ويلتزم بخطابه الديني وفق الأسس الشرعية بحرمة اضعاف العراق وهدر طاقاته، لما يمتلكه هذا البلد من مستقبل مُشرف في قادم الأيام ولما يحتله من مكانة حساسة في القضية المهدوية، فقال (دام ظله): (اعلموا بأن العراق قاعدة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فلا يجوز لأحد إضعافه)[1] كما (رفض سماحته (دام ظله) بشدة أي مشروع لتقسيم العراق أو خلق حواجز بين مكوناته لأنه قاعدة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) ومنطلق حركته المباركة فلا يجوز لأحد إضعافه أو تفكيكه أو هدر ثرواته وإضعاف إمكانياته). [2]

واستشف حسب فهمي من لحن هذا الخطاب الديني أنه موجه بالخصوص للمسلمين الذين يؤمنون بالقيم الإسلامية، لأن معشر الذين كفروا وناصبوا العداء للإسلام وأهل

---

(١) يُنظر خطاب المرحلة، ج٤، ص٤٩١، ويُنظر صحيفة الصادقين العدد (٤٩): (العراق قاعدة الإمام المهدي (عليه السلام) فلا يجوز لأحد إضعافه).

(٢) يُنظر المصدر نفسه.

البيت (عليهم الصلاة والسلام) يكون من العبث مخاطبتهم بهذا التحذير وتحريم الممارسات التعسفية ضد العراق فهم لا يلتزمون بهذه الضوابط الدينية ولا يفهمون لغة الحرمة والوجوب ونحوها من الأوامر التكليفية، لذا فهناك من بين المجتمع الإسلامي وحتى من بين المجتمع الموالي لأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) للأسف الشديد من يحاول بقصد أو بغير قصد اضعاف العراق، وهذا الأسلوب لا يجوز التعامل به مع أية دولة مسالمة فضلاً عن عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) المستقبلية، التي تكون حرمة استضعافها أشد والعقاب عليه أعظم، ولذلك تكون المسؤولية تجاه ذلك كبيرة في الدنيا والآخرة لأن استضعاف العراق يسهم بشكل أو بآخر في عرقلة الظهور الميمون، ويؤجل انطلاق النهضة المهدوية المباركة.

وفي مقابل ذلك نرى المرجع اليعقوبي (دام ظله) يشد على أيدي بناة الوطن وأصحاب الغيرة والهمة الرسالية، كي يتسلموا زمام المبادرة في الإعداد المناسب لأجل الرقي والتقدم في واقع العاصمة المهدوية المستقبلية، بكل ما يحتاجه المشروع المهدوي من كوادر مثقفة وواعية ومخلصة، ولكي تكون كفوءة وقادرة على تحمل أعباء المسؤولية الاصلاحية الكبيرة زمن الظهور المقدس، حيث قال (دام ظله): (لنجعل هدفنا بناء مجتمع مثقف يجيد أرقى فنون العصر وعلومه استعداداً لاحتضان عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) وإقامة دولته التي مقرها هنا في العراق). [1]

فعلينا إذن أن لا نكتفي بإعلان الفخر بأننا من أبناء هذه العاصمة المباركة دون أن نقدم ونضحي من أجلها ما تستحق من عطاء وتهيئة الكوادر الكفوءة القادرة على مسك زمام الأمور وتحمل المسؤولية في إدارة العالم كله، وهذا يتطلب منا بذل أقصى ما لدينا من قدرات وإمكانيات، وتوفير كفاءات كثيرة جداً وعلى مختلف

(١) الحوزة وقضايا الشباب، المرجع اليعقوبي (دام ظله)

المستويات، تتناسب مع حجم المسؤولية العالمية، وهذا بطبيعة الحال لا يتحقق بالركون إلى الكسل والتواني والقعود وتضيع الوقت، والانزواء والعزلة السلبية، ناهيك عن ممارسة الأعمال التي تؤدي إلى العجز والفشل وذهاب القوة وتبعثر الإمكانيات، كتأجيج الصراعات والنزاعات ونحوها، قال سبحانه وتعالى محذرنا من ذلك: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ). [1]

وإن صور الإعداد المناسب لهذه الدولة المهدوية المباركة يتمثل بأشكال عديدة جداً أهمها هو بناء الذات وتهذيب النفس والتحلي بالهمة العالية والمحافظة على وحدة الصف الديني والاجتماعي وعدم بث الفرقة وإحداث النزاعات الداخلية، والتسلح بالعلم والمعرفة، فهذه المؤهلات والشروط تجعلنا من خير أبناء هذه العاصمة ونستحق حينئذ أن نفخر بالانتماء إليها بجدارة.

وقد يستغرب أو يستشكل البعض من أن يكون العراق _ هذا البلد الممتحن الذي تتكالب عليه دول الاستكبار العالمي وتتقاذفه أمواج البلاء والمحن والفتن _ هو عاصمة لدولة الإمام المهدي (عليه السلام)، فكيف يكون ذلك؟ وهو- حسب الظاهر - بلد مستضعف وقدراته مبعثرة وغير ذلك من الأمور، ولجواب ذلك، نقول:

إن هذه المحن والابتلاءات وإن كانت مضرة ومزعجة للبشر بطبيعة الحال إلا أنها تتضمن فوائد ايجابية عديدة، وهي على العكس تماماً مما يتصوره البعض لأنها تساهم وبشكل كبير وفعال في صقل الشخصية الإنسانية وتنمي قدرات أبناء المجتمع وتجعلهم أكثر صلابة وتحمل للمحن والمسؤوليات الجسام، خلافاً للمجتمع المُترف المتنعم بالراحة والدعة، فهو ليس بمنزلة سواء مع سابقه من جهة النهوض

(١) الأنفال ، ٤٦.

بالمسؤوليات الكبيرة، وعلاوة على ذلك فقد وردت روايات عديدة عن أهل بيت العصمة (عليهم الصلاة والسلام) تؤكد على أن العراق هو عاصمة الدولة المهدوية، وأن شعبه سيكونون طوع أمر الإمام المهدي (عليه السلام) وأسعد الناس به، وهذه الحقيقة أكدها المرجع اليعقوبي (دام ظله) حيث قال: إن (المحنة والأزمات التي يمر بها الشعب العراقي مما لا يحتمله شعب أخر. وقال إن في هذا البلاء معنيين: أحدهما: ايجابي وهو انه يساهم في تربية هذا الشعب وإعداده لتحمل أعباء واستحقاقات حركة الإمام المهدي (عليه السلام) العالمية التي ستنطلق من عاصمته في العراق. والآخر: سلبي وهو إعراض الناس عن ذكر الله تعالى وإقامة شعائر أهل البيت فينزل بهم البلاء لأعادتهم إلى الطريق الصحيح رحمة بهم، فبدلاً من أن يزداد إقبال الناس على مجالس الذكر والدعاء وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومصائبهم بعد سقوط صدام شكراً لله تعالى على نعمه انشغلوا بالستلايت وأنانياتهم وسعيهم لتحصيل المناصب وجمع الثروات، فإذا أرادوا رفع البلاء فليعودوا إلى تلك الشعائر المباركة فليس من المعقول أن تمر وفاة الإمام الباقر (عليه السلام) وغيرها من المناسبات ولا نرى اهتماماً واضحاً بإحياء هذه المناسبات..)[١]

وقال (دام ظله) أيضاً: (إن هذا الالتجاء إلى الله في أوقات الاضطرار والمحن يمثل الحد الأدنى من المطلوب، وإلا فإن الإنسان في كل حالاته وفي كل نفس هو مضطر ومفتقر ومحتاج إلى الله فكيف يستغني عن الله تعالى).[٢]

ومما تقدم يتضح ان هذه البلاءات التي تحل بالشعب العراقي إنما هي في الحقيقة

---

(١) خطاب المرحلة، ج٣، خطبة العيد بعنوان: (إن الإنسان في حالة اضطرار وحاجة دائمة إلى الله تعالى فلا بد أن لا يغفل عن ذكره وإقامة شعائر أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) المصدر نفسه.

عملية تمحيص وامتحان تزيد من تكامل أبناء هذا الشعب، وتجعلهم أكثر صبراً وصلادة على تحمل الصعاب، وأن هذه البلاءات والامتحانات إنما هي نوع من أنواع التمحيص والاعداد لأجل الاستعداد لاحتضان عاصمة الدولة المهدوية المباركة، وليس بالضرورة أن تكون هذه البلاءات التي تحل بمجتمع ما ضرباً من ضروب العقوبة بل قد تكون لأجل الإعداد والتربية والتأهيل الرباني، كما لا يمنع ما ذكرناه من وجود أسباب أخرى أدت إلى حلول هذه البلاءات.

وفيما يلي نذكر بعض الروايات الشريفة الواردة في مصادر الفريقين والتي تُبين مكانة العراق وشعبه حيال النهضة المهدوية المباركة أبان الظهور الميمون:

- روي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (يملك المهدي أمر الناس سبعاً أو عشراً. أسعد الناس به أهل الكوفة). [١]

- روي عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام): (كأني بالقائم (عليه السلام) على نجف الكوفة، قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة. جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله والمؤمنون بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاد). [٢]

- وروي عن الإمام الصادق(عليه السلام): قال بعدما ذُكر مسجد السهلة: (أما أنه منزل صاحبنا إذا قدم بأهله). [٣]

- وري عن الإمام الباقر (عليه السلام): (يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت، فتصفو له. ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب، فلا يدري الناس ما يقول، من البكاء،

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي ، ص٥٣١.

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي، ج ٥٢ ، ص٣٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣١.

فإذا كانت الجمعة الثانية سأله الناس أن يصلي بهم الجمعة. فيأمر أن يخط له مسجد على الغري ويصلي بهم هناك. .).[١]

كما أكد المرجع اليعقوبي (دام ظله) ما ذكرناه آنفاً بقوله: (إنّ العراق يثبت جدارته لاحتضان الإمام الموعود (عليه السلام) واستعداده الكامل لتحمل كلّ أنواع الصعوبات معه، وهذا سر المعاناة التي يمر بها مجتمعنا؛ لأنهّ المجتمع الذي يحتضن الإمام (عليه السلام) لا ما يشاع من أنّ العراقي مستحق للعذاب لخبث أفعاله وسوء معدنه، فهذه فكرة أنشأها فينا أعداؤنا ليفقدونا الثقة بأنفسنا[٢]، وإلاّ فقد جرب الذين اختلطوا بمختلف الشعوب أنّ العراقيين هم أطيب قلباً وأكرم أخلاقاً وأكثر استجابة لداعي الدين والتمسك به).[٣]

وعموماً فإن الشعب العراقي يتمتع بخصال اجتماعية ونفسية راقية تميزه عن سائر شعوب العالم، وإن الزيارات الحسينية المليونية لا سيما الزيارة الأربعينية في العشرين من شهر صفر أظهرت وبكل وضوح بعض الصور المشرقة من هذا الجانب في

---

(١) إعلام الورى، العلامة الطبرسي، ص ٤٣٠.

(٢) أشاع البعض أن الإمام علي(عليه السلام) قال في المجتمع العراقي: (يا أهل العراق يأهل الشقاق والنفاق) في حين إن الإمام(عليه السلام) لم يثبت أنه قال ذلك، بل قال على خلاف ذلك، وإن الذي قال ذلك هو؛ الحجّاج الثقفي فكان أوّل ما نطق به في أوّل لقاء جمعه مع أهل الكوفة، قوله لهم: «إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنّي لصاحبها، وكأنّي أنظر إلى الدماء، وإنّها لترقرق بين العمائم واللحى. . . واعلموا أنّي لا أعِد إلّا وفيت، ولا أقول إلّا أمضيت، ولا أدنو إلّا فهمت، ولا أبعد إلّا سمعت، فإيّاكم وهذه الهنات والجماعات والبطالات، وقال وقيل وماذا يقول، وأمر فلان إلى ماذا يؤول. وما أنتم يا أهل العراق ويا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق. . . الخ. ينظر موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للشيخ نجاح الطائي.

(٣) نحن والغرب، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

شخصية الفرد العراقي كالكرم والتضحية وحُب خدمة الناس وعمق الولاء لأهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) والشجاعة والغيرة وغيرها من الصفات التي هي في الحقيقة كمالات أخلاقية ونفسية أساسية للمؤمن المهدوي المُنتظِر.

المعالم الحضارية لدولة الإمام المهدي الموعود (عليه السلام)

إن أفضل دولة على الإطلاق وبلا منازع سوف تشهدها الدنيا منذ زمن أبينا آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة هي دولة الإمام المهدي الموعود (عليه السلام)، ونقصد بأفضليتها هو أنها سوف تكون من جميع الجهات والمجالات دولة متقدمة ومتحضرة سواء في المجال الأخلاقي والمجال العلمي والمجال الأمني والمجال الاقتصادي والمجال العمراني والمجال العسكري وغير ذلك، وهذه الحقيقة أكدتها روايات المعصومين (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) والتي وردت بغزارة في هذا الصدد، حيث بينت شيئًا من المعالم المتكاملة للدولة المهدوية المباركة، التي ستطبق أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء الذي هو دين الله الحق في شرق الأرض وغربها، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة، ٣٣)[1]

---

(١) ورد في تفسير نور الثقلين للشيخ العروسي الحويزي ، ج٢، ص (٢١١-٢١٢): (في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى أبي بصير قال: قال ابو عبدالله (عليه السلام) في قوله عز وجل : هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فقال : والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام ، فاذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام الا كره خروجه ، حتى لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت : يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله).

وجاء فيه أيضاً ص(٢١٢): (. . عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : قلت : " هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق " قال : هو الذي امر رسوله بالولاية لوصيه ، والولاية هي دين الحق ، قلت : " ليظهره على الدين كله " قال : يظهر على جميع الأديان عند قيام القائم. . .). ونقل عن تفسير العياشي عن أبي

وهذا ما لم يتسنَ لأي أحدٍ من تحقيقه سواء من قِبل الأنبياء والأوصياء (عليهم الصلاة والسلام) أو من قِبل أحد الملوك الصالحين فضلاً عن غيرهم.

وقد أشار المرجع اليعقوبي وفقاً للروايات الشريفة إلى المعالم الحضارية للدولة المهدوية وبيَّن بعض خصائصها المتميزة، حيث قال (دام ظله): (ترسم الروايات الكثيرة صورة حضارية راقية حين تبيّن معالم دولة الإمام الموعود (أرواحنا له الفداء) فعلى صعيد الرفاه الاقتصادي يقول أبو عبد الله (عليه السلام): (إن قائمنا إذا قام اشرقت الأرض بنور ربها واستغنى الناس عن ضوء الشمس وذهبت الظلمة، وتظهر الارض كنوزها حتى يراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ منه زكاته فلا يجد احداً يقبل منه ذلك، استغنى الناس بما رزقهم الله من فضله)[1]. وعلى صعيد الاستقرار الأمني يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولا خرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام، لا تضع قدميها إلا على النبات، وعلى رأسها زبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه)[2].

أما على صعيد الرقي العلمي فيقول الإمام الصادق (عليه السلام): (العلم سبعة وعشرون

المقدام عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله : (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " يكون أن لا يبقى أحد ، الا أقر بمحمد صلى الله عليه واله).

وجاء في ج٥، ص (٧٦) منه نقلاً عن تفسير على بن ابراهيم : (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا يعنى فتح خيبر لان رسول الله صلى الله عليه وآله لما رجع من حديبية غزا خيبر ، وقوله عز وجل : هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الامام الذى يظهره الله عز وجل على الدين كله فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وهذا مما ذكرنا ان تأويله بعد تنزيله).

(١) بحار الأنوار: ج ٥٢ / ص ٣٣٧

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٥٢ – ص ٣١٦

جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل جُزءان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الجزئين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً، فبثَّها في الناس وضمّ إليها الجزئين، حتّى يبثّها سبعة وعشرين جزءاً)[١] . هذه بعض الصور الحضارية لدولة الإمام (عليه السلام) وهي مهمة لتحقيق السعادة للبشر إلا أن الظاهرة الأكمل والأبرز هي الكشف عن الكفاءات المخلصة التي تقود العباد والبلاد إلى الكمال والرقي فيمكّنها في دولته المباركة). [٢]

وقال (دام ظله) في خطاب آخر حول نظام دولة الإمام المهدي (عليه السلام) عند ظهوره المقدس أنها سوف تكون (دولة مؤسسات تقوم على أساس توزيع الاستحقاقات على أهلها ووضع الشخص في الموقع المناسب بلا مجاملة ولا مداهنة، والظاهر أنه (عليه السلام) سوف لا يبني دولته بالطرق الإعجازية ولا بالسيف والتدمير وقطع الرقاب وإهلاك الحرث والنسل، كما يفعله الإرهابيون اليوم ليشوهوا صورة الإسلام، ولينفروا البشرية من كل داعية مصلح، وإنما يسير بسيرة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث بدأ بدعوته المباركة وحيداً فآمن به واستضاء بنوره وسارع إلى تصديقه الطاهرون ذوو القلوب السليمة والمعرفة العميقة، وانتشرت دعوته حتى ملأت الخافقين وعجزت عن مواجهته أعتى القوى المستكبرة). [٣]

ونذكر فيما يلي وإتماماً للفائدة بعض الروايات الشريفة الأخرى المروية عن النبي الأعظم وأئمة الهدى (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) التي تُبين بعض معالم هذه

---

(١) البحار: ٢٣٦/٢٥/باب ٢٧/ح ٧٣.

(٢) خطاب المرحلة، ج١١، ص(٢٩١-٢٩٣)، خطاب رقم(٥٩٠): (المعالم الحضارية لدولة الامام الموعود (عليه السلام).

(٣) خطاب المرحلة، ج٣، ص٤٣٠، خطاب رقم (٦٥): (ما الذي ينتظره الإمام المهدي (عليه السلام) من شيعته).

الدولة المباركة، نقلاً عما أورده السيد الشهيد الصدر الثاني (رضوان الله تعالى عليه) في موسوعته المهدوية في الجزء الثالث منها، صفحة (٥٤١) وما بعدها، ونقلاً عن مصادر الفريقين:

فمن أخبار العامة ورد ما يلي:

ما أخرجه البخاري[١] بسنده عن أبي موسى عنه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها... الحديث.

وما أخرجه أيضاً[٢] عن أبي هريرة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا تقوم الساعة – وعد علامات كثيرة حتى قال –: وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم ربّ المال من يقبل صدقته. وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به.

وما أخرجه مسلم[٣] بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): والله، لينزلن ابن مريم، إلى أن قال: ليدعون إلى المال، فلا يقبله أحد.

وما أخرجه أيضاً[٤] بسنده عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً، لا يعده عداً. وفي خبر آخر عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله، قالا: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده.

وأخرجه الحاكم أيضاً[٥] عن أبي سعيد في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيه: فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى ساكن

---

(١) جـ٢ ص١٣٦.

(٢) جـ٩ ص٧٤.

(٣) جـ١ص٩٤.

(٤) جـ٨ص١٨٥.

(٥) جـ٤ ص٤٦٥.

السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبته عليهم مدراراً. . . تتمنى الأحياء والأموات مما صنع الله عزّ وجلّ بأهل الأرض من خيره. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخرجه أيضاً[١] عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع وإلا فتسع، تنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها قط. تؤتي الأرض أكلها لا تدخر عنهم شيئاً. والمال يومئذ كدوس. يقوم الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني فيقول: خذ.

وأخرج أيضاً[٢] عن ابن عباس، في حديث، قال: وأما المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، تأمن البهائم والسباع وتلقى الأرض أفلاذ أكبادها، قال: قلت: وما أفلاذ أكبادها؟ قال: أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

وأخرج ايضاً[٣] عن أبي سعيد: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية وتعظم الأمة. . . الحديث. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخرج الترمذي[٤] بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): تفيء الأرض أفلاذ أكبادها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، قال: فيجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ويجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا

---

(١) جـ٤ ص٥٥٨.

(٢) جـ٤ ص٥١٤.

(٣) جـ٤ ص٥٥٨.

(٤) جـ٣ ص٣٣٤.

قطعت رحمي، ثم يدعونه ولا يأخذون منه شيئاً.

وأخرج القندوزي في الينابيع[١] عن الترمذي عن أبي سعيد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصة المهدي: فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله.

وأخرج أيضاً[٢] عن أحمد والماوردي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أبشروا بالمهدي؟ رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجورا، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال بالسوية، ويملأ قلوب أمة محمد غناه ويسعهم عدله، حتى أنه يأمر منادياً فينادي: من له حاجة إلى المال يأتيه، فما يأتيه أحد، إلا رجل واحد يأتيه، فيقول له المهدي: أئت السادن حتى يؤتيك. فيأتيه فيقول: أنا رسول المهدي، أرسلني إليك لتعطيني. فيقول: احث، فيحثو، فلا يستطيع أن يحمله، فيخرج، فيندم، فيقول: أنا كنت اجشع الأمة نفساً، كلهم دعي إلى هذا المال فتركوه غيري، فيرد عليه، فيقول السادن: انا لا نقبل شيئاً أعطيناه. . . الحديث. وقال في الينابيع[٣]: وفي بعض الآثار. . . أنه يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، وتظهر له الكنوز ولا يبقى في الأرض خراب إلا يعمر.

وأما أخبار المصادر الخاصة، فهي كما يلي:

فمن ذلك: ما أخرجه المفيد في الإرشاد[٤] عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه ذكر المهدي (عليه السلام) وخطبته الأولى في مسجد الكوفة. وقال: فإذا كانت الجمعة الثانية، سأله الناس

---

(١) ص٥١٧ ط النجف.

(٢) ص٥٦٢ وما بعدها. وانظر الحاوي للسيوطي، جـ٢ ص١٢٤.

(٣) ص٥٦٣.

(٤) ص٣٤١.

أن يصلي بهم الجمعة، فيأمر أن يخط له مسجد على الغري، ويصلي بهم هناك، ثم يأمر من يحفر من ظهر مشهد الحسين (عليه السلام) نهراً يجري إلى الغريين، حتى ينزل الماء في النجف ويعمل على فوهته القناطير والأرحاء. فكأني بالعجوز على رأسها مكتل فيه برّ، تأتي تلك الأرحاء فتطحنه بلا كري.

وأخرج عن المفضل بن عمر[١] قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إذا قام قائم آل محمد (عليه السلام) بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهري كربلا.

وأخرج الصدوق في إكمال الدين[٢] والطبرسي في إعلام الورى[٣] عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يقول: القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز... ولا يبقى في الأرض خراب إلا عُمِّر.

أخرج الطبرسي أيضاً[٤] عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله يقول: إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً... إلى ان قال: وإن الله سيجري سنته في القائم من ولدي... ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها وينصره بالرعب ويملأ الأرض به عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً.

وأخرج ايضاً[٥] عن علي بن عقبة عن أبيه، قال: إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت السبل وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كل حق إلى أهله...

---

(١) ص٣٤٢.

(٢) انظر المصدر المخطوط.

(٣) ص٤٣٣.

(٤) ص٤١٣.

(٥) ص٤٣٢.

فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي زينتها، فلا يجد الرجل منكم موضعاً لصدقته ولا لبره، لشمول الغنى جميع المؤمنين. . . الحديث.

كما علَّق السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس الله سره) على هذه الروايات الشريفة التي تناولت مختلف معالم الدولة المهدوية المباركة بما يلي:

(في السياسة الزراعية التي يتبعها الإمام المهدي (عليه السلام) في دولته. . نستطيع أن نحيط علماً ببعض نتائجها وأساليبها من الأخبار السابقة، حيث نصت على ان الأرض تؤتي أكلها لا تدخر منه شيئاً، وهو كناية عن أن إنبات الأرض للنبات سيكون إلى أكبر حد ممكن يتحمله وجه البسيطة "حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلا على النبات"، ومن يخفى عليه حال هذه الصحراء التي تتوسط العراق والأردن والشام ونجد. . . إنها صحراء ضخمة موحشة وجافة، لكنها ستصبح يانعة بالأشجار والثمار في أقل مدة ممكنة. وما هذا إلا مثال واحد من العالم كله، وإنما نصت عليه الأخبار، باعتبار قربه إلى أذهان المجتمع السامع لهذه النصوص في عصر صدورها، وليس ذلك باعتبار الإنحصار. فإن دولة المهدي (عليه السلام) عالمية، وجهوده وجهود المخلصين في دولته شاملة لكل العالم على حد سواء، فمن الطبيعي أن نتصور ان هذه الصحراء ليست هي الصحراء الوحيدة التي ستصبح خضراء، وإنما ستخضر كل الصحاري في العالم بما فيها الربع الخالي والصحراء الكبرى في شمال إفريقيا وغيرها. وإذا كان هذا هو شأن الصحاري، فما هو شأن الأراضي التي كانت خصبة منذ عهد ما قبل الظهور. وما هو مقدار إنتاجها وإسباغ النعمة منها. إن هذا لا يمكن لمفكر بشري سابق على الظهور أن يقدره. وعلى أي حال، فما هو العنصر المسبب لهذا الإنقلاب الزراعي الشامل؟ نستطيع أن نوعز - بعد عنصر التساوق بين التشريع والتكوين الذي الذي سنتحدث عنه في جهة قادمة من هذا الفصل - نستطيع أن

نوعزه إلى الإخلاص الحقيقي في العمل) إلى أن قال (قُدِّسَ سِرُّهُ): (وستؤدي هذه الثورة الزراعية طبقاً لأيديولوجية الدولة المهدوية، إلى عدة نتائج مهمة، نفهم بعضها:

منها: توفر الأطعمة والثمار لدى الناس، مع رخص قيمتها السوقية، بل توفرها مجاناً للكثير من الناس.

ومنها: توفير العمل المنتج للعديد من الأيدي العاملة، وبالتالي إشباع الملايين من العوائل التي كانت فقيرة ومضطهدة في عهد ما قبل الظهور.

ومنها: توفير الفرص الكبيرة لإزجاء الحاجات الحياتية مجاناً، وبدون عوض. وبذلك نستطيع أن تصور حصول النتيجة المهمة الكبرى المطلوبة، وهي توفير السعادة والرفاه في ربوع المجتمع البشري). [1]

أما السياسة العمرانية في الدولة المهدوية فقد قال (قدس الله سره) عنها: (ونحن نرى نتائج السياسة واضحة فيما سمعنا من الأخبار، فبيوت الكوفة سوف تتصل بكربلاء والحيرة، ويكون الجميع بلدة واحدة، وهي من السعة بحيث لو ركب شخص بغلة سفواء – أي سريعة السير – من صبح يوم الجمعة قاصداً المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة ظهراً لأجل حضور هذه الصلاة، لم يدركها، وإذا كان هذا الشخص قد توجه من أحد أطراف هذه المدينة، فالمسجد على أي حال، ليس في طرفها الآخر، بل في وسطها، ومن هنا نعرف أن هذه المسافة التي يمشيها هذا الرجل ببغلته السريعة، ليست إلا قسماً من البلدة، ولا يمثل أكثرها فضلاً عن جميعها. وهذا أيضاً من التنبؤات الطريفة في الأخبار، فإن سعة المدن بهذا المقدار، لم تكن معروفة بأي حال في الزمن القديم، بل لعل مجرد تصورها كان فوق الخيال، وأما الآن، فهو يعتبر

---

(١) موسوعة الإمام المهدي (عليه السلام)، السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)، ج٣، تأريخ ما بعد الظهور، ص(٥٥١ – ٥٥٣).

أمراً طبيعياً، خاصة في العواصم الأخرى كيف والكوفة ستصبح عاصمة للعالم كله، تحت راية الدولة المهدوية فمن الطبيعي لها ان تتسع بهذا المقدار).[١]

أما السياسة المالية للدولة المهدوية المباركة، فقد علَّق (قدس سره) قائلاً: (...وأول ما يواجهنا في الاخبار المستفيضة من الفريقين، هو ما نصت عليه من وفرة المال وكثرته بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ وان الافراد كلهم يكونون من الغنى المالي. بحيث قد يكون للرجل زكاة أو صدقة، فيبحث عن الفقير لكي يعطيها، فلا يجد فيعرضها على الناس فيرفضون اخذها استغناء. وان الامام المهدي (عليه السلام) يعرض الاموال أمام الناس ويعلن التوزيع المجاني، لكي يحمل كل فرد منهم ما يستطيع حمله. الا ان الناس لا يرغبون به ولا يأخذون منه شيئاً، غير واحد يأتي ويأخذ ثم يندم لأنه أصبح الوحيد الطامع بالمال، ثم يحاول إرجاعه فيرفض طلبه. وكلا هاتين الصورتين المعروضتين في الأخبار، صريحتان في شمول الغنى المالي الواسع لكل الناس في المجتمع، وأن المال والذهب والفضة والأحجار الكريمة قد سقطت عن الرغبة الإجتماعية، باعتبار توفرها كالماء والتراب).[٢]

كما لخَّص السيد الشهيد (قدس سره) معالم الدولة المهدوية المباركة وفقاً لما نصت عليه الأخبار الشريفة بعدة نقاط وهي كما يلي:

(الصورة الأولى: سهولة استخراج المعادن بشكل خارج عن الحسبان، سواء فهمناها من زاوية إعجازية أو من زاوية طبيعية، وقد تحدثنا عن ذلك.

الصورة الثانية: اتساع الزراعة والأراضي المزروعة بشكل عظيم لم يسبق له مثيل. "لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبته".

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص(٥٥٧-٥٥٨).

الصورة الثالثة: ارتفاع الدخل الفردي بشكل لا مثيل له، إلى حد ينغلق الطمع بالمال الزائد تماماً، كما صرحت به الروايات.

الصورة الرابعة: أنه (عليه السلام) "تطوى له الأرض" وهو تعبير عن سرعة الوصول إلى المكان البعيد، إما بشكل إعجازي أو بشكل طبيعي، كما سنتحدث عنه غير بعيد.

الصورة الخامسة: شمول الأخوة لكل الناس وعموم الصفاء بينهم جميعاً، الأمر الذي لم يحدث في أي نظام آخر، كما نصت عليه أخبار الفريقين.

الصورة السادسة: إن الأمن والصفاء لا يشمل البشر فقط، بل يشمل الحيوانات أيضاً: البهائم والسباع "واصطلحت السباع والبهائم" فيما بينها. وهي لا تضر الإنسان أيضاً "لا يهيجها سبع ولا تخافه"). [١]

(١) المصدر نفسه، ص٥٦٦.

قُرب الظهور أو عدمه ومدى تحقق شروطه وعلاماته وأيهما ينبغي الاهتمام بها أكثر

شغلت مسألة قُرب ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) أو عدمه بال الكثيرين من المراقبين والمنتظِرين سواء من المؤمنين بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) والمنتظرين لأمره أو من المعادين له والمتربصين به. وقد طُرحت في مسألة قُرب موعد ظهور الإمام (عليه السلام) العديد من الآراء ووجهات النظر، إلى درجة أن بعضهم قد وقع في حد الافراط فأساء لنفسه وللمذهب الشريف، بسبب هذه التصريحات المستعجلة وغير المسؤولية وغير الواعية، في حين إن رجالات العلم والفكر الحصيف، ممن درسوا الأوضاع الراهنة، وممن لهم إلمام متميز بالقضية المهدوية كمرجعنا اليعقوبي (دام ظله) فإن له رأيّاً خاصاً بهذه المسألة وله أيضاً توجيه وتنبيه مهم لمن يهتم بمسألة قُرب الظهور المقدس، ولكن قبل أن نذكر ما هو هذا التنبيه وهذا التوجيه، فلنُفصِح أولاً عن رأيه (دام ظله) بهذا الصدد ، فهل يُعَد (دام ظله) مِمن يقول بقُرب الظهور المبارك، أم لا؟ وجواب هذا السؤال وارد في بعض كتبه ومحاضراته حيث قال (دام ظله):

- (إن اليوم الموعود للظهور المبارك قد قَرُب بشكل ملحوظ). [١]
- (إننا نقترب بسرعة من يوم الظهور المبارك لبقية الله الأعظم). [٢]
- (ها هم مثقفوهم ومفكروهم (أي المجتمع الغربي) ينادون بأن الحل الوحيد لهذا الضياع وعلاج الأمراض الفتاكة كالإيدز هو العودة إلى القيم الروحية والالتزام بها

(١) يُنظر كتاب (نحن والغرب) وكتاب (شكوى الإمام (عليه السلام)).

(٢) يُنظر كتاب (الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين) وكتاب (نحن والغرب).

وتربية الناس على الأخلاق الفاضلة، هذه كلها إرهاصات ومقدمات الظهور الميمون المبارك لإقامة دولة العدل، وما علينا إلا التمسك بديننا القويم وتجسيد مبادئه الإلهية الكفيلة بتوفير السعادة للإنسان في الدارين حتى يقتنع الآخرون بان الحل الوحيد لعلاج البشرية هو الإسلام). [١]

● (.. وها هي إرهاصات ظهوره المبارك تتوالى فصوت أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) طرق سمع كل بقاع الأرض، والإقبال على مذهبهم الشريف في تزايد سريع، وها هي الشعوب تتحرر وتُسقِط الطواغيت بسرعة عجيبة لم يكن يتوقعها أحد بعد أن جثموا على صدور شعوبّهم وكبلوهم بالحديد والنار على مدى ثلاثة عقود وأربعة، وهذه الحرية النسبية للشعوب ستتيح الفرصة لأتباع أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) أن يتحركوا ويتمكنوا بمقدار ما يسمح لهم بإيصال صوت الحق الذي هو كافٍ بذاته لإقناع الناس كما قال الإمام (عليهم الصلاة والسلام): (فان الناس لو سمعوا محاسن كلامنا لاتبعونا)، لقد كان الكثير يستغرب مما في الدعاء الشريف (اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى أبائه) بقوله (وتسكنه أرضك طوعاً) إذ كيف يمكن أن يبسط الإمام (عليه السلام) دولته الكريمة على الأرض طوعاً وسلماً وكيف سيتركه هؤلاء الطواغيت المفسدون يتحرك بحرية، لكن أحداث الأيام الحالية جاءتنا بالجواب فهذه الفضائيات التي أوصلت صوت أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) إلى العالم، وهذه المعرفة التي حصلت لجميع البشر بسمو تعاليم أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وطهارتهم، وهذه الحركات التحررية[٢] التي مرّغت أنوف المستكبرين بالوحل جعلت هذه الفقرة

(١) خطاب المرحلة، ج٣، خطاب بعنوان: (الغرب والإمام المهدي (عجل الله فرجه).

(٢) المراد بها ثورات التغيير العربي التي أطاحت بعدد من الأنظمة الطاغوتية المتفرعنة في تونس ومصر

ممكنة التحقق والقبول بإذن الله تعالى). [١]

وفيما يلي نذكر التنبيهات والتوجيهات التي طرحها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) للمهتمين بمسألة علامات الظهور أكثر من اهتمامهم بشرائطه، والتي ينبغي الاهتمام بها بشكل جدي والعمل على تحقيقها على أرض الواقع قدر المستطاع، بدلاً من الاكتفاء بمراقبة واحصاء العلامات الدالة على قُرب الظهور، مع بياننا للفروقات بين علامات الظهور وشرائطه:

١.إن الشرائط تُعد علة حقيقية للظهور بخلاف العلامات فهي ليست كذلك بل إن العلامات كاشفة ودالة عليه فحسب، قال سماحته (دام ظله): (أول وأهم فرق يستفاد من تعريفهما فإن الشرط ما كان له مدخلية في تحقيق المشروط على نحو العلّية فان وجود النار وحده غير كافٍ لإحراق الأشياء من دون شرط الإحراق وهي المماسة والمحاذاة ويستحيل وجود المشروط وهو الظهور من دون شرطه وإذا تحقق الظهور من دونه فانه يستلزم فشله ، أما العلامة فليس لها دخل عِلّي وسببي في تحقق الشيء ولكنها تفيد الكشف والدلالة على حصوله كوجود الدخان الدال على النار فانه يمكن أن توجد النار بلا دخان ولكن وجود الدخان كاشف عن وجود النار فلا ضرورة لحصول العلامات من هذه الجهة وانما يجب تحققها قبل الظهور من جهة أخرى هي لكيلا يستلزم كذب إخبار الإمام (عليه السلام) والنتيجة إن ارتباط الظهور بالشرائط ارتباط واقعي لأنها تدخل ضمن العلة والسبب له أما ارتباطه بالعلامات فهو ارتباط ظاهري بمعنى الكشف والإعلام). [٢]

وليبيا واليمن، ولا زالت تغلي على غيرها.

(١) خطاب المرحلة، ج٧، ص(٢٠-٢٢)، خطاب رقم (٢٨٤): (بين إرهاصات النبوة والظهور المبارك).

(٢) شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي.

٢. إن الشرائط غير قابلة للبداء في حين أن العلامات قابلة لذلك، فيمكن أن يحصل الظهور المقدس للإمام (عليه السلام) ولما تتحقق جملة من العلامات، وهذا ما أكده سماحته (دام ظله) بقوله: (قد يقال بتحقق جملة من علاماته، والأهم من ذلك توفر شروطه، فإن العلامات قد يحصل فيها البداء كما إنها واردة بألفاظ مجملة ورمزية وقابلة للانطباق على كثيرين، فالمهم مراعاة الشروط، لأن الشرط جزء من أجزاء العلة التامة، فلا بدَّ من اكتمالها، ولا أريد الدخول في بيان التفاصيل فإنها موكولة إلى كتاب شكوى الإمام (عليه السلام) بنحو الإجمال). [١]

٣. إن العلامات تلتزم بـ(أسلوب الكناية والرمزية وحينئذٍ تختلف التفسيرات ولا يمكن الجزم بأحدها ومنها أخبار الأعور الدّجال الذي هو من العلامات الرئيسية قبل الظهور). [٢]

٤. لأجل تحقق الشرائط لابد على أبناء المجتمع المنتظِر للإمام المهدي (عليه السلام) العمل الدؤوب لإصلاح ذواتهم وتكميلها أخلاقياً ونفسياً وتوعوياً وفكرياً وثقافياً، حتى يكونوا مستحقين لنعمة الظهور، في حين أن العلامات تعد أمراً خارجاً عن دائرة تكليفهم، وهذه النقطة أيضاً أشار إليها سماحته (دام ظله) ولم يغفل عن أهميتها، حيث قال: (إن العلامات غير اختيارية لنا إما الشروط ونقصد بالذات الشرط الرئيسي وهو إعداد النفس لتتأهل لنصرة الإمام (عليه السلام) فهي اختيارية، فالأولى غير واقعة ضمن التكليف عكس الثانية ونحن يهمنا معرفة تكليفنا وما يجب علينا فعله)[٣]، لذا علينا أن نسعى بكل جهدنا وبكل قضنا وقضيضنا لأجل تقريب يوم الظهور المقدس من خلال المساهمة الفاعلة في تحقيق شروطه، والتي منها؛ (وصول

---

(١)شكوى الإمام (عليه السلام)، المرجع اليعقوبي.

(٢)المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

البشرية إلى قناعة كاملة بالإسلام. . والقناعة بالإسلام كنظام ورؤية للحياة لا تنفك عن القناعة بسلوك حامليه ومعتنقيه، فكلما كان التطبيق أكثر صدقاً كان أسرع في حصول هذه القناعة، وقد وردت التطمينات بأن الإسلام لا يحتاج إلى جهد كبير من أبنائه لتحصل قناعة الآخرين به، لأنه يغلب العقول ويفتح القلوب بلا عناء كثير، بخلاف المبادئ الأرضية التي لا تستطيع أن تُحَصّل هذه النتيجة بكل أساليب الإغراء أو البطش والتهديد، وقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): (إن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا) والتأريخ شاهد على ذلك، فإن المغول –وهم أكثر الشعوب وحشية– ما لبثوا أن دخلوا الإسلام بعد أن اكتسحوا بلاده قتلاً ونهباً وتدميراً، وها هو ذا الغرب ينتابه القلق من إقبال أبنائه على الإسلام). [١]

٥. ضعف الروايات الدالة على العلامات وإن أمكن قبول بعضها باعتبار تأييد بعضها لبعض. [٢]

٦. اختلاف مضامين الروايات التي تناولت ذكر علامات الظهور في التفاصيل. [٣]

٧. قابلية انطباق مصاديق العلامات على أمور كثيرة. [٤]

٨. وقال المرجع اليعقوبي (دام ظله) أيضاً: (إن تحقيق العلامات بل الظهور نفسه لا

---

(١) نحن والغرب، المرجع اليعقوبي.

(٢) إذا تجمعت وكثرت عدة روايات على علامة واحدة فإنه يحصل الاطمئنان بها. يُنظر المصدر نفسه.

(٣) يُنظر المصدر نفسه. ولعل المراد من قوله (دام ظله) هو ان الروايات الشريفة التي تعرضت لبيان علامات الظهور فيها تعارض ظاهري واختلاف في بيان تفاصيل العلامات الذي قد يسبب التباساً وعدم وضوح بالنسبة لعامة الناس.

(٤) يُنظر المصدر نفسه. كمقتل السيد الحسني، فإن العشرات من ذرية الإمام الحسن(عليه السلام) ثاروا في أيام الدولة الأموية والعباسية وانتهوا إلى الشهادة وقتل كثير غيرهم من بني الحسن(عليه السلام) أو علامة نزول الترك الجزيرة (أي ما بين النهرين من العراق) وقد نزلوها كثيراً خصوصاً أيام الاحتلال العثماني وكذا خروج الرايات السود من الشرق التي طبقت على أحداث كثيرة عبر التاريخ .

ينفعنا إن لم نكن من أهل التقى والإيمان والإخلاص والعمل الصالح لنحظى بنصرة الإمام (عليه السلام) فعلينا أن نفكر في كيفية وصولنا إلى هذه المرتبة ولنساهم في تحقيق شرط الظهور وإلا سيكون ظهور الإمام(عليه السلام) قاصماً لظهورنا فاستمعوا بتدبر لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ فأحد مصاديق الفتح هو يوم الظهور المبارك وحينئذ لا ينتفع به إلا من هذّب نفسه وآمن وعمل صالحاً وهو المعنى الحقيقي للانتظار.[١]

ومن الجدير بالذكر والتنويه إننا بهذا الكلام لا نريد إلغاء دور العلامات والبت بعدم أهميتها، وإلا لماذا ركّز عليها المعصومون (عليهم الصلاة والسلام) بهذه الكثرة من الأحاديث، فتبقى لها أهميتها من عدة جهات، وإنما نريد منه إلفات نظر المجتمع لموقع الأهمية الكبيرة التي تتسنمه شرائط الظهور، وتنبيههم من الغفلة والتقصير بالعمل لتحقيق هذه الشرائط. كما ينبغي أن يكون الهدف الأسمى للمنتظِر النموذجي هو تحقيق الشرائط لأن (الصحيح الاهتمام بشروط الظهور الميمون لا علاماته)[٢] ومع ذلك فإن للعلامات عدة فوائد مرجوة إذا ما تحقق بعضها أو كلها، ومن جملة هذه الفوائد هو ما ذكره سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في كتابيه (شكوى الإمام (عليه السلام) و(نحن والغرب)، ونحن نذكرها هنا بتصرف وإضافة، وهي كما يلي:

١.إنها تُسهم في بيان أحقية مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ومصداقية القضية المهدوية، لأن فيها مظهراً من مظاهر الإعجاز، وإخباراً عن الغيب فتحققها وصدق وقوعها يثبت

(١) نحن والغرب، المرجع اليعقوبي.

(٢) يُنظر المصدر نفسه.

مصداقية أهل البيت (عليهم السلام) الذين أخبروا الناس ومنذ مئات السنين عن وقوع هذه العلامات في المستقبل.

٢.إن فيها جانباً من جوانب تأييد مجتمع المنتظِرين ورفعاً لمعنوياتهم وتثبيتاً لعقيدتهم الحقة، وهي بمثابة محطات لتجديد الأمل وبعث الروح في نفوس المظلومين والمستضعفين وكل من ينشد إلى بسط القسط والعدل على هذه الأرض.

٣.إن لها مدخلية في ايجاد حالة من الإحباط واليأس في نفوس أعداء الإمام المهدي (عليه السلام) واخافتهم من النصر الموعود والحتمي الآتي بإذن الله تعالى وعونه، على يد منقذ البشرية المهدي المنتظر (عليه السلام).

٤.إن تحقق العلامات تسهم بشكل أكبر في شحذ عزيمة المؤمنين بالإمام المهدي (عليه السلام) والساعين إلى نصرته وتدفعهم نحو مضاعفة الهمة والعزيمة لأجل الاستعداد لتحقيق الظهور الميمون، سواء على صعيد بناء النفس أو إصلاح المجتمع.

٥.إن بعض العلامات لها علاقة ضمنية ومدخلية بالشروط، كفتنة الدجال على سبيل المثال، فإنها مرحلة مهمة من مراحل التمحيص والغربلة التي وعدت بها الروايات الشريفة، كالرواية المنقولة عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد يأس ولا والله حتى تُمَيزوا ولا والله لا يأتيكم حتى تُمَحصوا، لا والله لا يأتيكم حتى يشفى من يشفى ويسعد من يسعد).

٦.إن هذه العلامات تكون موضع بحث ودراسة ونقاش من قبل المهتمين بظهور الإمام (عليه السلام) مما يؤدي إلى طرح نظريات كثيرة كلها تسهم بشكل أو بآخر في تسليط الضوء على قضية الإمام المهدي (عليه السلام) وتساهم في ديمومة ذكره بين أوساط الناس.[1]

وأردف المرجع اليعقوبي (دام ظله) قائلاً بعد سرده لبعض هذه الفوائد المتوخاة من

---

(١) يُنظر كتاب شكوى الإمام (عليه السلام) وكتاب نحن والغرب. الشيخ اليعقوبي، بتصرف وإضافة.

تحقق العلامات: (كما إن الكثير من العلامات مرتبطة بالظلم والانحراف الذي يسود البشرية قبل الظهور فكثرة الزلازل والفيضانات والكوارث الطبيعية هي بسبب سوء سلوك الناس ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لأن الكون خاضع لسنن إلهية ثابتة قائمة على أساس التوحيد ويرتبط بعضها ببعض خيراً وشراً. . . فيوجد ارتباط وتسلسل علل ومعلولات، يبدأ الناس بعصيان أوامر الله والخروج عن شريعته ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وإحدى نتائج ترك هذه الفريضة تسلّط الأشرار الذي لا يعرفون غير أنانيتهم ومصالحهم فيفسدون النظام الجاري في الطبيعة فتحصل الكوارث. وعلى العكس فيما لو ساد البشرية العدل فسيؤدي كل عنصر في هذا الكون وظيفته على أتم ما يكون وتنعم الدنيا كلها بثماره الطيبة. أما عدّها من العلامات دون الشروط فلوجهين:

الوجه الأول: إن الروايات نظرت إليها بهذا اللحاظ أي الكشف والدلالة عن الظهور.

الوجه الثاني: إنها ليست واقعة في علل الظهور بل هي من نتائج ومعلولات بعض علل الظهور). [1]

كما حذّر (دام ظله) من ظاهرة الجزم والقطع بقرب الظهور أو تحققه ضمن موعد معين أو مدة معينة، كما يفعله البعض للأسف الشديد، وفق رؤية قاصرة مستندة إلى حجج واهية، أو استناداً لحادثة أو حوادث تقع في المنطقة فيجزمون على أنها علامة من علامات الظهور، وهذه الظاهرة التي هي سمة مميزة لبعض المتصدين تأتي بمردودات عكسية على القضية المهدوية، بل على مذهب أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) برمته، ومن هذه التحذيرات التي أطلقها (دام ظله) في إحدى خطاباته المباركة هو قوله: (كثر الحديث والجدال هذه الأيام عن موعد وشيك للظهور

(١) يُنظر المصدر نفسه.

الميمون، وتحوّل كثير إلى محلّلين للأخبار وفلسفة الأحداث، وكثُر معه القلق من قادم الأيام خصوصاً مع تصاعد الأحداث في سوريا[١]، وما يتردد من تشكيل جيش السفياني ونحوه من التخرّصات التي تدخل في باب التوقيتات والرجم بالغيب وهي من الأمور المحرمة، وأقل ما يقال فيها أنها مضيعة للوقت. إنّ التعاطي مع هذه القضية المهدوية ليس وليد الساعة بل كان منذ أن بدأ المعصومون (عليهم الصلاة والسلام) يعلنون عن الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء)، وكان يساور القلق بعض الأصحاب أحياناً، خشية عدم الاهتداء إلى الموقف الصحيح، والإمام (عليه السلام) يطمئنهم بأن أمره (أبين من الشمس) فهل في الشمس الطالعة شك وارتياب؟). [٢]

(١) ضمن ما سمي بالربيع العربي الذي بدأه شباب على صفحات التواصل الاجتماعي، حددوا يوم ٢٠١١/٣/١٥ الموافق ٩/ع١٤٣٢/٢ ليعلنوا ثورتهم على النظام الحاكم في سوريا وامتدت الى المدن الأخرى وتحولت الى مواجهات مسلحة وأصبحت سوريا جاذبة للمجاميع الإرهابية من أكثر من ٥٠ بلداً في العالم وتجاوز عددهم (٧٠) ألفاً، ولا زالت المعارك الطاحنة مستمرة وتجري بعضها بين نفس الفصائل المسلحة وتحولت كثير من المدن الى ركام وقُتل وجرح مئات الآلاف وشُرِّد حوالي ٦ ملايين، وكانت الساحة العراقية أكثر الساحات المتضررة بالإرهاب.

(٢) خطاب المرحلة، ج٨، ص٨، خطاب رقم (٣٣٩): (إن أمر الإمام المهدي (عليه السلام) أبين من الشمس).

المفاهيم الرمزية في الروايات الشريفة الخاصة بالقضية المهدوية

استعمل النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) - بسبب محدودية فهم ووعي المعاصرين لهم - عنصر الرمزية في أحاديثهم الشريفة، لاسيما في الموضوعات التي تخص علل الشرائع والأحكام وكذلك الموضوعات التي تخص الأحداث المستقبلية ووقائع آخر الزمان، التي أهمها القضية المهدوية المباركة.

ومن الأسباب الأخرى التي جعلت المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) يستعملون هذا الاسلوب في تلك الأزمنة التي عاشوا فيها هو بدائية الحياة، وفقدانها لعناصر التقدم التقني والتكنلوجي، وقلة التعقيدات الحياتية التي ابتلينا بها اليوم في زماننا المعاصر، لذا فإنهم (عليهم الصلاة والسلام) بسبب ذلك أصبحوا بين ثلاثة أساليب يمكنهم تحديد أحدها كطريقة للحديث مع الناس لنشر علومهم ومعارفهم الإلهية، لاسيما الأحاديث ذات الطابع الخاص بالموضوعات التي ذكرناها، وهذه الأساليب هي:

الأسلوب الأول: أن يتحدث المعصوم (عليه السلام) مع المجتمع بلغة اليوم بما تحويه من مصطلحات ومفاهيم، ويُبين لهم حقائق الأمور كما هي دون استعمال الاسلوب المجازي وعنصر الرمزية في ايصال المعلومة، وهذا الأسلوب قطعاً سيؤدي إلى عدم فهم المجتمع آنذاك لأحاديث المعصوم (عليه السلام) فيتورطون بتكذيبه وانكار ما جاء به من حقائق وعلوم، لأن التحدث مع الناس بما يجهلون وبما هو أكبر من حجم ادراكهم ومستوى تفكيرهم واستيعابهم العقلي يؤدي إلى هذه النتيجة الخطيرة، وهذا ما حذرنا الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أنفسهم منه، فقد ورد عن الإمام أمير

المؤمنين(عليه السلام) أنه قال: (لا تحدث الجهال بما لا يعلمون فيكذبوك به فإن لعلمك عليك حقاً وحقه عليك بذله لمستحقه ومنعه من غير مستحقه). كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)، وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) مما يؤيد ذلك: (ما كلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العباد بكنه عقله قط). إذن يُعد هذا الأسلوب غير منتج، بل وفيه آثار سيئة.

الأسلوب الثاني: أو الطريقة الثانية في التعامل مع المجتمع حول هذه الموضوعات، هو أن يغض المعصوم (عليه السلام) الطرف عن بث العلوم والحقائق والأخبار المستقبلية، وأن يمتنع عن الإجابة - إذا سُئل عنها- ويلتزم بعدم التصريح بها، وهذا كما هو واضح فيه عدة نتائج سيئة أيضاً، منها؛ ضياع فرصة بث العلوم والمعارف الإلهية المكنون في صدورهم إلى المعاصرين لهم، بل وعدم وصول علومهم إلى الأجيال القادمة، وكذلك عدم ذكر ما يأخذ بيد المجتمعات للهداية ومعرفة معالم الدين والشريعة. والمحذور الآخر هو اتهام المعصوم (عليه السلام) بالجهل وعدم معرفته بحقائق الأشياء ومعالم الرسالة وعدم اهتدائه للإجابة عن أسئلة الناس، لاسيما الأسئلة الخاصة بالموضوعات التي أشرنا إليها سلفاً. كما توجد نتيجة خطيرة أخرى علاوة على ما تقدم وهي نقض الغرض من تنصيب الإمام المعصوم (عليه السلام) حجة ودليلاً للخلق، لأن الله سبحانه وتعالى إنما جعله إماماً على الناس لكي يكون حجة عليهم وهادياً ومعلماً لهم، وبخلاف ذلك لن يحقق المعصوم (عليه السلام) الأمر المراد منه وسينقض الغرض الأساسي الذي نصبه الله تعالى على الناس لأجله، وهذا مردود بكل تأكيد لأنه قبيح عقلاً وشرعاً ولا يمكن القول به مطلقاً.

الأسلوب الثالث: وهو الأسلوب الذي اتبعه المعصومون (عليهم السلام) وهو الحل الأمثل الذي يُبعد كل المحاذير والنتائج الخطيرة التي ذكرناها آنفاً. وطريقة هذا الأسلوب

هي مخاطبة المجتمعات المعاصرة لهم _ وكما بينا في بداية هذا الموضوع _ بلغة رمزية ومجازية يُفهم من ظاهره شيء ويستبطن في طياته شيئاً آخر . وبذلك يكون المعصوم (عليه السلام) قد أدلى بدلوه في بث علومه للناس ومن جهة أُخرى قد أشفى غليل السائلين وبيَّن لهم عِلل الأحكام وكشف النقاب عن الحوادث والوقائع المستقبلية ونحوها من الأمور، وبنفس الوقت يفسح المجال أمام الأجيال القادمة لفهم ما انطوت عليه مضامين أحاديثهم الشريفة، ممن يتحلون بفهم أعمق ووعي وإدراك أوسع، تبعاً لتغير نظم الحياة وتقدم علوم أهلها، ويمكن لهذه الأجيال القادمة بعد عصر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) أن يفهم علمائها والأوحدي من الناس الإشارات الرمزية والألفاظ المجازية في هذه الأحاديث الخاصة بهذا النمط من الموضوعات. فقد روي عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) ما يؤيد هذا الرأي، حيث نُقل عنه (عليه السلام) قوله: (حديث تدريه خير من ألف ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض[1] كلامنا، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً، لنا من جميعها المخرج)[2]، وروي عنه (عليه السلام) أيضاً: (أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا، إن الكلمة لتنصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب). [3]

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هذا الأسلوب الرمزي بما يحمله من عدة معاني، قد تكون كلها صحيحة وصادقة، وكل ما في الأمر هو أن نفهم من ظاهر الروايات أنها محمولة على المجاز ونفهم أن معناها الباطني محمول على الحقيقة _ كما يعبر أهل

(١) والمعاريض جمع المعراض، والمعراض التورية عن الشيء بشيء، جملة من مواردها والكلمات فيها.

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي، ج ٢ ، ص١٨٤.

(٣) معاني الاخبار، الشيخ الصدوق ، ج١، ص١.

المنطق _ فمما لا شك فيه أن تكون لمعاني الروايات الشريفة أكثر من فهم باطني ، ولكن لا يصل إليها إلا من فتح الله مسامع قلبه، وآتاه من رحمته الخاصة.[١]

(١) ومما لا شك فيه أن هذا كلام ينطبق تمام الانطباق وزيادة على الثقل الأكبر وهو القرآن الكريم وما تحمله آياته المباركة من علوم وأسرار، هذا الكتاب السماوي الذي يعاصر بعد نزوله كل الأجيال والأزمنة على اختلاف مستوياتها الثقافية وقابلياتها الفكرية والمعرفية إلى يوم القيامة، فإن للآيات القرآنية ظاهراً وباطناً، بل إن باطنه على حد تعبير بعض الروايات الشريفة له سبعة بطون وقيل له سبعون بطناً، أي أن الآية الواحدة قد تحمل معانٍ متعددة يفهمها كلٌ بحسب مستوى ووعيه وإدراكه وقابلياته الباطنية، ويؤيد ذلك القرآن الكريم نفسه، وكذلك النصوص الشريفة المروية عن أهل بيت العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم)، ونذكر منها، عن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) في وصفه للقرآن الكريم: (وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى). (الكافي، الشيخ الكليني، ص ٥٩٩). وعن الإمام الحسين(عليه السلام): (كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء على العبارة، والاشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء (عليهم السلام). (بحار الأنوار ، العلامة المجلسي، ج ٨٩، ص٢٠)، وعن الإمام زين العابدين(عليه السلام): (آيات القرآن خزائن العلم فكلما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر فيها). (المصدر نفسه، ص٢١٦). وروى الفضيل، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): قول الله في كتابه: (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً). قال (عليه السلام): (من حرق أو غرق) قلت: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، فقال (عليه السلام): (ذلك تأويلها الأعظم). (المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠). ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى قصة لطيفة ذكرها المرجع اليعقوبي (دام ظله) يحثنا من خلالها على تدبر آيات القرآن الكريم ولزوم التعمق في فهمها، ويُبين عظيم ما عليه كتاب الله العظيم من عمق وإعجاز بلاغي وبياني ودلالي، وهذه القصة هي؛ أن السيد محسن الحكيم نقل عن ثلاثة من كبار علماء الشيعة وهم السيد إسماعيل الصدر والسيد حسن الصدر والمحدث النوري صاحب مستدرك الوسائل، أنهم زاروا أحد العلماء في الليلة الأولى من شهر رمضان المبارك، ففسر لهم آية بتفسير وجدوه واضح الانطباق على الآية واستغربوا من عدم التفاتهم إليه، ثم زاروه في الليلة الثانية ففسر لهم نفس الآية بتفسير آخر بنفس الوضوح واستغربوا أيضاً من عدم التفاتهم، وهكذا إلى نهاية الشهر، فهذه معارف وعلوم القرآن الكريم وهذا لطف الله تبارك وتعالى بعباده المخلصين في إراءتهم هذه المعاني في

فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أو مدينة حصينة. قال عمرو: فقلت لشعيب - راوي الحديث -: يا أبا الحسن! وأي شيء المدينة الحصينة؟ قال: فقال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عنها فقال لي: القلب المجتمع). [١]

وبطبيعة الحال فإن الإمام المهدي (عليه السلام) سيطول عمره الشريف وسوف يعاصر أجيالاً عديدة ومختلفة، وهذه الأجيال يتطور مستواها الفكري والمعرفي والثقافي بطبيعة الحال يوماً بعد يوم حتى تصل ذروة تقدمها العلمي الفكري والعمراني إلى مستوى كبير، ومنه ما يشهد العالم اليوم من تقدم تكنلوجي وتقني، وقد أشارت الروايات الواردة عن النبي الأكرم وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) إلى ما يخص هذه الأزمنة وتصف حالها سواء تعلقت بالقضية المهدوية أو لا، ولكننا سنتطرق في حديثنا حول ما يخص الروايات الشريفة التي أشارت بشكل رمزي حول القضية المهدوية المباركة، لأن ذلك هو صميم موضوعنا وبحثنا، وسنذكر أيضاً رؤية وتفسير المرجع اليعقوبي (دام ظله) لها، وفيما يلي بعض النماذج المهمة منها:

١) كنوز الفرات هم جنود الإمام المهدي (عليه السلام):

أشار المرجع اليعقوبي (دام ظله) إلى معنى عميق ودقيق تستبطنه الرواية الشريفة التي تحدثت عن انحسار نهر الفرات عن كنوز تكون تحته، التي بينت أن ذلك علامة من

اللوح المحفوظ. (يُنظر خطاب المرحلة، المرجع اليعقوبي، ج٤، ص٣٩١). وقد روى السيد محسن الحكيم (رحمه الله تعالى) هذه القصة في كتابه (حقائق الأصول: ٩٥/١) وذكر أن الآية هي: [وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ].

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

علامات ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، وقال (دام ظله) إن تلك الكنوز هم الشباب الرسالي الغيورون والمخلصون، وما يلي نص كلمته (دام ظله): (أنتم جنود الإمام المهدي (عجل الله فرجه) الذين سيفتح بكم الإمام (عجل الله فرجه) العالم كله منطلقاً من هذه الأرض الحبيبة المعطاء، وحينما تقول أخبار الظهور أنه في زمانه يكشف الفرات عن كنوز ما هي والله من الذهب والفضة، فالكنوز هم أنتم الذين أنجبكم الفرات والعراق كله بدجلة والفرات هو ابن الفرات لأنه الاسم الأوضح في الأذهان يومئذٍ كما نقول الحسنين تغليباً للحسن والشمسين تغليباً للشمس فنقول للعراق الفرات تغليباً له، فإذا أردتم الفوز والفلاح فحافظوا على دينكم واقطعوا أسباب الفساد والانحراف عن أنفسكم أولاً وعن أسركم ثانياً وعن مجتمعكم ثالثاً لتكونوا من تلك الكنوز) وقد ذكر (دام ظله) سبب تفسيره لمعنى (مصطلح الكنوز) الوارد في متن الرواية قائلاً: (وقد فسّرتُ الكنوز بالأنصار الصالحين المخلصين للإمام (عليه السلام) لأن لحن سياق الحديث ظاهر في أن المراد بالكنوز شيء معنوي وليس مادياً. ووجدت في الأخبار ما يؤيد ذلك ففي كتاب البحار (أن عيسى (عليه السلام) كان مع بعض الحواريين في بعض سياحته، فمروا على بلد، فلما قربوا منه وجدوا كنزا على الطريق، فقال من معه: ائذن لنا يا روح الله أن نقيم ها هنا ونحوز هذا الكنز لئلا يضيع، فقال (عليه السلام) لهم: أقيموا ها هنا وأنا أدخل البلد ولي فيه كنز أطلبه، فلما دخل البلد و جال فيه رأى دارا خربة فدخلها فوجد فيها عجوزة، فقال لها: أنا ضيفك في هذه الليلة، وهل في هذه الدار أحد غيرك؟ قالت: نعم لي ابن مات أبوه وبقي يتيما في حجري، وهو يذهب إلى الصحارى ويجمع الشوك ويأتي البلد فيبيعها ويأتيني بثمنها نتعيش به، فهيأت لعيسى (عليه السلام) بيتا، فلما جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه الليلة ضيفا صالحاً، يسطع من جبينه أنوار الزهد والصلاح، فاغتنم خدمته وصحبته، فدخل الابن

على عيسى (عليه السلام) وخدمه وأكرمه فلما كان في بعض الليل سأل عيسى (عليه السلام) الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها، فتفرس (عليه السلام)[١] فيه آثار العقل والفطانة والاستعداد للترقي على مدارج الكمال، لكن وجد فيه أن قلبه مشغول بهم عظيم، فقال له: يا غلام أرى قلبك مشغولا بهم لا يبرح فأخبرني به لعله يكون عندي دواء دائك، فلما بالغ عيسى (عليه السلام) قال: نعم في قلبي هم وداء لا يقدر على دوائه أحد إلا الله تعالى، فقال: أخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك، فقال الغلام: إني كنت يوما أحمل الشوك إلى البلد فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت إلى القصر فوقع نظري عليها فدخل حبها شغاف[٢] قلبي وهو يزداد كل يوم ولا أرى لذلك دواء إلا الموت، فقال عيسى (عليه السلام): إن كنت تريدها أنا أحتال لك حتى تتزوجها، فجاء الغلام إلى أمه وأخبرها بقوله، فقالت أمه: يا ولدي إني لا أظن هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به، فاسمع له وأطعه في كل ما يقول، فلما أصبحوا قال عيسى (عليه السلام) للغلام: اذهب إلى باب الملك، فإذا أتى خواص الملك ووزراؤه ليدخلوا عليه قل لهم: أبلغوا الملك عني أني جئته خاطبا كريمته، ثم ائتني وأخبرني بما جرى بينك وبين الملك، فأتى الغلام باب الملك، فلما قال ذلك لخاصة الملك ضحكوا وتعجبوا من قوله و دخلوا على الملك وأخبروه بما قال الغلام مستهزئين به، فاستحضره الملك، فلما دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزئا به: أنا لا أعطيك ابنتي إلا أن تأتيني من اللآلي واليواقيت والجواهر الكبار كذا وكذا، ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا، فقال الغلام: أنا أذهب وآتيك بجواب هذا الكلام، فرجع إلى عيسى (عليه السلام) فأخبره بما جرى، فذهب به عيسى (عليه السلام) إلى خربة كانت فيها أحجار ومدر

---

(١) الفراسة: التثبت والنظر والتأمل للشيء والبصر به، وتفرس في الشيء: توسّمه. (لسان العرب ١٠: ٢٢١).

(٢) غلاف القلب. (لسان العرب٧: ١٤٦).

كبار[١]، فدعا الله تعالى فصيرها كلها من جنس ما طلب الملك وأحسن منها، فقال: يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به إلى الملك، فلما أتى الملك بها تحير الملك وأهل مجلسه في أمره، وقالوا لا يكفينا هذا، فرجع إلى عيسى (عليه السلام) فأخبره، فقال: اذهب إلى الخربة وخذ منها ما تريد واذهب بها إليهم، فلما رجع بأضعاف ما أتى به أولا زادت حيرتهم، وقال الملك: إن لهذا شأنا غريبا، فخلا بالغلام واستخبره عن الحال، فأخبره بكل ما جرى بينه وبين عيسى (عليه السلام) وما كان من عشقه لابنته، فعلم الملك أن الضيف هو عيسى (عليه السلام)، فقال: قل لضيفك: يأتيني ويزوجك ابنتي، فحضر عيسى (عليه السلام) وزوجها منه، وبعث الملك ثيابا فاخرة إلى الغلام فألبسها إياه وجمع بينه وبين ابنته تلك الليلة، فلما أصبح طلب الغلام وكلمه فوجده عاقلا فهما ذكيا ولم يكن للملك ولد غير هذه الابنة فجعل الغلام ولي عهده فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فجأة وأجلسوا الغلام على سرير الملك وأطاعوه وسلموا إليه خزائنه، فأتاه عيسى (عليه السلام) في اليوم الثالث ليودعه، فقال الغلام: أيها الحكيم إن لك علي حقوقا لا أقوم بشكر واحد منها لو بقيت أبد الدهر، ولكن عرض في قلبي البارحة أمر لو لم تجبني عنه لا أنتفع بشيء مما حصلتها لي، فقال: وما هو؟ قال الغلام: إنك إذا قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى تلك الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا بنفسك، وأراك في تلك الثياب وفي هذه الحالة فلما أحفى[٢] في السؤال قال له عيسى (عليه السلام): إن العالم بالله وبدار كرامته وثوابه والبصير بفناء الدنيا و خستها ودناءتها لا يرغب إلى هذا الملك الزائل وهذه الأمور الفانية، وإن لنا في قربه تعالى ومعرفته ومحبته لذات روحانية لا نعد تلك اللذات الفانية عندها شيئا، فلما أخبره

(١) المدر: قطع الطين اليابس. (لسان العرب ١٣: ٥٣).

(٢) أحفاه في المسألة: ألح عليه في المسألة: (لسان العرب٣: ٢٥٠).

بعيوب الدنيا وآفاتها ونعيم الآخرة ودرجاتها قال له الغلام: فلي عليك حجة أخرى لم اخترت لنفسك ما هو أولى وأحرى وأوقعتني في هذه البلية الكبرى؟ فقال له عيسى: إنما اخترت لك ذلك لامتحنك في عقلك وذكائك، وليكون لك الثواب في ترك هذه الأمور الميسرة لك أكثر وأوفى، وتكون حجة على غيرك، فترك الغلام الملك، و لبس أثوابه البالية، وتبع عيسى (عليه السلام) فلما رجع عيسى إلى الحواريين قال: هذا كنزي الذي كنت أظنه في هذا البلد فوجدته. والحمد لله)[1]. [2]

وهذا التحليل يحتاج إلى بُعد نظرٍ وأفقٍ واسعٍ وفقيهٍ بارعٍ يفهم معاريض كلام أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ويستخرج منها الإشارات والدلالات الخفية والرمزية.

٢) تشبيه الإمام المهدي (عليه السلام) أو غيبته الشريفة بالشمس المغيبة بالسحاب:

قال المرجع اليعقوبي (دام ظله) في إحدى خطاباته المباركة: (كان السؤال عن وجه الانتفاع بالإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته حاضراً في ذهن الأجيال كلها من حين الأخبار عن غيبة الإمام الثاني عشر على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) ومنشأ التساؤل وجود تصور ذهني بأن الآثار والبركات

---

(١) بحار الأنوار: ١٤/٢٨٠- ٢٨٢. وقد نبّه سماحته (دام ظله) إلى أمر مهم عقب ذكره لهذه الرواية قائلاً: (حينما سرّدت هذه الرواية لا أريد منها تحبيب العزلة والترهب لأنها أمور مذمومة في الإسلام، وإنما أريد أن نزيد همّتنا لنكون من هذه الكنوز التي ينتقيها الإمام (عليه السلام) ويصطفيها لنفسه ويجعلها من خاصّته، وهذا أمرٌ في متناول كل أحد، إذا صدق في إيمانه وبذل السعي المناسب للهدف وأدركته الألطاف الإلهية قال تعالى [وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً] (الإسراء:١٩). يُنظر خطاب المرحلة، ج٧، ص٢٦٦ وما بعدها، خطاب رقم (٣١٨): (كونوا من الكنوز التي يكشف عنها الإمام (عليه السلام).

(٢) المصدر نفسه.

المرجوّة من الإمام والقائد مرتبطة بظهوره للناس كسؤاله عن الأحكام الشرعية أو حلّه للمشكلات العلمية والاجتماعية وتزوّد الناس من محضره الشريف ولا يكادون يفهمون وجهاً للانتفاع به إذا غاب). إلى أن قال (دام ظله): (لكن الأسئلة تكررت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) فأجابوا بما يناسب الذهنيّة العامة، ففي اكمال الدين للصدوق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّه ذكر الإمام القائم في حديث وقال: (ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه بالإيمان، قال جابر: فقلتُ له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أي والذي بعثني بالنبوة إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب). وفي الأمالي للصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام): (لم تخلو الأرض منذ خلق الله تعالى آدم من حجة لله فيها ظاهرٌ مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ولولاهُ لم يُعبد الله، فقلتُ للصادق(عليه السلام): فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب). وفي الاحتجاج ورد توقيع من الناحية المقدسة على يد السفير محمد بن عثمان وفيه (وأما الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء فاغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم).

ثم ذكر (دام ظله) سبعة أوجه لشبه الإمام المهدي (عليه السلام) بالشمس، وسبعة أوجه أخرى لشبه غيبته (عليه السلام) بالشمس، ونحن أضفنا إلى تلك الأوجه ـ بفضل الله تعالى ـ (ثلاثة عشر) وجهاً، فأصبح المجموع الكلي بعد الإضافة (سبعة وعشرين) وجهاً، وهي كالتالي:

(الأول) تشبيه الإمام المهدي (عليه السلام) بالشمس؛ وله عدة وجوه:

١- إنّ الشمس أصل الحياة وبدونها تنعدم الموجودات وهي الواسطة لإفاضة الحياة على الموجودات، ومنافعها ليست مقتصرة على كوكب الأرض، بل تعم سائر الكواكب والأجرام السماوية الأخرى، التي هي في فلك مجموعتها، كما لا يقتصر نفعها على سكان الأرض سواء أظهرت لنا بشكل مباشر أم غُيبت عنا بالسحاب. وهكذا الحال بالنسبة للإمام (عليه السلام) فهو علة الوجود وواسطة الفيض الإلهي على جميع الموجودات وهم علة الوجود ولأجلهم خلق الله الخلق (ولولاه لساخت الأرض بأهلها) كما في الحديث الشريف وفي دعاء العديلة: (ببقائه بقيت الدنيا وبيمينه رُزق الورى، وبوجوده ثبتت الارض والسماء).

٢- ولأن الشمس أصل الحياة فقد وُجدت قبل أي شيء آخر، وكذلك نور محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) وجدوا قبل الخلق، روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق).

٣- إن الشمس مصدر النور وهي التي تنير الأشياء وتجعلها منظورة بالعين ويمكن التعرّف عليها ولولا هذا النور لما أمكن التعرّف على الشيء، وكذلك الإمام هو مصدر المعارف الإلهية والعلوم ولولا تأصيلات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) لما امكن الاهتداء إلى شيء منها، وما يؤخذ عن غيرهم فهو زخرف من القول.

٤- إن نفع الشمس عام لا تمنعه عن شيء من الموجودات، وهم (صلوات الله عليهم اجمعين) كالشمس في عموم نفعهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وإنما لا ينتفع بهم من أراد لنفسه أن يكون أعمى لا يستفيد من نور الشمس، في الخصال من حديث الأربعمائة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أشدّ العمى من عمي عن فضلنا وناصبنا العداوة بلا ذنب سبق إليه منا إلاّ أنّا دعونا إلى الحق ودعاهُ من سوانا إلى

الفتنة والدنيا فأتاهما ونصب البراءة منّا والعداوة لنا). وروى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد بسند صحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾، قال (عليه السلام): (من لم يدلّه خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك والشمس والقمر، والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمر أعظم منه فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً).

٥- إن الشمس من المطهرات –كما هو الصحيح- فهي تطهّر من النجاسة المادية ، فكذلك ولاية الإمام المعصوم وحبّه واتباعه من المطهّرات المعنوية فبها تقبل الأعمال وتكفّر الذنوب وفي ذلك أحاديث كثيرة، لأنها من أعظم الحسنات والقربات إلى الله تعالى، والآية الشريفة تقول (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ).

٦- إن أي شيء يقترب من الشمس يصلى بحرارتها ويحترق تدريجياً حتى يفنى في نورها، وكذلك من يتقرب من اهل البيت (عليهم السلام) بطاعتهم وحبّهم والسير على هديهم يفنى فيهم وتذوب أنانيته ونفسه الامارة بالسوء (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) وفي الحديث النبوي الشريف: (سلمان منّا اهل البيت).

٧- كما أنّ الناس متفاوتون في الاستفادة من نور الشمس فبعضهم يمنعها من الدخول إلى داره فيغلق الأستار والنوافذ ولا يستفيد من ضوء الشمس، وبعضهم يفتح منافذ بسيطة للإنارة والآخر يملأ داره بالفتحات والآخر يستفيد منها في الزراعة وآخر لتوليد الطاقة الشمسية، فكذلك نور الهداية المتصلة بالمعصومين (عليهم السلام) التي تركوها لنا من خلال أحاديثهم الشريفة، تتفاوت الناس في الاستفادة منها والعمل بها، فربّما أغلق البعض نوافذ قلبه وعقله لمنع نور الهداية من دخولهما، بينما فتح آخر كلّ حواسه ومنافذه الظاهرية والباطنية لتلقي هذه العلوم والمعارف والكمالات

اللاّمحدودة بإذن الله تعالى.[١]

إلى هنا انتهى كلام سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله)، ويمكننا إضافة عدة نقاط أخرى حول تشبيه الروايات الشريفة للإمام المهدي (عليه السلام) بالشمس التي جلَّلها السحاب، وهي كالآتي:

١. كما أن الشمس المُغيبة بالسحاب يعتقد كل عاقل وبشكل قطعي بوجودها على الرغم من عدم إمكانية رؤيتها بشكل مباشر، فكذلك لا يمكن إنكار وجود الإمام المهدي (عليه السلام) لمجرّد عدم ظهوره للناس، (فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود) فهو (عليه السلام) موجود وله آثاره المباركة وألطافه الكريمة ورعايته الحانية على البشرية، ولولا وجوده المبارك لساخت الأرض بأهلها، كما نصت الروايات الشريفة، وكذلك الحال بالنسبة لفائدة الشمس لنا، فإذا فقدنا وجودها هلكنا جميعاً.

٢. إن جميع البشرية تنتفع من وجود الشمس، سواء أكانوا موحدين أم كفّار، مؤمنين أم نواصب، وهكذا الحال بالنسبة للإمام المهدي (عليه السلام) فنفعه يعم جميع البشرية على سطح الأرض، سواء اعترفوا بوجوده وأقروا بإمامته أم أنكروها، بل إن نفعه يصل حتى لمن ناصب له العِداء، فأهل بيت الرحمة (صلوات الله عليهم) متخلقون بأخلاق الله سبحانه الذي من صفاته عدم منع عطائه عن العاصين، كما نص على ذلك الدعاء الرجبي المأثور عنهم (عليهم السلام): (يا مَنْ يُعْطِي الْكَثِيرَ بِالْقَلِيلِ، يا مَنْ يُعْطي مَنْ سَأَلَهُ يا مَنْ يُعْطي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً) نعم، الفيوضات الخاصة لا ينالها إلا الخُلص من المؤمنين، أما الفيوضات العامة الصادرة منه (عليه السلام) فهي متاحة للجميع؛ كحفظ وجود الأرض والانتفاع من بركاتها، ونزول الأمطار واستقرار الجبال وإنبات النبات ونحو ذلك، جاء في الزيارة الأولى للإمام

(١) يُنظر خطاب المرحلة، ج٩، ص٧٧، رقم (٤١٨) بعنوان: (وجه الانتفاع بالإمام (عليه السلام) في غيبته).

الحسين (عليه الصلاة والسلام): (... وبكم تنبتُ الأرضُ أشجارها وبكم تُخرجُ الأرضُ ثمارها وبكم تُنزلُ السَّماءُ قطرها ورزقها وبكم يكشفُ الله الكَربَ وبكم يُنزِّلُ الله الغيث وبكم تُسبِّحُ الأرضُ التي تحملُ أبدانكم وتستقرُّ جبالها على مَراسيها).[1]

٣. إن للشمس منهجاً وتخطيطاً مرسوماً من قِبل الرب المتعال جلت قدرته، فهي (تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) وهي بذلك كائن مطيع لأمر مولاها ومدبرها، سواء من جهة الإشراق أو الغروب أو من جهة الظهور أو الخفاء خلف السحاب أو من جهة السير في فلكها الخاص بها وغيرها من الأنظمة المُعدة لها من قِبل الله سبحانه وتعالى، وكذلك الحال بالنسبة للإمام المهدي (عليه السلام) فهو مطيع لأمر مولاه تبارك وتعالى، وسائر على النهج المرسوم له من قِبل خالقه، وهو في انتظار من ينتظِره، لكي يشرق بظهوره على الأرض، ويزيل الظلم عنهم، ويؤسس دولة العدل الإلهي.

٤. تُعد الشمس من المسببات الرئيسة والمهمة في تكوين السحاب، فهي من العلل الموجِدة لها، من خلال تبخير الماء من المسطحات المائية، ومن ثم تكثفه في الهواء وتشكل السحاب، وبتعبير آخر إن الشمس إحدى العوامل الداخلة في تكوين السحاب الذي يتجمع في بعض الأحيان ويحجب الشمس عن الرؤية، ووجه الشبه مع القضية المهدوية، هو إن الإمام صاحب العصر والزمان (عليه السلام) يتعمد بإيجاد حالة الغيبة عن الناس لوجود مصلحة كبيرة في ذلك، وقد بينتها العديد من الروايات الشريفة.

٥. ذكرنا سابقاً إنه لا تنحصر فائدة الشمس من إشراقها المباشر علينا، بل يمكن

---

(١) مفاتيح الجنان، المحدث القمي (قدس الله سره)، باب الزيارات، الزِّيارَةُ المطلقة الأُولى للإمام الحسين (عليه السلام).

الاستفادة منها مع غيبتها عنا. والذي نريد أن نبينه في هذا السياق أيضاً هو إمكانية الاستفادة من الشمس بواسطة موجودات وآليات أخرى تكون لها القدرة على الاتصال بالشمس والاستفادة من طاقتها، كالقمر الذي يُنير لنا الأرض في ظلمة الليل، من خلال انعكاس ضوء الشمس عليه، ولو بشكل نسبي، فنهتدي بنوره مع غيبة الشمس عنا. وهناك بدائل أخرى يمكنها تخزين شيء من طاقة الشمس لكي تعطينا إياها فيما بعد، كخلايا الطاقة الشمسية التي تستمد الطاقة من الشمس لمدة من الزمن أثناء النهار، وتخزنه في مكان معين، وهذا العمل يشبه عمل القيادات النائبة عن الإمام الحجة (عليه السلام) زمن غيبته الكبرى، وهم الفقهاء العدول العاملون الرساليون، المخالفون لهواهم والمتبعون لأمر مولاهم، فعملهم يشبه عمل القمر المنير في ظلمة الغيبة وظلمة الشبهات والانحرافات،[1] وهؤلاء القادة النواب عن المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) يعملون على جمع منافع علم الإمامة الشريفة، ويحاولون أن يكونوا خُزاناً لمعارفهم الحقة، ليعطوها للأمة في عصر غيبة شمس الإمام المهدي عجل الله شروق ظهوره المبارك.

٦. الشبه الآخر بين الإمام المهدي (عليه السلام) وبين الشمس، هو ان الشمس لا يمكن

(١) ورد في تفسير القمي، ص(٤٢٤) في تفسير قوله تبارك وتعالى: (والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها) تشبيه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بالشمس ولأمير المؤمنين (عليه السلام) بالقمر، وهذا نص الرواية: عن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عز وجل والشمس وضحاها، قال: الشمس رسول الله صلى الله عليه وآله أوضح الله به للناس دينهم قلت: (والقمر إذا تلاها) قال ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) قلت: (والليل إذا يغشاها) قال: ذلك أئمة الجور الذين استبدوا للأمر دون آل رسول الله صلى الله عليه وآله وجلسوا مجلسا كان آل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى به منهم، فغشوا دين رسول الله صلى الله عليه وآله بالظلم والجور وهو قوله: والليل إذا يغشاها، قال: يغشى ظلمهم ضوء النهار، قلت: (والنهار إذا جلاها) قال: ذلك الإمام من ذرية فاطمة (عليها السلام) يسئل عن دين رسول الله فيجلى لمن يسأله، فحكى الله قوله: والنهار إذا جلاها.

حصر منافعها وفوائدها، فهي من النعم العظيمة (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) وهي موجود كوثري (أي كثير البركة والفوائد) وكذلك الإمام المعصوم (عليه السلام) لا يمكن حصر منافعه وفوائده سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الأمة أو على مستوى العالم بأسره.

٧. إن الشمس هي المركز الذي تدور حولها الأقمار والكواكب السيارة، والتي تمدها بالطاقة الدافعة والطاقة الجاذبة، وتحفظ لها توازنها واستقرارها ضمن مسارها في الأفلاك، ولولا ذلك لاختل توازنها وتاهت في الفضاء الفسيح، وتناثرت كتناثر حبات المسبحة بعد انقطاع خيطها، وبالتالي فنائها، وهذه الميزة تشبه هي الأخرى صفة من صفات إمامنا المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الذي هو محور عملنا بل به تُقبل أعمالنا التي تعرض عليه، فكل العبادات والأعمال الصالحة لا قيمة لها دون الموالاة له، ودون مباركته ورضاه ودون الالتفاف حول إمامته الشريفة، وإلا فالهلاك هو مصير من ينفصم عن هذه العروة الوثقى، كمصير الكواكب إذا انفصلت عن فلكها وابتعدت عن الشمس.

٨. ترتبط صلاتنا اليومية ارتباطاً وثيقاً بالشمس، من ناحية تعيين وقتها، بل حتى صلاة الآيات فإنها ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالشمس، من باب وجوب إقامتها أو عدمه[١]، وهذا الارتباط الوثيق بين الصلاة من جهة وبين الشمس من جهة أخرى يشبه ارتباط ديننا (أي الصلاة) بالإمام المعصوم (عليه السلام) (الذي هو كناية عن الشمس) فمنزلته (عليه السلام) من الصلاة التي تمثل الدين كمنزلة الشمس فلا يحق لنا تقديم الصلاة أو تأخيرها دون مراعاة لمواقيت حركة الشمس، وإلا فإن الصلاة تقع باطلة، وهذا حال من لا يقر بإمامة الإمام (عليه السلام) ولا يعتقد بعصمته ووجوب طاعته،

(١) نعني هنا ظاهرة الخسوف والكسوف الكليين والجزئيين.

بل إن الإمام المعصوم (عليه السلام) بحسب الرواية الشريفة هو الصلاة وهو الصيام، جاء في الحديث: (بعلي قامت الصلاة)[١] وفي حديثٍ آخر: (أنا صلاة المؤمنين وصيامهم)[٢] وكما إن الصلاة عمود الدين، وبها تقبل أعمال العبد وبتركها تهمل أعماله، (أول ما يحاسب العبد عليه الصلاة، فإن صحت له الصلاة صح له ما سواها، وإن ردت رد ما سواها)[٣] فكذلك توزن أعمالنا بميزان الاعتقاد بالإمام (عليه السلام) ومدى طاعتنا له.

٩. إن الله سبحانه وتعالى وضع الشمس في مكان مناسب من ناحية البُعد والقرب عن الأرض وسائر الكواكب، فالشمس ليست قريبة من الأرض بحيث تحرقها بحرارتها، ولا هي بعيدة عنها بشكل يجعلها كرة من الثلج[٤]، وكذلك يجب معرفة الإمام صاحب العصر والزمان (عليه السلام) وبقية الأئمة من آبائه الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) معرفة حقة وصحيحة لا تزيغ بنا عن جادة الصواب وعن الصراط المستقيم، فيجب أن لا نعدو بهم عن منازلهم التي أنزلهم الله تعالى فيها، فلا نقول فيهم ما يُدخلنا في حد الغلو فنجعلهم آلهة وأرباباً من دون الله تعالى، ولا ننكر فضلهم ومنزلتهم فنمرق عن الدين وندخل في حد التفريط والعياذ بالله، وهذا ما حذروا هم (عليهم الصلاة والسلام) منه في روايات عديدة مروية عنهم، وفيما يلي نذكر بعضها:

- روي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إياكم والغلو فينا، قولوا إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم). [٥]

---

(١) ينظر كتاب (سر الصلاة أو صلاة العارفين) للإمام الخميني (قدس سره).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٠، ص ٢٠.

(٤) من باب الفائدة نذكر أن الشمس تبتعد عن كوكب الأرض حوالي (١٥٠) مليون كيلو متر.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٥، ص ٢٧٠.

- وعنه (عليه السلام): (لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإني برئ من الغالين). [١]
- وعنه (عليه السلام): (يهلك في رجلان؛ محب غال، ومبغض قال). [٢]
- عن الإمام الباقر (عليه السلام): (يا معشر الشيعة- شيعة آل محمد- كونوا النمرقة الوسطى: يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الانصار، يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا مالا نقوله في أنفسنا، فليس اولئك منا ولسنا منهم، قال: فما التالي ؟ قال: المرتاد يريد الخير يبلغه الخير يؤجر عليه). [٣]
- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) - لإسماعيل بن عبد العزيز -: (يا إسماعيل، ضع لي في المتوضأ ماء، قال: فقمت فوضعت له، قال: فدخل، قال: فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضأ يتوضأ؟! قال: فلم يلبث أن خرج فقال: يا إسماعيل، لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا). [٤]
- وعنه (عليه السلام) - لكامل التمار -: (يا كامل اجعل لنا رباً نؤب إليه، وقولوا فينا ما شئتم). [٥]
- الإمام الصادق (عليه السلام) - لأبي بصير -: (يا أبا محمد أبرأ ممن يزعم أنا أرباب، قلت: برئ الله منه، فقال: أبرأ ممن يزعم أنا أنبياء، قلت: برئ الله منه). [٦]

---

(١) المصدر نفسه، ج ٤ ، ص ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣٩ ، ص ٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٦٧ ، ص ١٠١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢٥ ، ص ٢٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(الثاني) تشبيه غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) بالشمس إذا جلّلها السحاب، قال سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله): (.. ويمكن أن نفهم له عدة وجوه:

١- كما ان احتجاب الشمس بالسحاب لا يؤثر على حقيقة وجودها ولا يصح لعاقل أن يستدل على عدم وجودها لعدم ظهورها للعين بسبب تغطية السحاب لها، فكذلك لا يمكن إنكار وجود الإمام (عليه السلام) لمجرّد عدم ظهوره للناس فهو (عليه السلام) موجود وتوجد معه آثاره المباركة وألطافه الكريمة ورعايته الحانية.

٢- إنّ جملة من منافع الشمس لا تتوقف على ظهورها المباشر وبتعبير آخر أن فائدة الشمس لا تقتصر على التعرض لأشعتها المباشرة حتى يُقال بعدم الانتفاع منها إذا حجب السحاب أشعتها، فاحتجابها بالسحاب لا يمنع من الانتفاع بها وتبقى تؤدي دورها في حفظ نظام الحياة واستقرار المجموعة الشمسية وحركة الافلاك، وكذلك الانتفاع بوجود الإمام وفيوضاته المباركة لا تتوقف على ظهوره المباشر وإن حرم الناس من بعض تلك الانتفاعات بسبب غيبته، ومنها ما تقدم في الرواية الشريفة من كونه اماناً لأهل الارض ورد في رسالته الشريفة (إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولوا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء). [1]

٣- إن احتجاب الشمس بالغيوم إنما هو لمن كان على الأرض فلو خرج من جو الأرض كالذي يحصل لركاب الطائرة عندما ترتفع فوق الغيوم فإنهم سيرون السماء صافية والشمس ظاهرة، فكذلك الإمام فإنه غير مشخّص لذوي الدرجات الاعتيادية والمتدنّية، أما الأنقياء المخلصون ومن حلّقوا في سماء الكمالات المعنوية فإنّ الإمام (عليه السلام) يظهر لهم ويرونه ويعرفونه ويتعاملون معه، وما على المؤمن إلاّ أن يسمو ويرتقي ويخرج من الحجب الأرضية لتكتحل عينه بالنظر إلى الإمام (عليه السلام).

---

(١) الاحتجاج: رسالة الناحية المقدسة إلى الشيخ المفيد (قدس سره).

٤- إن تغطية السحاب للشمس فيه رحمة بالناس وفيها مصلحة لهم أما من جهة نفس الغيوم لكونها تحمل أمطاراً تحيي الأرض الميتة، أو لعجز الناس عن تحمّل الأشعة المباشرة للشمس فتضر أبصارهم وتصيب رؤوسهم بضربة الشمس وربما اضطروا إلى السكون في منازلهم والقعود عن أعمالهم حذراً من أشعة الشمس، وكذلك غيبة الإمام (عليه السلام) فيها مصلحة للناس، من عدة جهات كالتفاتهم إلى ذنوبهم التي أوجبت حرمانهم من الاتصال المباشر بالإمام أو لأنّ إيمانهم ليس قوياً يحتمل القيادة المباشرة والنظر المباشر للإمام، كالذين لم يتحملوا قيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) ففشلوا وخسروا الدنيا والآخرة، فعدم الابتلاء بالقيادة المباشرة رحمة بالناس لئلاّ تزيغ بصائرهم كتضرّر بصر من ينظر إلى الشمس مباشرة ويفشلوا في الامتحان نظير نصيحة الإمام الحسين (عليه السلام) لبعض من تخاذلوا عن نصرته بأن يبتعدوا لئلاّ يسمعوا صرخة الإمام (عليه السلام) فتصيبهم الكارثة، فمثل هؤلاء يكون من الرحمة بهم تربيتهم بعيداً عن القيادة المباشرة للمعصوم (عليه السلام) وقبولهم على ما هم عليه.

٥- إن احتجاب الشمس بالسحاب أمر نسبي أي لبعض الناس إذ يمكن أن تكون الشمس في نفس الوقت ظاهرة لبعض في بلد آخر لا يحجبهم السحاب، كما يقال في النشرة الجوية غائم جزئي فكذلك غيبة الإمام (عليه السلام) نسبية لبعض الخلق دون بعض فهو ظاهر لبعض الخلق (وما في ثلاثين من وحشة).

٦- إن احتجاب نور الشمس لا لسبب منها أي لا لقصور في المقتضي- كما يقال- وانما لوجود المانع وهو السحاب فمتى ما زال السحاب اشرقت الشمس على الموجودات، وكذلك الامام (عليه السلام) لم يحتجب لسبب منه فإن أهل البيت (عليهم السلام) أبواب رحمة الله وكرمه وفضله، وهو تبارك وتعالى لا بخل في ساحته (بابك مفتوح للراغبين وخيرك مبذول للطالبين وفضلك مباح للسائلين ونيلك متاح للآملين ورزقك

مبسوط لمن عصاك وحلمك معترض لمن ناواك)[١]. وسبب احتجابه (عليه السلام) يعود الى الخلق انفسهم (إلا أن تحجبهم الذنوب دونك).

٧- (كما أن الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها ينتظرون في كل آن انكشاف السحاب عنها وظهورها ليكون انتفاعهم بها أكثر فكذلك في أيام غيبته ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كل وقت وزمان ولا ييأسون منه)[٢].[٣].

إلى هنا انتهى كلام سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله)، ويمكننا إضافة عدة نقاط أخرى حول تشبيه الروايات الشريفة لغيبة الإمام المهدي (عليه السلام) بالشمس التي جلَّلها السحاب، وهي كالآتي:

١- إن الشمس غير محتاجة للسحاب في تكوينها الذاتي بخلاف السحاب فإنه محتاج للشمس لأجل تكوّنه، وهكذا هو فضّل الإمام المهدي (عليه السلام) على البشرية، فهو (عليه السلام) في ذاته غير محتاج للغيبة، وإنما يحتاج لها بشكل عرضي، أي إنه (عليه السلام) يحتاج للغيبة لأجلنا نحن، لكي يحقق عدة مصالح وفوائد تعود بالنفع لتكامل البشرية.

٢- إن السحاب مهما تلبد وتراكم في السماء فإنه لا يستطيع أن يمنع عنا فوائد الشمس المتعددة، فتبقى الشمس مصدر فائدة وعطاء سواء أوجد السحاب في السماء أم لم يوجد. نعم، يمكن للسحاب منع رؤيتها مباشرة، أو يحول دون الانتفاع التام من الشمس لو كانت ظاهرة بشكل جلي، لكنه عاجز عن منع عملها ونزول بركاتها إلى

---

(١) مفاتيح الجنان : ١٦٨ من ادعية شهر رجب

(٢) بحار الأنوار: ٥٢/ ٩٣.

(٣) يُنظر خطاب المرحلة، ج٩، ص٧٧، رقم (٤١٨) بعنوان: (وجه الانتفاع بالإمام (عليه السلام) في غيبته).

الأرض أو إلى سائر الكواكب الأخرى، وهكذا الحال بالنسبة للإمام صاحب العصر (عليه السلام) فمهما طالت غيبته أو تكاثرت عليه الأعداء أو لم يتسنَ له اللقاء باتباعه، أو لقاء اتباعه به، فإنه (عليه السلام) يبقى يمدنا ببركات وجوده المقدس، ليس لنا فحسب بل ولسائر الموجودات الأخرى، كما لا تحول هذه الغيبة وهذا الخفاء بيننا وبين اطلاعه (عليه السلام) على أعمالنا وأحوالنا.

٣- إن طبيعة البشر قائمة على ازدياد معرفة قيمة الأشياء بعد فقدانها، كما قالوا في الحكمة؛ (تعرف قيمة الأشياء عند فقدها)، وبناءً على هذا فنحن في الأيام الاعتيادية التي تكون فيها الشمس بارزة للعيان، ولكثرة تمتعنا بنعمة وجود ضيائها الدافئ لا نشعر بالقيمة الحقيقية لأهميتها بشكل يتناسب وقيمة هذه النعمة العظيمة، لذا فعندما تتلبد السماء بالسحاب وتغيب عنا مدة من الزمن يشعر الناس بشيء من أهميتها ويحسون بقيمة وجودها وفائدتها الكبيرة، فيبقون منتظرون لإشراقها من جديد بلهفة وترقب، لاسيما في الأماكن التي يحتاج الناس فيها إلى أشعة الشمس المباشرة.

٤- إن السحاب بعضه ممطر وبعضه غير ممطر، كما ان بعضه ذو أمطار غزيرة لدرجة انها تؤدي لإلحاق الضرر ببعض الناس وبممتلكاتهم مع ما يرافقها من رياح وأعاصير عاتية، وبعضه الآخر بسببه تُنبت الأرض وتعمر الديار وتسقى الأشجار والدواب وتزيد السهول والوديان خصوبة واخضراراً، وهذه المميزات تشبه غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) فبعض الناس لم تزده الغيبة إلا إيماناً ورسوخاً في العقيدة واجتهاداً في العبادة وثباتاً في الموقف وقوة في تحمل مسؤولية غياب القائد ومواجهة الصعاب، وكأن الغيبة سحاب مُثقل بالمطر هطل على القلوب بالصبر والإيمان فاخضرت قلوبهم بعشق الإمام المغيب (عليه السلام) ونبت فيها أشجار محبته من طول انتظاره، والدعاء بتعجيل ظهوره، وجعلوا من سحاب الغيبة والانتظار معسكراً لتدريب

النفس وتهذيبها على تحمل المشقات، والتكامل في بناء الذات بالعبادة والمجاهدة، والبعض الآخر من الناس بسبب أصل الغيبة أو بسبب طول أمدها، ضلوا وتاهوا لما اعتراهم من شكٍ في أصل وجود إمامهم (عليه السلام)، ويمكننا أن نشبه مطر الخير والرحمة بقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)[١]، وبقوله تعالى: (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)[٢]، وبقوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ)[٣]، أما مطر الطائفة الأخرى الذي هو مطر عقوبة وبلاء فتنطبق عليه الآية الشريفة: (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا).[٤]

٣) معنى شروق الشمس من الغرب:

قد مرَّ علينا في فهمٍ وتحليلٍ سابقٍ لتشبيه الروايات الشريفة للإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته المباركة بالشمس التي جللها السحاب، ووفقاً لهذا الفهم يكون معنى الروايات الشريفة القائلة إن من علامات الظهور الميمون هو شروق الشمس من الغرب، أي أن الإمام المهدي (عليه السلام) سيكون ظهوره من المجتمع الغربي الذي سيقتنع به وبمشروعه الإلهي، وهذا الفهم المعمق لهذا النص الروائي هو لسماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) وقد دعمه بالقرائن والأدلة، حيث قال (دام ظله): (. . . إن بعض الروايات تقول

---

(١) الحج ، ٦٣.

(٢) الأنفال، ١١.

(٣) البقرة، ٢٢.

(٤) الفرقان، ٤٠.

إنه حين الظهور تشرق الشمس من الغرب وقد وصفت روايات أخرى الإمام (عليه السلام) بأنه كالشمس التي جللها السحاب، فما المانع أن يكون شروق الشمس بمعنى ظهور الإمام (عليه السلام) وبزوغ نوره من الغرب أي أن قدومه يكون من هناك، ويؤيد هذه الفكرة أن للإمام (عليه السلام) شبهاً بعدد من الأنبياء ومنهم موسى الكليم (عليه السلام)، ومن وجوه تشابهه معه أن فرعون الذي علا في البلاد واستكبر وأخذ يذّبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم خوفاً من الوليد المنتظر الذي تناقلت الأخبار أن نهاية ملكه على يديه، وإذا به نفسه يتولى رعاية هذا المولود وخدمته ليتحقق بالإرادة الإلهية ما كان يخشاه، فربما كانت القوى المستكبرة في الغرب كفرعون هي التي تتولى رعاية الإمام وأصحابه فيتنعمون بخيراتها).[1]

٤) المعنى الرمزي للدجال:

تحدث المرجع اليعقوبي (دام ظله) وبشكل مفصَّل في كتابيه (شكوى الإمام (عليه السلام) و(نحن والغرب) عن مفهوم الدجال ووضَّح الإشارات والرموز التي تحتوي عليها الروايات الشريفة المتعلقة به، مبيناً مدلولها ومقاصدها، من قبيل كونه أعور ومنحرف وظالم ومخالف للحق ونحوها من الصفات التي تنطبق جميعها على الحضارة الغربية المادية المعادية للإسلام وللإنسانية، وأبرزها الولايات المتحدة الأمريكية. ووفقاً لهذا الفهم لا يمكن القول بأن الدجال هو إنسان وشخص واحد، بل هو كيان مجتمعي كبير له أيدولوجية معينة، بخلاف ما يتصوره البعض تماشياً مع الفهم التقليدي القديم، بأنه شخص معين. وفيما يلي نورد ما ذكره المرجع اليعقوبي (دام ظله) في توضيحه للمدلولات الرمزية المتضمنة في الروايات الشريفة التي تحدثت عن

(١) خطاب المرحلة، ج٣، بعنوان: (الغرب والإمام المهدي (عجل الله فرجه).

الدجال وما يتعلق به:

أ) الدجال ليس إنساناً:

(الأعور الدّجال هو من العلامات الرئيسية قبل الظهور وقد ذُكرت له أوصاف عديدة إذا حاولنا تطبيقها على إنسان واحد فانه سيكون معجزة فإما ان ننكر هذا الشيء ونقول إن المعصومين (كانوا يروون عن ما يشبه قصص ألف ليلة وليلة وهذا عمل البطالين والعابثين لا الهداة الى الله والأدلاء على طاعته والقوّامين بأمره وأما أن نفسرها بوجه معقول يستوعب هذه الأوصاف. وبمناسبة الصراع الذي بدأه الغرب مع الإسلام وأهله أنقل هذا التفسير لسيدنا الأستاذ الذي ينسجم مع هذا الصراع مع شيء من التبصر والتلخيص والبيان والتطبيق على الواقع المعاصر حيث يمثل الدّجال الحركة او الحركات المعادية للإسلام في عصر الغيبة عصر الفتن والانحراف بادئاً بالأسباب الرئيسية وهي الحضارة الغربية بما فيها من بهارج و هيبة وهيمنة على الرأي العام العالمي ومخططات واسعة ومنتهياً الى النتائج وهو خروج عدد من المسلمين عن الإسلام عملياً وان تسموا بالإسلام واعتناقهم المذاهب المنحرفة وما يعم الأفراد والمجتمعات من ظلم وفساد وإليك أوصاف الأعور الدجال بحسب ما جاء في الروايات من كتب الشيعة والسنة مع تطبيقها على هذه الأطروحة فليس هناك ما بين خلق آدم إلى يوم القيامة خلق منحرف أكبر من الدّجال باعتبار هيبة الحضارة الغربية وعظمتها المادية ومخترعاتها وأسلحتها الفتاكة وتطرفها الكبير نحو سيطرة الإنسان والإلحاد بالقدرة الإلهية بشكل لم يعهد له مثيل في التاريخ ولن يكون له مثيل في المستقبل أيضاً لأن المستقبل سيكون في مصلحة نصرة الحق والعدل . وهذا التفسير واضح على الرواية الأخرى: (أمر أكبر من الدّجال) مما يعني انه ليس رجلاً بعينه وإنما هو اتجاه حضاري معادٍ للإسلام. (وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر

وأن يأمر الأرض أن تنبت فتنبت) وكل هذا وغيره مما هو أهم منه من أنحاء السيطرة على المرافق الطبيعية مما أنتجته الحضارة الغربية ولا تخفى ما في ذلك من الفتنة فان أعداداً مهمة من أبناء الإسلام حين يجدون جمال المدنية الغربية فانهم سوف يتخيلون صدق عقائدها وأفكارها وتكوينها الحضاري بشكل عام وهذا من أعظم الفتن والأوهام التي يعيشها الأفراد في العصور الحاضرة وهي غير قائمة على أساس صحيح إذ لا ملازمة بين التقدم التكنولوجي المدني والتقدم العقائدي والفكري والأخلاقي يعنى لا ملازمة بين الجانب الحضاري والجانب المدني في المجتمع فقد يكون المجتمع متقدماً إلى درجة كبيرة في الجانب المدني ومتأخرة إلى درجة كبيرة في الجانب الحضاري وأوضح مصاديقه الكيان الصهيوني فانه في طليعة المجتمعات المتقدمة تكنولوجياً إلا انك تجد الهمجية والوحشية في سلوكهم المنافي لكل القيم بما فيها تلك التي اجمعوا هم وكل أمم العالم على الالتزام بها بما يسمونها بحقوق الإنسان وكذا الولايات المتحدة التي تمثل النموذج الأرقى لتقدم الغرب إلا إنها في الحضيض من الناحية الأخلاقية وجرائمها في العراق واليابان وفيتنام وفلسطين والبوسنة وأفغانستان شواهد على ذلك. (وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت وإن من فتنته أن يمر في الحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمى ما كانت وأعظم وأمدّه خواصراً وأدره ضروعاً) وهذا يعني إلى وجه التعيين أن المكذب للمد المادي الأوربي والواقف أمام تياره يُمنى بمصاعب وعقبات ويكون المال والقوة إلى جانب السائرين في ركابها المتملقين لها المتعاونين معها والتعبير بالحي يعني النظر إلى المجتمع على العموم ، وهذا هو الصحيح بالنسبة إلى المجتمع المؤمن في التيار المادي، إذ لو نظرنا إلى المستوى الفردي فقد يكون

في إمكان الفرد المعارض أن ينال تحت ظروف معينة قسطاً من القوة والمال). [١]

ب) الدجال ينادي أنا ربكم الأعلى:

(والدجال أيضاً يدعي الربوبية إذ ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين يقول: (إليَّ أوليائي أنا الذي خلق فسوى وقدّر فهدى أنا ربكم الأعلى) وكل ذلك واضح جداً من سير الحضارة الغربية وأسلوبها فإنها ملأت الخافقين من خلال وسائل الإعلام الحديثة بمادياتها وعزلت البشر عن المصدر الإلهي والعالم العلوي فخسرت بذلك العدل والأخلاق والفكر الذي يتكفله هذا المصدر وأعلنت عوضاً عن ذلك ولايتها على البشرية وفرضت أيديولوجيتها على الأفكار وقوانينها على المجتمعات بدلاً عن ولاية الله وقوانينه وهذا يعني ادعائها الربوبية على البشر أي إنها المالكة لشؤونهم من دون الله تعالى وهذا ما تريد الولايات المتحدة تسيير العالم عليه بما يسمونه بالعولمة والنظام العالمي الجديد وسخرت آليات لتنفيذه كالبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وحتى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وتريد أن تفرض رؤيتها على جميع البشر ولا مكان في هذا العالم لمن لا يوافقها وقد سبقها إلى ذلك فرعون الذي ادعى الربوبية وقال ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾ وأمريكا تكرر نفس الكلمة). [٢]

ج) إدعاء الدجال الرسالة:

(إن المادية كانت ولا تزال تؤمن بفرض ولايتها على البشر غير انها كانت في المجتمع النبوي ضعيفة التأثير جداً لا تستطيع الارتباط بأي إنسان ولكن حين أُذن

---

(١) يُنظر نحن والغرب وشكوى الإمام (عليه السلام)، ص٢٤٨ وما بعدها.

(٢) يُنظر المصدر نفسه.

للدجال المادي بالخروج بعد وفاته (انطلقت النفوس الأمارة بالسوء من قمقمها وبلغت فتنته الذروة اليوم حين استطاعت المادية أن تفرض ولايتها وسلطتها على العالم). [١]

د) الدجال باق منذ زمن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):

(والدجال طويل العمر باقٍ منذ زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين لم يؤمن برسالته من ذلك الحين بل ادعى الرسالة دونه ولا زال على هذه الحالة إلى الآن، فإن الدجال أو المادية تبدأ أسسها الأولى منذ زمن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث كان للمنافقين أثرهم الكبير في إذكاء أوارها ورفع شأنها فكانوا النواة الأولى التي حددت تدريجياً سير التاريخ على شكله الحاضر بانحسار الإسلام عن وجه المجتمع في العالم وسيطرة المادية والمصلحية عليه إذن فالمنافقون الذين لم يؤمنوا برسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أولئك الذين كان مسلك الدجل والخداع مسلكهم إذ يظهرون غير ما يبطنون، هم النواة الأولى للمادية المخادعة التي تظهر غير ما تبطن وتبرقع قضاياها بمفاهيم العدل والمساواة فهذا هو الدجال بوجوده الطويل). [٢]

هـ) معنى أن له ماء ونار:

(ومن هذا المنطلق تفهم بكل وضوح معنى انه عند الدجال ماء ونار وماؤه في الحقيقة هي نار وناره هو الماء الزلال وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث: (فمن أدرك ذلك فليقع في الذي يراه ناراً فانه ماء عذب طيب) فإن ماء الدجال هي المغريات والمصالح الشخصية التي تتضمنها الحضارة المادية لمن تابعها وتعاون معها ، وناره

---

(١) يُنظر المصدر نفسه.

(٢) يُنظر المصدر نفسه.

عبارة عن المصاعب والمتاعب والتضحيات الجسام التي يعانيها الفرد المؤمن الواقف بوجه تيار المادية الجارف وتلك المصالح هي النار أو الظلم الحقيقي ، وهذه المصاعب هي الماء العذب أو العدل الحقيقي ومن الطبيعي أن النبي الأكرم (ﷺ) بصفته الداعية الأكبر للإيمان الإلهي ينصح المسلم بأن لا ينخدع بماء الدجال وبهارج الحضارة ومزالق المادية وأن يلقي بنفسه فيما يراه ناراً ومصاعب فانه ينال بذلك طريق الحق والعدل . والرمزية والكناية واضحة لأنه ليس المراد به الماء والنار على وجه الحقيقة وإلا لزم نسبة المعجزات إلى المبطلين. ومن طريف ما نستطيع ان نلاحظ في المقام ان النبي(ﷺ) لم يقل في الخبر : ان الناس جميعاً حين يقعون في الماء فانهم يجدونه ناراً أو حين يقعون في النار يجدونها ماءً ، بل يمكن أن نفهم إن بعض الناس وهم المؤمنون خاصة هم الذين يجدونه ذلك وإلا فان أكثر الناس حين يقعون في ماء الدجال أو بهارج المادية لا يجدون إلا اللذة وتوفير المصلحة كما انهم حين يقعون في المصاعب والمتاعب لا يجدون إلا الضيق والكمد). [1]

و) معنى كون الدجال أعور؟

(والدجال أعور وهو كذلك بكل تأكيد من حيث ان الحضارة المادية تنظر إلى الكون بعين واحدة ، تنظر إلى مادته دون الروح والخلق الرفيع والمثل العليا ومن يكن أعور غير مدرك للحقائق فكيف يكون رباً صالحاً للولاية على البشرية – وانما تكون الولاية خاصة بمن ينظر إلى الكون بعينين سليمتين فتكون نظرته متوازنة ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ويتعامل مع جميع مفرداته بما فيه من مادة وروح ويعطي لكل زاوية حقها الأصيل (وإن ربكم ليس بأعور) بل ان ربي على صراطٍ مستقيم ﴿

(١) يُنظر المصدر نفسه.

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾). (١)

ز) معنى كونه كافراً:

(والدجال كافر لأنه يعبد المادة والمصالح ولا يعبد الله ولا يطيعه ولا يلتفت إليه ويطيع شهوات النفس ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾وهذا بعينه ما يقوله الغرب فلا وجود ولا اعتبار للآخرة في حياتهم وانما خلقنا لنتمتع ولنعبَّ من الشهوات أكبر قدر ممكن ولو على حساب كل القيم والمثل التي تليق بالإنسان لذلك فهم يعادون الإسلام وبعيدون عن الحق والصواب لان الإسلام يحاسبهم ويمنع من ممارساتهم الخاطئة ويدعو إلى مواجهتهم). (٢)

ح) معرفة المؤمنين بكفره، ورمزية الكتابة التي بين عينيه:

(مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) فان هذه الكتابة ليست من جنس الكتابة وانما هي تعبر عن معرفة المؤمنين بكفر المنحرفين ونفاقهم وهذا لا يتوقف عن كون الإنسان قارئاً وكاتباً أولم يكن ومن المعلوم اختصاص هذه المعرفة بالمؤمنين (يقرأه كل مؤمن) لأنهم يعرفون الميزان الحقيقي العادل لتقييم الناس وأما المنحرفون فهم لا يقرءون هذه الكتابة وان كانوا على درجة كبيرة من الثقافة لانهم مماثلون لغيرهم في الكفر والانحراف ،ومن الطبيعي أن لا يرى الفرد أخاه في

(١) يُنظر المصدر نفسه.

(٢) يُنظر المصدر نفسه.

العقيدة كافراً. وأنت تجد اليوم كل مؤمن بالله والمثل الإنسانية العليا وإن لم يكن مسلماً يشمئز ظلم أمريكا والكيان الصهيوني ويستهجن استعلائهم وعنجهيتهم واستهتارهم بهذه القيم حتى ان العشرات من مفكري ومثقفي أمريكا وقّعوا وثيقة أرسلوها إلى نظرائهم الأوربيين اعترضوا فيها على وصف الحرب التي أعلنتها أمريكا ضد ما يسمى بالإرهاب بالعادلة وان من يعادي الولايات المتحدة وهو محور الشر وطالبوهم بعدم الخشية من إعلان مثل هذا الرأي خوفاً من إلصاق تهمة الشر بهم وفي مقابل ذلك يوجد من أعمته المادة كالمفكر – حسب ما يصفونه – "البريطاني كوفر" الذي يُعد من أشد المساندين لسياسة بلير يقسّم في مقال بثّه عبر الإنترنت العالم المعاصر إلى متحضر ومتخلف ويدعو إلى تطبيق القانون على الأول فقط أما الثاني فتطبق بحقه شريعة الغاب والعنف والاستعباد لأنهم خطر على العالم المتحضر فأين هذا من مبدأ الإسلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ من دون استثناء). [1]

ط) رمزية مكة والمدينة واستثنائهما من فتنة الدجال:

(ولا يبقى شيء من الأرض إلا وطأه وظهر عليه إلا مكة والمدينة) وهو ما حدث فعلاً بالنسبة إلى انتشار الفكر الغربي والتأثر والانبهار به والتقليد الأعمى له في كل البسيطة فليس هناك دولة في العالم اليوم لا تعترف بالاتجاهات العامة للفكر والقانون الغربي. وأما استثناء مكة والمدينة فهو يعني ان الفكرة الإلهية المتمثلة بمكة والفكرة الإسلامية المتمثلة بالمدينة المنورة لا تنحرف بتأثير المد الغربي بل تبقى صامدة محفوظة في أذهان أهلها وإيمانهم وهذا يدل على انحفاظ الحق في الجملة بين البشر وإن الانحراف لا يشمل البشر أجمعين وإن كانت نسبة أهل الحق إلى غيرهم

(١) يُنظر المصدر نفسه.

كنسبة مكة والمدينة إلى سائر مدن العالم كله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وهذا مطابق لما يقتضيه التخطيط الإلهي لليوم الموعود من بقاء قلة من المخلصين الممحصين المندفعين في طريق الحق وأكثرية من المنحرفين والكافرين ويكون لأولئك القلة المناعة الكافية ضد التأثير بالأفكار المادية والشبهات المنحرفة بل ان هذه الشبهات لتزيدهم وعياً وإيماناً وإخلاصاً ، ولا يزال الغربيون حريصين على انتهاء رموز الإسلام هذه، قال المبشر وليم جيفورد: (متى توارى القرآن ومدينة مكة[1] من بلاد العرب يمكننا حينئذٍ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه) فهدفهم إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم وتفتيت الوحدة الإسلامية وتمزيقها وهذا هو معنى ما ورد في بعض أخبار الدجال من منعه عن مكة والمدينة بواسطة ملك بيده سيف مصلت يصده عنها وان على كل نقب ملائكة يحرسونها . فإن تشبيه العقيدة الإسلامية بالملك ومناعتها بالسيف ما لا يخفى لطفه واما كون الملائكة على كل نقب فهو يعني الإدراك الواعي للمؤمن بأن في الإسلام حلاً لكل مشكلة وجواباً على كل شبهة فلا يمكن لشبهات الآخرين أن تغزو فكره او تؤثر على ذهنه ومن هنا تبرز المسؤولية العظيمة الملقاة على العلماء والفضلاء من أبناء الحوزة العلمية الشريفة في الوقوف بوجه الشبهات وردّها والدفاع عن الإسلام العظيم وسد الثغرات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية وحتى الاقتصادية التي يمكن أن ينفذ العدو من خلالها، أليسوا هم (حصون الإسلام) كما تصفهم الأحاديث؟. فما هو دور الحصن غير حفظ الكيان ومنع هجمات العدو و أليسوا هم (أمناء الرسل) فإذن قد ائتمنهم الرسل على كل المسؤوليات التي تحملها أولئك الكرام وبالمقابل على الأمة أن

(١) يريد بالقرآن الفكر والوعي ويريد بمكة وحدة المسلمين وعقيدتهم.

تلتف حول علمائها وتلجأ إليهم في كل صغيرة وكبيرة وإلا ضاعوا وضلوا ووقعوا في فتنة الدجال من حيث لا يشعرون.

ومن أجل هذه الخصائص الخطيرة للدجال التي قلّ من ينجو من الوقوع في فخوخها، حذّر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمته منه واستعاذ من فتنته لأجل أن يأخذ المسلمون حذرهم على مدى التأريخ من النفاق والانحراف والمادية بل قد حذر كل الأنبياء(عليهم السلام) أممهم من فتنة الدجال لما سبق أن فهمنا ان المادية السابقة على الظهور هي من أعقد واعمق الماديات على مدى التاريخ البشري (ما بين خلق آدم إلى يوم القيامة) وتشكل خطراً حقيقياً على كل الدعوات المخلصة للأنبياء أجمعين ونحن بدورنا نحذّر من الوقوع في شراك الحضارة الزائفة التي يدعيها الغرب ويخفي في داخلها السم الزعاف وادعوا الذين انبهروا بهم فقلدوهم في أفكارهم وسلوكياتهم ونظرتهم للحياة حتى عادوا يتباهون بهذه التبعية ويتبجحون بها وأخص بالذكر أساتذة الجامعات والمثقفين والشباب وأطلب منهم أن لا ينخدعوا بالظاهر بل لينظروا بعين البصيرة فانهم نخبة المجتمع والقادرون على توجيهه، وأنا لا أقول بالتقاطع التام مع الغرب لأن عندهم ما هو نافع كالعلم والتكنولوجيا ولكن لا يلزم من ذلك التبعية الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والقانونية فان عندنا شريعة وضعها خالق البشر والعالم بما يصلحهم والقادر على إسعاد البشرية في كل زمان ومكان ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. والأعور الدجال رمز الحضارة الغربية بالرغم من ذلك كله (أهون على الله من ذلك) باعتباره حقيراً أمام الحق والعدل مهما كانت هيمنته الدنيوية وسعة سلطته وليس وجوده قدراً قهرياً أو أثراً تكوينياً اضطرارياً وإنما وجد من أجل التمحيص والاختبار بالتخطيط الإلهي العام وسوف يزول عندما يقتضي هذا

التخطيط زواله ، عند الظهور وتطبيق يوم العدل الموعود ومن هنا نفهم انه لا تعارض بين الخبر الدال على إن معه جبل خبز ونهر ماء والخبر الدال على انه أهون على الله من ذلك ، فإن هوانه عند الله لا ينافي حصوله على السلطة والإغراء أخذاً بقانون التمحيص والإمهال الإلهي طبقاً لقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْس كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾). [1]

(١) يُنظر المصدر نفسه.

مسؤوليات وواجبات مراجع الدين العدول وأصحاب النيابة العامة زمن الغيبة

عندما قُدر للأمام الثاني عشر (عليه السلام) من أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) أن تكون إمامته إمامة غير ظاهرية وتكتنفها الخفاء والغيبة عن أنظار الناس عَمَدَ (عليه السلام) إلى تعيين وكلاء عنه يعينوه على أمر قيادة الأمة وإصلاح شأنها ويوصلون إلى المجتمع الأحكام والتكاليف الشرعية ويحلون مشكلاتهم المختلفة وغير ذلك من الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عواتقهم زمن غيبته الشريفة، ونظام الوكالة هذا على نوعين:

النوع الأول: هي الوكالة الخاصة والتي أُطلق عليها بالسفارة وهي خاصة بزمن الغيبة الصغرى، حيث عيّن الإمام المهدي (عليه السلام) أشخاصاً مُعينين واحداً بعد آخر حتى انتهت مدة هذه السفارة التي استغرقت قرابة السبعين عاماً.

أما النوع الثاني من هذه الوكالة فهي؛ الوكالة والنيابة العامة زمن الغيبة الكبرى حيث تم تعيينهم من قِبل أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) بالأوصاف والمؤهلات فمن انطبقت عليه هذه المؤهلات من العلماء والفقهاء العدول فهو يستحق حينئذ لقب نائب الإمام المهدي (عليه السلام)، طبعاً بالنيابة العامة وليس بالنيابة الخاصة ولهؤلاء النواب واجبات ومسؤوليات، كما أن لهم حقوقاً ومميزات، ولو أنهم قصروا في ذلك لكانوا ممن ينطبق عليهم قول الله تبارك وتعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)[1]، لأن (المسؤوليات

(١) المطففين، (١-٣).

والحقوق والواجبات متبادلة بين القيادة والأمة، ويوجد تلازم بينها ولا تأخذ إلا بمقدار ما تعطي ونرفض أن تركّز القيادة على جانب الامتيازات فتتحدث عن وجوب الطاعة والانقياد وتترك جانب الواجبات والاستحقاقات والعطاء للأمة مما تقدم ذكره، فإن هذا عين التطفيف في المعايير الذي قال عنه تعالى [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ] فإن هذه الحالة غير مختصة بميزان البيع والشراء بل تشمل كل التعاملات، فالأب الذي لا يقوم بواجباته تجاه أسرته ويطالبهم باستحقاقات الأبوّة هو من المطففين، والمسؤول الذي يتنعم بامتيازات موقعه ولا يقدم الخدمات المطلوبة منه للمجتمع هو من المطففين). [1]

وقال سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) أيضاً في موضع آخر بما يخص موضوع نيابة الإمام المهدي (عليه السلام) في زمن غيبته الشريفة ودورهم خلال هذه المدة: (قد أدى الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم) دورهم في هداية الأمة وصيانة عقيدتها وأخلاقها من الانحراف، ودافعوا عن دولة الإسلام وضحوا في سبيل الله والمستضعفين من الناس وأرشدوهم إلى ما يصلح حالهم. وبعد انتهاء عصر القيادة الظاهرة للأئمة جاء دور العلماء المجتهدين الجامعين لصفات وخصائص هذا الموقع الشريف، ليكونوا سفن النجاة بأمر من الأئمة حيث وصفوا العلماء بأنهم (أمناء الرسل وحصون الإسلام) فهم الأمناء على مسؤوليات الرسل، والأولى باستحقاقاتهم وجعلوا قولهم حجة على الناس جميعاً (هؤلاء حجتي عليكم وأنا حجة الله والرادّ عليهم كالراد علينا). وقد ورد تسمية مثل هؤلاء الفقهاء الأمناء سفن نجاة في الرواية التالية، فقد كان زرارة بن أعين من أعظم الفقهاء الذين رباهم الإمامان الباقر والصادق

(١) خطاب المرحلة، المرجع اليعقوبي، ج٤، خطاب رقم (٨٥)، بعنوان: (شُقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة).

(عليه السلام) وأوسع الأوعية لحمل علمهما، ومع ذلك فقد صدرت من الإمام الصادق (عليه السلام) كلمات ذم في حق زرارة لم يفهم فلسفتها الكثيرون، وقد شرح الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك بما روي عن عبد الله بن زرارة قال: قال لي أبو عبد الله (الصادق) (عليه السلام): اقرأ مني على والدك السلام وقل له: إني إنما أعيبك دفاعاً مني عنك فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى في من نحبُّه ونقرّبُه ويرمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون كلَّ من عبناه نحن فإنما أعيبك لأنك رجلٌ اشتهرت بنا وبميلك إلينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر بمودّتك لنا ولميلك إلينا، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دافع شرهم عنك. يقول الله عز وجل [أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً] (الكهف:٧٩) هذا التنزيل من عند الله صالحة لا والله ما عابها إلا لكي تسلم من الملك، ولا تعطب على يديه ولقد كانت صالحة ليس للعيب فيها مساغ والحمد لله، فافهم المثل يرحمك الله، فإنك والله أحبُّ الناس إليَّ وأحب أصحاب أبي حياً وميتاً. فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر، وإن من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينةٍ صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً ثم يغصبها وأهلها ورحمة الله عليك حياً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً)[1] ...إن سفن النجاة من الفتن هم العلماء المجتهدون الجامعون لصفات ومميزات القيادة، والتي قسمناها في بعض كلماتنا إلى ثابتة ومتحركة. . . وهم الذين يحددون للأمة المواقف والتصرفات الصحيحة إزاء الفتن والقضايا التي تتعرض لها، فقد يكون تكليف البعض الانزواء والسكون، وقد يكون تكليف البعض الاقتحام

(١) معجم رجال الحديث: ٢٢٧/٧.

والمواجهة بكل أشكال المواجهة أو بعضها. وفي ضوء هذا يجب أن نفهم الأحاديث الشريفة مثل قول الإمام (عليه السلام): (كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب) لأنه لو كان تكليف الجميع هو الانزواء والانعزال فمن الذي سيرد على هذه الشبهات ويرد كيد المضلّين ويحمي الأمة من الضياع والتخبط، وهي وظيفة العلماء والرساليين الذين حصّنوا أنفسهم وسلّحوا عقولهم بالعلم وقلوبهم بالمعرفة، أما من لا يمتلك الحصانة الكافية فإن عليه أن يحفظ نفسه ودينه بالسكون والانعزال إزاء الفتن). [1]

ونستعرض فيما يلي أهم المسؤوليات والأمور المتعلقة بنائب الإمام المهدي (عليه السلام) بالنيابة العامة في زمن الغيبة الكبرى وفقاً لرؤية المرجع اليعقوبي (دام ظله) ونظرته لهذه المسؤولية العظيمة وحساسيتها تجاه القضية المهدوية وتجاه المجتمع، والتي نستشفها من خلال كلماته المباركة التالية:

أولا) كيف يتم تعيين نائب الإمام المهدي (عليه السلام)؟

- (تعيين الائمة المعصومين (عليهم السلام) يكون بالنص من الله تبارك وتعالى وتوجد نصوص وفيرة تذكرهم على نحو المجموع وأخرى تعينهم فرداً فرداً وقد جمع عدداً كبيراً منها الشيخ الكليني في أصول الكافي أما نوابهم فهم معينون بالأوصاف والشروط فمن انطبقت عليه بحسب شهادة أهل الخبرة العارفين فهو نائبهم بالحق. والشروط هي، الاجتهاد والعدالة في أعلى صورها والكفاءة في القيادة، ومن اعتقد بحجية أوامر شخص لاجتماع الشروط فيه وجبت طاعته وحرمت مخالفته. أما التسديد الذي من آثاره الرحمة واللطف بالعباد وإجراء ما

(١) خطاب المرحلة، ج٤، ص٨٦ وما بعدها ، خطاب رقم(٨٥)، بعنوان: (شُـقّـوا أمواج الفتن بسفن النجاة).

هو خير لهم فإنه من الصفات الإلهية الذاتية وقد لا يستحق المتصدي لأمر ذلك لأنه ليس أهلاً وقد تقمصها بغير استحقاق إلا أنه ما دام قناة لإجراء هذه الآثار للأمة فإن الله تعالى يجريها وهو أحد نتائج الحديث الشريف: (ان الله يؤيد هذا الدين برجال لا خلاق لهم) لكن الذين يختارهم الله تعالى لموقع المسؤولية الشريفة فان الله تعالى يتولاهم برعايته ويسددهم ويلهمهم الخير(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ) لطفاً بهم وبالأمة). [١]

- (لا يمكن إطلاق لقب (نائب الإمام) على كل مجتهد عادل حتى لو كان مرجعاً تتوفر فيه الشروط الأخرى المذكورة في الرسالة العملية، ما لم ينهض بأعباء ومسؤوليات الإمام(عليه السلام) الواسعة بحسب استعداداته وقابلياته الناشئة من الفوارق الذاتية بين المعصوم وغيره؛ لأن ذلك مقتضى معنى النيابة، وهذا واضح في سائر المواقع كالوظائف السياسية والإدارية فإن النائب يقوم بواجبات المنوب عنه في غيابه، أما إذا كان يتمتع بالامتيازات أكثر مما يقوم به من الواجبات فهذا مصداق للمطففين الذين وعدهم الله عز شأنه بالويل العكس من ذلك فإنها لا تكتفي بعدم التقدم بل تتراجع وتفرّط بما مكّنها الله تبارك وتعالى من إمكانيات وتضيّع هذا الرصيد الضخم فإنا لله وإنا إليه راجعون). [٢]

ثانيا) الفرق بين الوكالة والنيابة العامة عن الامام (عليه السلام):

- (يتضح الفرق عند التأمل في حديثين وردا في فضل العلماء، أحدهما قول الإمام (عليه السلام): (العلماء ورثة الأنبياء) وثانيهما (الفقهاء أمناء الرسل) بضميمة ما رواه أمير

(١) المعالم المستقبلية للحوزة العلمية، الشيخ اليعقوبي (دام ظله).

(٢) خطاب المرحلة، ج٦، خطاب رقم (٢٦٢)، بعنوان: (الفقهاء ونيابة المعصومين (عليهم السلام).

المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه: (الفقهاء قادة) فالعلماء بما تحملوا من علوم هم ورثة الأنبياء، أما إذا تحركوا بهذا العلم في واقع حياة الناس لإقناعهم بالرسالة الإلهية استحقوا أن يكونوا أمناء للرسل حملة الشرائع السماوية وامتداداً لدورهم الرسالي، فالفرق بين العالم والفقيه الذي يستحق قيادة الأمة وولاية أمورها كالفرق بين الأنبياء والرسل الذي هو معلوم، واستحقوا بذلك أن يكونوا قادة للأمة ونواباً لأصحاب الرسالات المعصومين (سلام الله عليهم) وهذا الفرق بين نيابة المعصوم (عليه السلام) والوكالة عنه بالرغم من أنه على مقتضى القاعدة التي قربناها، وأنه لا دليل عندهم على أن كل عالم مجتهد عادل تتوفر فيه شروط التقليد هو نائب عن الإمام، وكل الذي ورد هو تخويله ببعض الأمور كالإفتاء والقضاء بين الناس -كما في مقبولة عمر بن حنظلة- ولا تصلح النيابة إلا لمن تحمل وظائف الإمام (عليه السلام) في حياة الأمة، أقول بالرغم من ذلك كله فقد دلت عليه بدقة رواية معتبرة. فقد روى المحقق الثقة الشيخ عباس القمي في كتابه المعروف (مفاتيح الجنان) عن الميرزا حسين النوري (قدس سره) صاحب مستدرك الوسائل حادثة لقاء الحاج علي البغدادي (الذي وصفه بالسعيد الصالح الصفي المتقي) وأوردها النوري في كتابيه (جنة المأوى) و(النجم الثاقب) ولها فوائد جليلة، ومحل الشاهد منها أن الحاج البغدادي لما أخبر صاحبه في الطريق -وهو لا يعرفه أنه الإمام المهدي (عليه السلام)- أنه أعطى جزءاً من حقوقه الشرعية إلى الشيخ الأنصاري (قدس سره) وجزءً إلى الشيخ محمد حسين الكاظمي - صاحب هداية الأنام - وادّخر جزءاً لإعطائه إلى الشيخ محمد حسن آل ياسين الكاظمي، فقال له(عليه السلام): (نعم قد أبلغت شطراً من حقنا إلى وكلائنا في النجف الأشرف) إن هذا التفريق الذي نذكره بين العنوانين ليس مسألة اختلاف في الألفاظ أو

العناوين بل له واقع وحقيقة من خلال المواقع والوظائف التي له الحق في التصدي لها، إذ ليس لغير من ينطبق عليه عنوان نائب المعصوم (عليه السلام) ولاية أمر المسلمين أو قيادة الأمة أو اتخاذ القرارات العامة ما لم يتحمل مسؤولية العنوان ويتحرك به في تمام ما يقتضيه من وظائف ولا يكفي فيه مجرد الادعاء). [1]

ثالثاً) صفاته ومؤهلاته:

- (من علامة اختيار القائد للأمة استشعاره المنن الإضافية، وإحساسه الوجداني بالفيوضات الإلهية، ليس على صعيد العلم والمعرفة بالله سبحانه، بل في سائر الملكات النفسية الشريفة: كالورع، والتقوى، والشجاعة، والصبر، والحلم، وكظم الغيظ، والكرم، والقناعة، والغنى عما في أيدي الناس، وقطع الأمل عما سوى الله تبارك وتعالى، وهي أمور تُحَسُّ بالوجدان، ويعتبر تحققها إذناً من قبل الله سبحانه، واختباراً منه تبارك وتعالى لهذا المنصب الشريف، وعندئذ يرعاه الله بعنايته، ويسدد خطاه، ويجري الخير عليه، وإذا تهالك على هذا المنصب وتنافس عليه فسيتخلى الله سبحانه عنه، ويوكله إلى نفسه تطبيقاً للحديث (من اختاره الله سبحانه لأمر أعانه الله عليه، ومن اختار لنفسه وكَّله الله إليها). ولأن هذا الأمر وجداني غير قابل للاستدلال؛ أذكر المزيد من الشواهد على كون هذه الحالة الوجدانية التي يسكبها الله تعالى في قلب من يختاره شرطاً للإذن في التصدي للمواقع الشريفة، ومنها ما ورد في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، أنك تقف على الباب، وتستأذن، فإذا خشع قلبك، ودمعت عيناك، فهي علامة الإذن بالدخول. وينقل عن بعض أهل المعرفة أنه قدم للزيارة فقرأ الاستئذان ورجع ولم يدخل،

---

(١) المصدر نفسه.

وكررها ثانياً، ودخل في الثالثة، فقيل له في تفسير ذلك، قال: لأنني لم أحصل على الإذن في الدخول إلا في الثالثة، بهذه العلامات الوجدانية). [١]

- (للزعامة والقيادة والرئاسة على الناس شروط ومواصفات وخصائص يجب توفّرها ليكون مؤهلاً لهذا الموقع الشريف والروايات في ذلك كثيرة لا يسع المجال ذكرها، وإنما نورد شيئاً منها للاتعاظ والتدبر. . ومن تلك الشروط: توفّر ملكة الاجتهاد والإحاطة العلمية التامة بأصول الشريعة وكيفية تحصيل الحكم الشرعي والموقف إزاء أي قضية تواجه الأمة من تلك المصادر، فعن العيص بن القاسم قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم، فوالله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجه ويجيء بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها، والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية تعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم، إن أتاكم آت منا فانظروا على أي شيء تخرجون). . ومن مؤهّلات الزعامة: الخصائص والملكات النفسية والمعنوية، عن الإمام الباقر(عليه السلام): (إن الإمامة لا تصلح إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن المحارم، وحلم يملك به غضبه، وحسن الخلافة على من وُلّي حتى يكون له كالوالد الرحيم). [٢]
- كما لخَّص المرجع اليعقوبي (دام ظله) صفات وخصائص من يتولى أمر الأمة تأسياً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصفات الآتية:

---

(١) الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين، الشيخ اليعقوبي (دام ظله)، ص٩٢.

(٢) خطاب المرحلة، ج٧، بعنوان: (احذروا مدّعي الزعامة بغير حق).

(الصفة الأولى: التذكُّر الدائم لقدرة الله عليه والتصرف بحاله.

الصفة الثانية: الإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها وزبرجها.

الصفة الثالثة: المبدأية، وهي صفة تختصر عناوين كثيرة كالثبات على الحق، وصلابة الإرادة، وعلو الهمة، ورباطة الجأش، وقوة القلوب، وشجاعة النفس، وعدم التزلزل والتراجع مهما كانت الضغوط الخارجية عظيمة، ومهما كانت المغريات كبيرة.

الصفة الرابعة: سعة الصدر، وفي الحديث (آلَةُ الرِّئَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ). . . ومن لا يجد في نفسه هذا الاستيعاب لاستحقاقات الموقع فلا يتصدى لمثل هذه المناصب الشريفة والمقامات الشامخة.

الصفة الخامسة: التواضع، ولا يتميز عن أصحابه بمأكل، ولا بملبس، ولا بمجلس، وإذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس.

الصفة السادسة: الرحمة ورقة القلب، والرأفة بالمؤمنين، ومشاركتهم في آلامهم وهمومهم، يصف القرآن الكريم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بأنه (عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) فيؤلمه ويعز عليه أن يصيب العنَتَ أحداً من المؤمنين، وهو حريص عليكم، فكان يودُّ أن يؤمن جميع الناس، ويدخل كل البشر الجنة.

الصفة السابعة: الإحساس الوجداني بالتسديد الإلهي، وشموله بالرعاية الربانية، وعدم انقطاع اللطف الإلهي عنه. . من خلال تحقق علامات وجدانية باطنية يحسها الشخص حين اختياره لقيادة الأمة وولاية أمرها وحمل امانة الأنبياء. . ومن هذه العلامات استشعار هيبة وخشية إضافية لله سبحانه عند تشريفه بمنصب إلهي كبير، عَنْ هَارُونَ بْن الْفَضْل قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا الْحَسَن عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَضَى أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام)، فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ عَرَفْتَ؟، قَالَ: لأَنَّهُ تُدَاخِلُنِي ذِلَّةٌ لِلَّهِ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهَا). . ويبقى هذا العطاء

الإلهي مستمراً ومحسوساً، مادام في هذا الموقع، إن كان تلبُّسه به حقيقياً لا ادعاءً وتقمصاً.

الصفة الثامنة: الحياة في ظل القرآن، فما من قائد ومصلح يسعى لإنجاح مسيرته إلا ويجب عليه أن يعيش مع القرآن بكل كيانه ويتزود منه، فإنه (تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ)،و(ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ). . . فإن الحياة في كنف القرآن كفيلة باطلاع القائد وتزويده بما لا غنى عنه.

الصفة التاسعة: التحلّي بالأخلاق الفاضلة، وتهذيب النفس، وتطهير القلب من الرذائل.

الصفة العاشرة: قوة العاطفة.

الصفة الحادية عشرة: الأبوية.

الصفة الثانية عشرة: عدم خلق المبررات للتقاعس عن المسئولية، كالاعتذار بقلّة الأنصار، أو، قلة الإمكانيات، أو عدم وجوده على رأس الهرم، وقمة القيادة الدينية، أو السياسية.

الصفة الثالث عشرة: الحذق والفراسة، ودقة النظر في الأمور، ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِن، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

الصفة الرابع عشرة: الإلتفات وعدم الغفلة.

الصفة الخامس عشرة: عدم الإغترار بالمنصب والجاه، وكثرة الأتباع ، وحَذَّر (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك بقوله: (إنما أهلك الذين من قبلكم خفق النعال من ورائهم). . . فإن أعظم الأمراض القلبية: حب الجاه، والتسلُّط، والرئاسة، والملك ، وولاية امر الامة، وسائر العناوين البراقة، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (آخر ما يُنزع من قلوب الصدِّيقين حَبُّ الجاه) وهو داء أهلك الكثيرين، وأوردهم النار عن علم وعن عمد، وبئس الورد المورود.

الصفة السادس عشر: النجاح في اجتياز الابتلاءات التي لا بُدَّ منها في هذه الدنيا، وإجراءً لسنن الله تبارك وتعالى في مخلوقاته، ولكل مسئولية وموقع ابتلاءات وامتحانات لا بُدَّ من تجاوزها، والغرض منها تأهيل الشخص لذلك المقام الذي يريد الله تبارك وتعالى أن يعطيه إياه). [١]

رابعا) وظائفه وواجباته وصلاحياته:

- (الامام (أو نائبه بالحق) يجب أن يواجه الفلسفات والتيارات الفكرية التي تعصف بالمجتمع بما يفندها ويعري زيفها من الاصول الإسلامية ولكل زمان ما يناسبه من الأدلة التي تنسجم مع الاتجاهات الفكرية العامة فيه وتستند على المبادئ الاصيلة للدين الحنيف). [٢]
- (المرجع الذي لا يتحرك بالمشروع الإلهي ولا ينزل إلى أرض الواقع ليقنع الناس به ويأخذ بأيديهم في طريق الهداية والصلاح والتكامل لا يصلح أن يكون نائباً للمعصوم حتى لو طبع رسالة عملية تاركاً الخيار للمكلفين إن شاءوا أخذوا بها أو لم يأخذوا وينتظر من يراجعه ولا يتحرك هو إليه بشكل من الأشكال. لأن غاية ما تؤديه هذه الأمور إراءة الطريق والعمل على نطاق محدود وهي وظيفة الأنبياء وطوبى لمن وصلها، لكن الإمام هو من لا يقتصر دوره على ذلك وإنما يأخذ بأيدي الناس ويوصلهم إلى الهدف كمن لا يكتفي بدلالة التائه الذي لا يعرف الطريق الذي يوصله إلى ضالته، وإنما يصطحب هذا التائه ويوصله إلى هدفه، وهذه هي وظيفة أصحاب الرسالات وهم الرسل والأئمة (عليهم السلام)، فنائب الإمام

---

(١) الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين، الشيخ اليعقوبي (دام ظله)، ص٥٩.

(٢) دور الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) في الحياة الإسلامية، الشيخ اليعقوبي (دام ظله).

يرث منهم هذه المسؤوليات الواسعة). [١]

- (إنّ الفقيه الجامع للشرائط لما كان نائباً عن الإمام المعصوم (عليه السلام) بالنيابة العامة لا الخاصة التي تعني تعيينه بالنص من قبل الإمام فله كل الصلاحيات والوظائف التي جعلها الله تبارك وتعالى للإمام (عليه السلام) مما يرجع إلى تدبير شؤون الأمة ديناً ودنياً والتي يتعذر على الإمام المعصوم الحجة الغائب القيام بها لمنافاتها لمقتضى المصلحة الالهية بإخفاء امره على الناس، ويستثنى منها الوظائف الخاصة بالإمام كالتبليغ عن الله تبارك وتعالى والصفات الخاصة بالإمام كالعصمة. والدليل على هذه الولاية لنائب الإمام – في حال غيبته– هو نفس الدليل على وجوب وجود الإمام نفسه وهو حكم العقل بوجوب نصب إمام ومرجع يحفظ البلاد وينظّم أمور العباد الدينية والدنيوية وقد عبّر أمير المؤمنين عن هذا الوجوب بقوله: (لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلّغ الله فيه الأجل، ويجمع به الفيء، ويُقاتَل به العدو، وتأمن به السُبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بَرٌ ويُستراحُ من فاجر) ومع ثبوت هذه اللابدّية فيلزم منها جعلها من قبل الله تعالى ولا بد أن تكون للفقيه العارف بالقانون الإلهي والقادر على استنطاق مصادر التشريع والأخذ منها وأن يكون بدرجة عالية من النزاهة وعدم الانسياق وراء أهواء النفس والترفع عن الدنيا والذوبان في الله تبارك وتعالى بحيث يعيش معه في كل وجدانه وأن يكون متخلقاً بأخلاقه تبارك وتعالى). [٢]
- (لا ينبغي للفقيه أن يفهم دوره كمفتي ينتظر من يسأله عن مشكلة ما فيعطيه حلها أو يكتب رسالة عملية قلَّ من يفهمها بل يجب عليه ان يعرف انه قائد تنتظر منه

---

(١) خطاب المرحلة، ج٦، خطاب رقم (٢٦٢)، بعنوان: (الفقهاء ونيابة المعصومين (عليهم السلام)).

(٢) رسالة سُبل السلام، الشيخ اليعقوبي (دام ظله) باب الاجتهاد والتقليد، وظائف ولي أمر الأمة.

الأمة الكثير وهي تلتف حوله وتتفانى في حبه بمقدار ما يؤدي من هذا الدور لا من الدور الأول مهما كان ثقله وعليه ان يتحرك نحو المجتمع ولا ينتظر ان يتحرك المجتمع اليه ويقصده).[١]

وقد لخص المرجع اليعقوبي (دام ظله) في رسالته العملية الموسومة بـ (سُبل السلام) وظائف الولي الفقيه تجاه الأمة ضمن عدة نقاط وهي كالتالي:

١- رعاية شؤون الأمة -كياناً وأفراداً- ومصالحها وحل مشاكلها وقضاء حوائجها.

٢- الدفاع عن حقوق الأمة في جميع النواحي الدينية والاقتصادية والسياسية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية.

٣- المحافظة على وحدتها وتماسكها وصيانة عزّتها وكرامتها.

٤- هدايتها إلى الكمال وإرشادها وتوجيهها إلى ما يسعدها ويصلح حالها في الدنيا والآخرة.

٥- الوقوف في وجه الظلم والفساد والانحراف وتفعيل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- القيام بما يتوقف عليه حفظ النظام الاجتماعي العام.

٧- التصدي للوظائف الاجتماعية التي لا يجوز تأديتها اعتباطاً كإقامة صلوات الجمعة وتنظيم العمل المسلح وتحديد مصارف الأموال العامة ومستحقيها ومراعاة العدالة في الاستفادة من الثروات الطبيعية والأراضي العامة ونحوها.

٨- التدخل لتشخيص الشبهات الموضوعية التي ليست هي من وظائف المفتي لكنها من وظائف القائد وولي أمر الأمة كإثبات أوائل الشهور وكانتهاك المقدسات

---

(١) المعالم المستقبلية للحوزة العلمية، الشيخ اليعقوبي (دام ظله).

الموجب للدفاع المسلح ونحوه. [١]

خامسا) أهمية وجوده، واضرار غيابه عن الساحة:

- (إن غياب القائد والموجه المتمثل بالمرجع الفذ له الأثر الكبير في خمود النصوص وجمود الشعائر وعدم فاعلية هذه المحاضرات الملقاة في المجالس الحسينية لعدم الحضور القيادي عن يمينها وشمالها خير شاهد على ذلك إن القران الكريم هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم وفيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا والحكم فيما بيننا ومع ذلك فهو لا يضيء الدرب لوحده ولا يروي الظامئ ما لم يكن إلى جانبه قرناؤه وتراجمته وهم آل محمد ومعلوم ان امتداد إمامتهم مناطة بالفقهاء العدول وليست المجالس الحسينية بأعلى شأناً من القرآن الكريم، لذا فلا يتوقع منها أن تؤتي أكلها مع عدم ارتباطها بالمرجع المشرف ولذا أصبحت توجيهات هذه المجالس غير عاملة في المجتمع بل كانت معطلة من حيث التطبيق). [٢]
- (يفرز تصدي غير المؤهلين (لولاية أمر الأمة) عدة آثار خطيرة، هي: تشوّه صورة الإسلام نفسه، وتجرّي أعداء الإسلام وانفتاح باب الطمع بهذا المنصب الشريف لكلّ محبي الرئاسات والجاه واتباع الهوى بعد ان اصبح نيله ليس بالاستحقاق وفق معايير الرسالة). [٣]

---

(١) يُنظر المصدر نفسه.

(٢) المعالم المستقبلية للحوزة العلمية، الشيخ اليعقوبي (دام ظله).

(٣) يُنظر من وحي الغدير، ويُنظر الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين، الشيخ اليعقوبي (دام ظله)، ص١٧٩. (بتصرف)

سادسا: ما يجب على المجتمع حياله، ونتائج عدم طاعته:

تتعلق عدة مسؤوليات بعاتق المجتمع تجاه نائب الإمام المهدي (عليه السلام)، وهذه الواجبات والمسؤوليات أشار إليها المرجع اليعقوبي (دام ظله) في العديد من كلماته المباركة، نذكر فيما يلي بعض النماذج:

- (وجوب نصرة الأمة للفقيه الجامع للشرائط القائل بالولاية حتى يُمكّن له في الأرض ويُفعّل ولايته ويقيم شرّع الله تعالى بمقدار ما يتيسّر له أي لتحقيق الآية الشريفة: (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ) ونصرته تكون بنصرة أتباعه الذين يعملون بتوجيهاته وينفذون مشاريعه على أرض الواقع). [1]
- (. . . إذا تاهت الأمة واضطربت وتخبطت وتمزقت فبسبب تخلّفها عن تعاليم قيادتها الرشيدة، وإلا فإن التخطيط الإلهي لم يغفل معالم طريق النجاة وقد تحصّل أن على الأمة مرحلتين من التكاليف أمام قيادتها: الأولى: الفحص عن القائد الذي تجتمع فيه الصفات والخصائص التي اشترطها المعصومون (عليهم السلام) من الاجتهاد، والعدالة، والترفّع عن الدنيا والأنانية والاستئثار، وأن يستشعر حب الناس جميعاً والشفقة عليهم، وأن يكون واعياً ومحيطاً بقضايا الأمة وبصيراً بما يكتنفها، وقادراً على تشخيص العلل ووضع الحلول والعلاجات المناسبة لها، وقد أشرنا إلى ذلك في كلمات سابقة أكثر تفصيلاً، فإذا وجدت الأمة مثل هذا الشخص عليها أن تبقى مراقبة له لئلا يزلَّ وينحرف والعياذ بالله. الثانية: وهي الطاعة والتسليم والنصيحة وبذل النصرة وعدم التقصير. وهذا هو ما نقصده بالتقليد الواعي أي عدم الارتباط

---

(١) خطاب المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (المشاركة في الانتخابات: استحقاق إنساني ووطني وواجب شرعي).

بالأشخاص وتقديسهم وإنما الذوبان في المبدأ ونرتبط بالشخص بمقدار تجسيده لتلك المبادئ مهما كان أصله وانتماؤه، ولا نقصد بالتقليد الواعي ما أسميه بالانتقائية أي الالتزام بما يعجبه من أوامر قيادته ومخالفة ما لا يعجبه، فهذا عين الانحراف والضياع وإذا كان عنده شيء يريد أن يقدّمه فإن أعظم هدية هي النصيحة، أما أن يجعل نفسه قيّماً على مواقف المرجعية فيحكم على بعضها بالصحة وعلى بعضها الآخر بالبطلان فهذا من خطل التفكير؛ لأن أي فرد لا يملك قدرة المرجع على استنباط الحكم من مصادر الشريعة وهي الكتاب والسنة، وتجتمع لدى المرجع خبرات عديدة ومستشارون متنوعون وعيون ترصد جميع مساحة العمل أما هذا الفرد وذاك فهو محدود من هذه الجهات. فالشذوذ عن خط المرجعية هو الخطأ الأكبر حتى لو تصورنا أن موقف المرجعية كان غير صائب لعدم ادّعاء العصمة، وعلى هذا ربّانا الأئمة المعصومون (عليهم الصلاة والسلام)، فلا يجوز لأي فرد من الأمة أن يحكّم مزاجه وأهواءه ويخضع لإسقاطاته النفسية).[1]

- (عندما تُولّي الأمة أمرها غير صاحب الحق الشرعي تنتج) النتائج السلبية الآتية: النتيجة الأولى: تصدي أُناس غير مؤهلين لإمامة الامة فمن المعلوم ان أية رسالة وأية ايديولوجية -بتعبير اليوم- لا بد أن يكون حاملها مستوعباً لها بشكل كامل فهماً وتطبيقاً بحيث تكون هذه العقيدة هي الموجهة له في كل سلوكه وتصرفاته وافكاره وعلاقاته.

النتيجة الثانية: فتح باب الاجتهاد مقابل النص أي الحكم والتشريع بالآراء الشخصية خلافاً للنص الالهي الحكيم وهو يعني ان الإنسان ينصب نفسه مشرعاً والهاً يطاع في

(١) خطاب المرحلة، ج٤، ص٨٦ وما بعدها ، خطاب رقم(٨٥): (شُقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة).

مقابل الوهية الله تبارك وتعالى الذي هو وحده له حق التشريع والحاكمية.

النتيجة الثالثة: عرقلة تربية الأمة وتكاملها.

النتيجة الرابعة: تمزق الامة وتشتتها وتفرقها شيعاً واحزاب (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) وهذه نتيجة طبيعية للابتعاد عن الامامة الحقيقية لأن سر تشريع الامامة هو تحصين الامة من التمزق والانحراف كما قالت الزهراء (عليها السلام) في خطبتها الشهيرة بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم): (وجعل امامتنا نظاماً للملة) أي تنتظم بها امورهم وتستقر.

النتيجة الخامسة: عزل الدين عن إدارة الحياة بكل أبعادها وتفاصيلها واقتصاره على الطقوس التعبدية والشؤون الفردية فقط.

النتيجة السادسة: حدوث الانفصال بين الامة والخلافة لان الامر لم يعد في نظر المتصدين أمر إصلاح وهداية وتكميل النفوس ونيل رضا الله تبارك وتعالى حتى تتعلق بهم الأمة وتهفوا اليهم القلوب، بل زعامة وملك ومصالح واستئثار واستعلاء.

النتيجة السابعة: تأخر ركب الحضارة الإنسانية بحيث احتجنا إلى أربعة عشر قرناً لكي نصنع الطائرة والكومبيوتر ونغزو الفضاء وكان يمكن لهذه الامور وغيرها مما لم يصل اليه العقل الإنساني إلى الان ان تتحقق قبل مدة طويلة لان اليد الالهية واضحة).[1]

(وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

(١) يُنظر من وحي الغدير، ويُنظر الاسوة الحسنة للقادة والمصلحين، الشيخ اليعقوبي (دام ظله). بتصرف واختصار.

الفهرس

مقدمة الكتاب ٣
ما هو الدليل العقلي والنقلي على وجود الإمام المهدي (عليه السلام)؟ ٧
كيف يمكن أن يبقى الإمام المهدي (عليه السلام) حياً كل هذه المدة؟ ١٠
أسباب غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ١٧
الإمام المهدي (عليه السلام) في مدرسة القرآن الكريم ٢٦
كيف نستثمر القضية المهدوية بشكل ايجابي، وماهي فلسفة الانتظار؟ ٤٥
علاقة الإمام المهدي (عليه السلام) بالسيد المسيح (عليه السلام) وسبب ادّخاره لليوم الموعود... ٥٦
رعاية الإمام المهدي (عليه السلام) لشيعته وبركة وجوده على أهل الأرض زمن غيبته..... ٦٥
١) الإمام المهدي (عليه السلام) واسطة للفيض الإلهي ٦٦
٢) الإمام المهدي (عليه السلام) وقطع الطريق على مدّعي المهدويّة ٦٧
٣) الإمام المهدي (عليه السلام) ودعائه للمؤمنين وتثبيتهم على الحق ٦٧
٤) الإيمان بالإمام المهدي (عليه السلام) مصدر حيويّة للمذهب ٦٨
٥) الإمام المهدي (عليه السلام) وإغاثة المؤمنين الملهوفين ٦٩
٦) الإمام المهدي (عليه السلام) وتسديد علماء الدين ٦٩
٧) إنه (عليه السلام) المُدافع عن الشيعة ٧٢
٨) إنه (عليه السلام) أمان لأهل الأرض جميعاً ٧٢
كيف ندخل السرور على قلب الإمام المهدي (عليه السلام) ونحظى برضاه؟ ٧٤
شكاوى الإمام المهدي (عليه السلام) من شيعته ٨٦
صفات المنتظِرين وتكاليفهم في زمن الغيبة الشريفة التي تُسهم بتقريب الظهور..... ٩٣
١) التعرف على الإمام المهدي (عليه السلام) وعلى أبعاد قضيته المباركة..... ٩٦

٢) العمل على تزكية النفس وتهذيبها ١٠٣
٣) التسلح بالعلم والمعرفة الهادفة ١١٠
٤) محاولة ايصال البشرية إلى القناعة التامة بالإسلام ١١٤
٥) تحقيق التكاتف والوحدة الاجتماعية ١١٦
٦) الحذر من الانزلاق في الفتن والانحرافات واللجوء إلى القادة الربانيين ١١٩
٧) الإلتجاء إلى الله تعالى والتوسل به لحفظ الإمام (عليه السلام) ولتعجيل فرجه ١٢٣
٨) تفعيل دور العمل الرسالي وإصلاح شأن المجتمع ١٢٥
٩) ضرورة تعبئة القواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) ١٢٨
١٠) رد الشبهات حول القضية المهدوية ١٣٠
١١) فضح الأنظمة الاستكبارية المعادية للإسلام ١٣٣
١٢) ضرورة تكثير النسل الصالح المؤهل لحمل مسؤولية القضية المهدوية ونصرتها ١٣٤
مدى سلمية الفتح المهدوي العالمي وتحقيقه لمبدأ التعايش السلمي ١٣٨
العراق عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) ١٤٧
المعالم الحضارية لدولة الإمام المهدي الموعود (عليه السلام) ١٥٦
قُرب الظهور أو عدمه ومدى تحقق شروطه وعلاماته وأيهما ينبغي الاهتمام بها أكثر ١٦٧
المفاهيم الرمزية في الروايات الشريفة الخاصة بالقضية المهدوية ١٧٦
١) كنوز الفرات هم جنود الإمام المهدي (عليه السلام) ١٨٠
٢) تشبيه الإمام المهدي (عليه السلام) أو غيبته الشريفة بالشمس المغيبة بالسحاب ١٨٤
٣) معنى شروق الشمس من الغرب ١٩٨

٤) المعنى الرمزي للدجال ١٩٩
مسؤوليات وواجبات مراجع الدين العدول وأصحاب النيابة العامة زمن الغيبة..... ٢١٠
أولاً) كيف يتم تعيين نائب الإمام المهدي (عليه السلام)؟ ٢١٣
ثانياً) الفرق بين الوكالة والنيابة العامة عن الامام (عليه السلام)..... ٢١٤
ثالثاً) صفاته ومؤهلاته..... ٢١٦
رابعاً) وظائفه وواجباته وصلاحياته ٢٢٠
خامساً) أهمية وجوده، واضرار غيابه عن الساحة ٢٢٣
سادساً) ما يجب على المجتمع حياله، ونتائج عدم طاعته..... ٢٢٤
الفهرس ٢٢٧